إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن والأربعين من القرآن الكريم

(سورة غافر من آية: 41-حتى آية: 46 من سورة فصلت)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	اسم الطالب/ة: باسمة محمد العمصي
Signature:	التوقيع:
Date:	التاريخ: 18 /4 / 2016

الجامعــة الإســلامية – غـــــــزة
عـــمــادة الدراســـــات الــعــلــيا
كـــلـيـــــة أصـــــول الديـــــن
قســم التفسيــر وعلــوم القـــــرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

الحزب الثامن والأربعين من القرآن الكريم

(سورة غافر من آية: 41–حتى آية: 46 من سورة فصلت)

The analytical study

For The Goals and Objectives of Part 48 From The Holy Quran
Surat Ghafir From Ayut 41up to 46 From Surat.fussilat

إعداد الطالبــة
باسمة محمد عبد القادر العمصي

إشراف الدكتور
وليد محمد حسن العامـــودي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1437هـ - 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ..... ج س غ/35/

التاريخ Date 2016/02/15م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **باسمة محمد عبد القادر العمصي** لنيل درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين*** **/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن والأربعين من القرآن الكريم

(سورة غافر من آية: 41-حتى آية: 46 من سورة فصلت)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم السبت 04 جمادى الأولى 1437هـ، الموافق2016/02/13م الساعة الثانية مساءً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. وليد محمد العامودي	مشرفاً و رئيساً	.....
د. صبحي رشيد اليازجي	مناقشاً داخلياً	.....
أ.د. عصام العبد زهد	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[النساء: 82]

صَدقَ اللهُ العَظِيم

الإهـــداء

- إلى حبيبي وقدوتي محمد ﷺ سيد الخلق أجمعين.
- إلى والدتي خيمة الحنان، وغيمة المكان، ونور دربي في هذا الزمان، ونذرت عمرها في أداء الرسالة التي صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلام الدهر، على سراج الأمل، بلا فتور أو كلل... رسالة علمتني فيها كيف يكون العطاء، وكيف يكون الوفاء، فشتان بين رسالة ورسالة، فجزاكِ الله خيراً يا أمي ورزقك الصحة والعافية وحسن الخاتمة.
- إلى والدي الغالي أطال الله عمره وأحسن عمله.
- وإلى إخواني وأخواتي، حفظكم ربي ورزقكم التقوى والسداد والإخلاص في القول والعمل، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يسبغ عليكم نعمه وأن يجزيكم حسن الجزاء في الدنيا والآخرة.
- إلى الراحلين دون وداع الباقين في فضاء الذاكرة، الأكرم منا جميعاً شهدائنا الأبرار، وأخص بالذكر صديقتي العزيزة **الشهيدة "تهاد حمودة"** التي لازمتني سنوات الدراسة وسنوات العمل رحمها الله وغفر لها.
- إلى أسرانا البواسل الذين سطروا بجوعهم، وصبرهم أسمى معاني التحدي والصمود، فساروا بطريق أوله شوك وآخره ريحان بإذن الله ﷻ.
- إلى المجاهدين والمرابطين على ثغور الوطن.
- إلى أقصانا الحبيب سائلة له التحرير من دنس اليهود والمتآمرين عليه.
- إلى كلية الدعوة الاسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية.
- إلى منارة العلم والعلماء جامعتي الغراء الجامعة الاسلامية إلى هذا الصرح الشامخ العظيم.
- إلى كل من أشرق نور الإيمان في قلبه، إليهم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد، سائلة الله ﷻ لهم جزيل الأجر والثواب العظيم.

الباحثة

باسمة محمد العمصي

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لإنجاز هذا العمل، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير محمد ﷺ ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد...

بادئ ذي بدء أتوجه إلى المولى سبحانه وتعالى بالشكر الجزيل، على ما أنعم علَيَّ، وامتن به وتفضل، فله الشكر والحمد في الأولى والآخرة، على ما أعان وأسهل، وأسبل من الخير ويسر، وما كتبه لى وقدر، فلله الحمدُ وأعانني على إتمام هذا البحث الذي أسأله سبحانه أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله قبساً ونوراً ينير درباً من دروب الباحثين والمطَّلعين.

وانطلاقاً من قولهﷻ: ﴿**وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل:40] وامتثالاً لقول النبي ﷺ "**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاس**" [1].

في بداية صفحات هذه الرسالة فإني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والاحترام لمن تفضل عليّ بقبول الإشراف على رسالتي، وإحاطتي بالتوجيهات والنصائح حتى خرجت هذه الرسالة إلى النور **فضيلة الدكتور/ وليد محمد العامودي... حفظه الله،** الذي ما بخل علىَّ بعلمه وملاحظاته وإشاراته المباركة، ولم يألُ جهداً في مساعدتي وإرشادي وتوجيهي ومواصلة متابعتي لإخراج هذا البحث على أفضل صورة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى عضوي لجنة المناقشة، وهما:

فضيلة الاستاذ الدكتور/ عصام العبد زهد حفظه الله. مناقشاً خارجياً.

فضيلة الدكتور/ صبحي رشيد البازجي حفظه الله. مناقشاً داخلياً.

لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وعلى ما بذلاه من جهد في تحسين جوهرها وتصويبها وتنقيحها لتخرج بإذن الله ﷻ على أفضل ما يرتجى.

كما يشرفني أن أتقدم بكل الشكر والتقدير والاحترام لكل من للدكتور الفاضل **جميل محمد عدوان** لتفضله في تدقيق الرسالة وترتيبها.

كما أشكر الأستاذ الفاضل/ **أحمد شعلان** لتفضله في ترجمة ملخص الرسالة باللغة الانجليزية.

كما أشكر الاستاذ الفاضل/ **أدهم عمار** لمجهوده الكبير الذي قدمه لي أثناء كتابة الرسالة.

---

(1) سنن أبو داود،ج4، ص255، (رقم الحديث:4811)، باب في شكر المعروف، قال الألباني: صحيح.

وشكرٌ موصول إلى أساتذتي في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، وإلى عمادة الدراسات العليا على إتاحتها الفرصة لي لإكمال دراستي العليا في الجامعة الاسلامية.

وإلى كل الأخوة العاملين في المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية ، على ما بذلوه من جهد ونصح وتوجيه.

وأتوجَّه بالشكر إلى كل من أفادني من لفظِه، وكل من أسدى إليَّ نُصحاً أو نبَّهني لفكرةٍ أو أعارني كتاباً، وإلى كل من مد يد العون أو نصحني أو أعانني أو دعا لي في ظهر الغيب.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لي زلاتي، وأن يتجاوز عن سقطاتي وهفواتي، فهذا جهد مقل، ولا شك ولا ريب أن كلَّ عمل بشري ولا بد وأن يعتريه النقص والخلل والتقصير، فما كان في هذا البحث من صواب فمن توفيق الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان أعاذني الله وإياكم منه، وأسأل الله لي ولكم القبول والرضى.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين حمداً يُليق بجلالِ وجههِ الكريم وعظيمِ سلطانهِ، رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، والصلاة والسلام على رسولهِ الأمين، المبعوثِ رحمةً وهدى ونوراً للعالمين، وعلى آلهِ وصحبهِ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد

إن شرف العلم من شرف المعلوم فعلمُ التفسيرِ من أعظم العلوم وأَشرفَها؛ فهو كما يقول الإمام الألوسي [1] رحمه الله: "أعلاها قدرًا، وأغلاها مهرًا، وأسناها مبنى وأسماها معنى، وأدقها فكرًا، وأرقها سرًا، وأعرقها نسبًا، وأعرفها أباً، وأقومها قيلاً، وأقوالها قبيلًا، وأحلاها لساناً، وأجلاها بيانًا، وأوضحها سبيلاً، وأصحها دليلاً "[2]؛ لأنه متعلق بأصدق الحديث، ألا وهو كلام الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن من حاز هذا العلم فقد حاز العلوم كلها، فالقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء.

لذلك فإن كتاب الله –تعالى– الخالد معجزة النبيﷺ إلى يوم القيامة أنزله عليه هداية للبشر، وإخراجاً لهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإسلام والهداية، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم، وقد حث الله –تعالى– عباده المؤمنين على تدبر القرآن ،وفهم آياته ومعانيه وتفسيره، وتعلم علومه، والغوص في أعماقه للكشف عن آلائه المكنونة فيه.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24] فهو كلام الله تعالى المعجز، فكل سورة في كتاب الله تعالى تحتوي على الكثير من المقاصد والأهداف التي تمثل منهج حياة المسلمين في مجالاتها الدعوية والروحية، والحركية الإصلاحية تشخص مشاكلهم وهمومهم، وتقدم العلاج الشافي لتلك المشاكل والهموم بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف القرآنية، لذلك كانت رسالتي:

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن والأربعين من القرآن الكريم سورة غافر من الآية 41، حتى الآية 46 من سورة فصلت).

---

(1) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، صاحب تفسير روح المعاني. الأعلام للزركلي، ج7، ص176

(2) روح المعاني:ج2، ص1.

أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث

1. ابتغاء مرضاة الله–تعالى–وخدمة كتاب الله الكريم.
2. إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً.
3. رغبة مني في التدبر والتفكر والتأمل في آيات القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24]
4. إطلاع القارئ على معالم الطريق الموصلة إلى مرضاة الله رب العالمين، وتحقيق السعادة في الدارين.
5. تشجيع أساتذتي الكرام في قسم التفسير وعلوم القرآن بالكتابة في هذه السلسلة.

ثانياً: أهمية موضوع البحث

1. تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وأجلها، وهو القرآن الكريم.
2. بيان جوانب الاعجاز القرآني في الوقوف على مقاصد وأهداف السور.
3. يقدم القرآن الكريم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم.
4. بيان المقاصد والأهداف للآيات يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.
5. إثراء المكتبة الاسلامية ببحث علمي يتعلق بالدراسة التحليلية للمقاصد والاهداف في السور القرآنية.

ثالثاً: أهداف البحث

1. إظهار الموضوعات الأساسية لسورتي (غافر _ فصلت) وشخصيتهما الرئيسية، بما يظهر المقاصد العامة والأهداف الحقيقية المراد إرساؤها في المجتمع الإسلامي.
2. إثراء المكتبة الإسلامية بسلسلة علمية محكمة تتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد والأهداف المستنبطة من آيات القرآن الكريم.
3. صقل الخبرة الذاتية للباحث بالدراسة التحليلية المتعمقة والدقيقة لآيات الدراسة.
4. ربط مقاصد الآيات وأهدافها بواقع المسلمين المعاصر ومحاولة وضع الحلول المناسبة.
5. ابراز الجوانب العقدية في الحزب المقصود دراسته.

رابعاً: الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية والبحث عبر شبكة الإنترنت وسؤال الأخوة المختصين لم أعثر على رسالة علمية سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع.

ولقد تناولت هذا البحث استكمالاً لسلسة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية والتي تتناول (الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم)، وكان نصيبي ممن منَّ الله عليهم بهذه الدراسة: (الحزب الثامن والأربعين من القرآن الكريم سورة غافر من الآية 41 حتى الآية 46 من سورة فصلت).

خامساً: منهج الباحثة

1. اعتمدت الباحثة مستعينة بالله– تعالى– على المنهج الموضوعي القائم على التحليل.
2. ذكرت مدخلاً لسورتي غافر وفصلت وذلك من خلال بيان اسم كل سورة وفضلها، وترتيبها، ومكان وزمان نزولها، ومحورها الرئيس.
3. قامت الباحثة بتقسيم آيات سورة غافر من آية (46 حتى آخر السورة ومن آية 1_46 من سورة فصلت) إلى فصول ومباحث مختلفة، وكل مبحث إلى مطالب متنوعة جاعلة لكل مطلب آياته المناسبة له، وقمت بمحاولة تحديد واكتشاف ما تحتويه آيات كل مطلب من مقاصد وأهداف وتحليلها، الاستشهاد لهذه الأهداف والمقاصد بالدراسة التحليلية.
4. عزو الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في المتن.
5. قمت بتفسير الآيات تفسيراً إجمالياً وبيان المعاني ووجوه البلاغة، وأسباب النزول، والمناسبات.
6. قمت بربط مدلول الآيات بالمواضيع والمشكلات الواقعة في هذا العصر، واستنباط حلولٍ لها قدر الإمكان.
7. تخريج الأحاديث النبوية المستشهد بها في البحث وعزوها إلى المصادر الأصلية، ونقل حكم العلماء عليها إذا لم تكن في الصحيحين.
8. الاكتفاء في التوثيق بذكر اسم الكتاب ، ورقم الجزء والصفحة في الحاشية، وترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع، وذلك تخفيفاً عن الحاشية .

9. عند إحالة القارئ إلى فكرة أو جزئية أو حديث قد سبق ذكره في البحث أقول: سبق الإشارة إليه أو سبق تخريجه، وأذكر رقم الصفحة.
10. الرجوع الى معاجم اللغة لبيان معاني الألفاظ الغريبة.
11. الرجوع الى كتب السير والأعلام لترجمة أسماء الأعلام المغمورين الواردة في البحث.
12. عمل الفهارس الازمة للبحث لتسهيل الوصول إلى المعلومة.

أولا: فهرس الآيات القرآنية

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامسا: فهرس الموضوعات

سادساً: خطة البحث

تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس تخدم البحث وبيان ذلك فيما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على العناصر الاتية:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع.

ثانياً: أهمية الموضوع.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: منهجية الباحثة.

خامساً: الدراسات السابقة.

سادساً: خطة البحث.

التمهيد

تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف للسورة القرآنية

ويتكون من مبحثين

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

ويشتمل على سبعة مطالب

المطلب الأول: تعريف مقاصد السور لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً

المطلب الثالث: أهمية معرفة مقاصد السور والآيات وأهدافها

المطلب الرابع: الفرق بين المقاصد والأهداف

المطلب الخامس: طرق معرفة مقاصد السور والآيات

المطلب السادس: ما يحتاج اليه الباحث لكشف مقاصد السورة واستنباطها

المطلب السابع: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات(41-50)

ويتكون من ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف عام بسورة غافر

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، وعدد آياتها، وترتيبها، ومكان وزمان نزولها، ومرحلة نزولها

المطلب الثاني: أهداف السورة وموضوعاتها

المطلب الثالث: محور السورة وجوُّها العام

المطلب الرابع: المناسبات في سورة غافر

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات (41-45)

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: إنكار الرجل المؤمن لدعوة قومه

المطلب الثاني: العناية الإلهية التي عصمت مؤمن آل فرعون من العذاب

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات (46-50)

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: جزاء آل فرعون قبل قيام الساعة وبعدها

المطلب الثاني: المناظرة بين الرؤساء والأتباع وهم في نار جهنم

المطلب الثالث: طلب الشفاعة من خزنة جهنم

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات(51-85)

ويتكون من ثلاثة مباحث

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(51-66)

ويشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول: "وعد الله للرسل بالنصر".

المطلب الثاني: الرد على المجادلين في آيات الله

المطلب الثالث:: دلائل على وجود الله وقدرته وحكمته

المطلب الرابع: بيان وحدانية الله ﷻ، وعدم الشرك به

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(67-76)

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: بيان مراحل خلق الإنسان

المطلب الثاني: تقرير أن الموت والحياة بيد الله

المطلب الثالث: الذلّ والمهانة عاقبة المجادلين في آيات الله

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(77-85)

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أمر الله نافذ لا محالة

المطلب الثاني: هداية الله للخلق

المطلب الثالث: حكمة الله في إرسال الرسل

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت الآيات (1-29)

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة فصلت.

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: اسماء السور وعدد آياتها وترتيبها

المطلب الثاني: أسباب النزول لسورة فصلت

المطلب الثالث: فضائل السورة

المطلب الرابع: أهداف السورة وموضوعاتها

المطلب الخامس: محور السورة و زمن نزولها

المطلب السادس: المناسبات في سورة فصلت

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها

ثانياً: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها

ثالثاً: المناسبة بين اسم السورة ومحورها

رابعاً: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمة ما قبله

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات(1-8)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم منهج أصلي للفرد والجماعات....

المطلب الثاني: سبب إعراض المشركين عن القرآن الكريم

المطلب الثالث: النبي ﷺ يدعو إلى الحق

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات(9-29)

ويشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول: آيات الله تدل على قدرته وحكمته

المطلب الثاني: الكفر والمعاصي سبب العذاب في الدنيا والآخرة

المطلب الثالث: شهادة الجلود على أصحابها

المطلب الرابع: قُرناء السوء وتأثيرهم في الصد عن سماع القرآن الكريم

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت الآيات (30-46)

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات(30-39)

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الله ولي المؤمنين في الدنيا والآخرة

المطلب الثاني: آداب الدعاة إلى الله عز وجل

المطلب الثالث: الآيات الدالة على وجود الله موجبة للإيمان

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات(40-46)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جزاء الملحدين في آيات الله

المطلب الثاني: القرآن الكريم كتابٌ حقٌ لا يأتيه الباطل

المطلب الثالث: اختلاف قوم موسى في الكتاب

الخاتمة: وتشتمل على أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها الباحثة

الفهارس العامة وتشتمل على الفهارس التالية:

أولا: فهرس الآيات القرآنية

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامسا: فهرس الموضوعات

التمهيد

تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف للسور القرآنية

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

المبحث الأول

تعريف الدراسة التحليلية

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية

المطلب الأول

المقصود بالدراسة التحليلية

إنَّ أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئًا يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقُهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته[1]، ومن هذه المشاريع التي تخدم القرآن الكريم استخدام أسلوب الدراسة التحليلية للقرآن الكريم، مبينًا صاحبه من خلاله أهداف القرآن الكريم ومقاصده.

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية

- **الدراسة لغة**

إذا نظرنا إلى كتب معاجم اللغة نجد أن كلمة الدراسة من الفعل: "دَرَسَ"، جاءت بعده معانٍ.

دَرَسَ الشيءَ يَدْرُسُ دُرُوسًا، ودرستُ الكتاب درسًا ودراسةً: قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه[2]، ودرس العلم على فلان: تلقاه على يديه[3]. "الدّرسة: الرياضة والممارسة، المِدْرَاس": الموضع الذي يدرس به كتاب الله"[4].

- **التحليلية لغة**

مصدر من الفعل "حلّل"، حَلَلْت العقدة أَحُلُّها حلاً: إذا فتحتها فانحلت، "وحلّل العقدة حلها، والشيء: رجعه إلى عناصره، يقال: حلل الدم، وحلل البول، ويقال: حلل نفسية فلان: درسها لكشف خباياها[5]، والتحليل عملية تقسيم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره، وتحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها[6].

---

(1) انظر: مقدمة في التفسير الموضوعي: (ص: 5).
(2) انظر: القاموس المحيط (ص: 544).
(3) المعجم الوسيط:ج1،ص279.
(4) تاج العروس:ج16، ص 68.
(5) المرجع السابق: ج16، ص 68.
(6) معجم اللغة العربية المعاصر:ج1، ص550.

ومما سبق من بيان المعنى اللغوي لشقي المركب، يمكن تعريف مركب (الدراسة التحليلية) لغة بأنه: الكشف والبيان عن أجزاء الكلام لمعرفة خباياه، بلفظ أيسر، وأسهل من لفظ الأصل.

- **تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً**

والذي يظهر للباحثة بعد الدراسة والبحث والتنقيب، الدراسة التحليلية اصطلاحاً **هو: تقسيم النص القرآني إلى أجزاء متناسقة والوقوف عليها، والنظر فيها بتدبر، والغوص في أعماقها؛ لاستنتاج المقاصد، والاهداف والحكم والأحكام.**

المطلب الثاني
متطلبات الدراسة التحليلية

إن البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله[1].

وإن الدراسة التحليلية لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه هي الترجمة عن الله تعالى لبيان مراده ﷻ من كلامه، لذلك لا يجوز لأي أحد اقتحام هذا المجال إلا بعد أن تتوفر فيه متطلبات هذه الدراسة لخدمة كتاب الله ﷻ. ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

1. متطلبات ذاتية

أ- **صحة الاعتقاد:** فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، ما يتأثر به الإنسان يظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً.

ب- **التجرد عن الهوى:** فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم، ولو كانت على غير حق[2]، قال تعالى ﷻ: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية:23]

ت- **أن يكون متواضعًا لين الجانب:** فالصلف والتكبر يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه، قال تعالى ﷻ مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ وهو القدوة: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران:159].

ث- **أن يكون عزيز النفس:** فمن الواجب عليه أن يترفع عن سفاسف الأمور، ولا يضع نفسه في مواضع الذلة والمهانة.

ج- **أن يتحلَّى بالتأني والرويَّة في حديثه.** فلا يسرد كلامه سردًا سريعًا حتى لا يفهمه

(1) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، (ص:340).
(2) نفحات من علوم القرآن: (ص: 125)

المستمع، بل عليه أن يفصّل الكلام ويبيّنه ويوضحه ويخرج الحروف من مخارجها؛ لكي يفهمه المستمع.

ح- أن يجهر بالحق مهما كلفه ذلك، فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

خ- أن يقدّم من هو أولى منه إذا حضر معه في المجلس، فلا يتصدى للتفسير[1].

2. متطلبات علمية

أ. **العلم باللغة العربية وفروعها:** فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالِمًا بلغات العرب"[2].

ب. **معرفة علوم القرآن والمراد بعلوم القرآن:** العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمُحْكَمِ والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن، وهي أهم العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر[3].

ت. **العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن:** كعلم القراءات؛ لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، ويترجح بعض وجوه الاحتمال على بعض، وعلم التوحيد، حتى لا يؤول آيات الكتاب التي في حق الله وصفاته تأويلًا يتجاوز به الحق، وعلم الأصول، وأصول التفسير خاصة مع التعمق في أبوابه التي لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها، كمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك.

ث. **دقة الفهم التي تمكن المفسِّر من ترجيح معنى على آخر**، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

ج. **علم الموهبة:** وهو علم يورثه الله تعالى لمن يشاء من عباده العالمين العاملين المتقين، فيلهمهم المعرفة بأسرار كتابه، قال الله ﷻ: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾. [المجادلة:11]، وقوله ﷻ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾. [الزُّمر:9]

(1) نفحات من علوم القرآن (ص: 127).
(2) البرهان في علوم القرآن (ص:292).
(3) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص: 12).

وأخرج البخاري في صحيحه في باب العلم: "**العلماء ورثة الأنبياء**"[1]. وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا؛ سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا؛ ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**[2]".

(1) صحيح البخاري:ج1، ص 24،كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر.

(2) سنن أبي داود: ج5، ص 485، (رقم الحديث:3641)، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ط: الأرنؤوط، قال الألباني: (صحيح).

المبحث الثاني

تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

ويشتمل سبعة مطالب

المطلب الأول: تعريف مقاصد السور لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً

المطلب الثالث: أهمية معرفة مقاصد السور والآيات وأهدافها

المطلب الرابع: الفرق بين المقاصد والأهداف

المطلب الخامس: طرق معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

المطلب السادس: ما يحتاج إليه الباحث لكشف مقاصد السورة واستنباطها

المطلب السابع: المطلب السابع: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات

المطلب الأول

تعريف مقاصد السور لغةً واصطلاحاً

أولاً: المقاصد لغةً

المقاصد: "جمع (قصد)، والقاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدلُّ أحدها على إتيانِ شيءٍ وأَمِّه، فالأصل: قصَدته قَصْدًا ومَقْصَدًا"[1].

وقد استعملت كلمة "قصد" في لغة العرب لمعان عديدة منها:

أ- **الْكَسْرُ فِي أَيّ وَجْهٍ** كَانَ، تَقُولُ: قصَدْتُ العُود قَصْدًا كسَرْتُه، وَقِيلَ: هُوَ الْكَسْرُ بِالنِّصْفِ، قَصَدْتُهُ أَقْصِدُه وقَصَدْتُه فانْقَصَدَ وتَقَصَّدَ[2].

ب- **اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ.** قَصَد يَقْصِدُ قَصْدًا، فَهُوَ قاصِد. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﷻ: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾. [النحل:9]، أَي: عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، والدعاءُ إِليه بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، وَمِنْهَا جَائِرٌ أَي: وَمِنْهَا طَرِيقٌ غَيْرُ قَاصِدٍ. وطريقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ. وسَفَرٌ قاصدٌ: سَهْلٌ قَرِيبٌ[3]. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ**﴾. [التوبة:42]

ت- "**الاعتمادُ والإتمام.** قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْدًا وقَصَدَ لَهُ وأَقْصَدَني إِليه الأَمرُ، وَهُوَ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي: تُجاهَك"[4].

ثانيًا: المقاصد اصطلاحًا

للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية: منها:

1. عرفها الشاطبي[5]: "هي وضع لشرائع لما فيه مصلحة العباد في العاجل والآجل معًا"[6].
2. وعرفه صاحب كتاب قراءة في علم مقاصد الشريعة الإسلامية: "هو ما سنَّه الله من الأحكام، وأنزله على نبي من أنبيائه[7]".

---

(1) معجم مقاييس اللغة:ج5، ص95.

(2) انظر: لسان العرب: ج3، ص355.

(3) انظر: المرجع السابق: ج3، ص355.

(4) المرجع السابق: ج3، ص355.

(5) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات في أصول الفقه)، ت790هـ - 1388م، الأعلام للزركلي (75/1).

(6) الموافقات: ج2، ص9.

(7) قراءة في علم مقاصد الشريعة الإسلامية،(ص:1)

3. عرفه ابن عاشور: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو مُعظمها؛ بحيث لا تختصر ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة[1]".

4. وعرف صاحب كتاب مقاصد السور المقاصد صالح بن عبد العزيز [2]بأنها: "الموضوعات التي تدور عليها آيات سورة ما[3]".

ثالثًا: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

بعد عرض المعاني اللغوية والاصطلاحية يلحظ الباحث أن هناك ارتباطًا وثيقًا بينهما:

- نلاحظ أن المقاصد فيها الاستقامة والطريق المستقيم.
- الاعتماد وإتيان الشيء والاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء، كلها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه، وهذا هو الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي.

تعريف المختار للمقاصد

بعد النظر في تعريف العلماء لمعنى المقاصد من حيث اللغة والاصطلاح والنظر في العلاقة بينهما، فإن التعريف الذي تراه الباحثة راجحًا هو تعريف ابن عاشور.

---

(1) قراءة في علم مقاصد الشريعة الإسلامية ، (ص:1)

(2) صالح بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الوهاب، يرجع نسبه إلى قبيلة بني تميم المشهورة، نشأ الشيخ في دار علم وديانة، ولد في مدينة الرياض سنة 1378هـ، وأكمل تعليمه الثانوي في الرياض، ثم التحق بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين بقسم القرآن وعلومه، وبعد تخرجه منها عمل ضمن هيئة التدريس فيها، منذ ذلك الحين إلى عام 1416هـ حيث عين نائبًا لوزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.(المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين) (ص: 118)

(3) "مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير" (ص: 7)

المطلب الثاني
تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً

أولاً: الأهداف لغة

الهدف من أهدفت ودنوت منك، يقال: أهدف لي الشيء، وأهدف القوم، أي قَرُبوا، فهو مُسْتَهدفِ، والهدفُ: كل شيء عظيم مرتفع وكل بناء مرتفع مشرف، أو كثيب رمل أو جبل؛ والهدف من الرجال الجسيم الطويل العنيف العريض الألواح، وأهدف على التل أي: أشرق وأسرع، وأهدف إليه: لجأ[1]. وجمع هدف: أهداف، ومنه سمي الغرض هدفًا، وهو المنتصل بالسهام ما وضع في الهدف ليُرمي، والغرض: الهدف، ويسمى القرطاس غرضًا وهدفًا على الاستعارة[2]، "والهادفة: الجماعة، والهِدْفةُ، بالكسر: القطعة من الناس والبيوت، يقيمون في مواضعهم"[3].

ثانياً: الأهداف اصطلاحًا

هناك عدة تعريفات للأهداف اصطلاحًا، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن تعريف الأهداف من الناحية التعليمية، فلكل تخصص من مجالات العلم والتعلم أهدافه المنوطة به، وإنما نحن بصدد الحديث عن الأهداف من الناحية التربوية الإسلامية، فقد عرفها الكيلاني[4] فقال: "تلك التغيرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد، وفي ممارسات المجتمع الإنسانية. وهذه الأهداف هي الثمرات النهائية للعملية التربوية"[5].

والذي يراه الباحث مناسبًا في هذا البحث في تعريف الهدف من وجهة نظر الإسلام أنه: تربية وإعداد المسلم الصالح المصلح، صاحب الشخصية الكاملة المتكاملة في شتى مجالات وجوانب حياته، سواء الجانب العقدي، أو العقلي، أو الأخلاقي، أو المجتمعي، أو الاقتصادي.

إن بناء الإنسان المسلم هو الهدف الذي يركز عليه المنهج الإسلامي، كما كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المحضن التربوي والملاذ الأول لتربية المسلمين الأوائل، فكان هذا الجيل للناس كشعاع النور وسط الظلام، يسري في كل أفق وفي كل ميدان، يخترق الحواجز والسدود حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا.

---

(1) لسان العرب:ج9، ص345.

(2) تاج العروس: 24، ص478.

(3) القاموس المحيط:ج24، 488.

(4) ماجد عرسان الكيلاني، ولد الكيلاني بقرية الشجرة التابعة للواء الرمثا، أقصى شمال الأردن عام 1932 ، مفكر ومؤرخ وتربوي أردني، ماجستير في التاريخ الإسلامي من الجامعة الأمريكية ببيروت، وماجستير في التربية من الجامعة الأردنية، ودكتوراه في التربية من جامعة بتسبرغ، توفي في الأردن 2015(ttps://ar.wikipedia.org/wiki)

(5) أهداف التربية الاسلامية : ماجد عرسان الكيلاني (ص:13)

المطلب الثالث

أهمية معرفة مقاصد السور والآيات وأهدافها

1- علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله، وهو التدبر والهداية، كما قال ربنا ﷻ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. [ص:29]، أمرنا بالتدبر لمعرفة مراده تعالى من كلامه، والعمل به، وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده، قال الشاطبي: "فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعرفة والمراد به"[1]، ومقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى.

2- يعين على فهم كتاب الله ﷻ فهمًا صحيحًا، ويوصل إلى معرفة في تفسير كلام الله ﷻ والتبحر في دلالته وهوايته، قال البقاعي في كلامه على مقاصد السور: "وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السور، ومنفعته: التبحر في علم التفسير ومعاني السور، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير[2]".

3- معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله ﷻ غير مراده.

4- إن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله ﷻ مؤتلفًا منتظمًا على نحو كمال نظمه ومعانيه ومعناه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص وكالعقد المتناسق.

5- إن علم مقاصد السور من أعظم ما يتحقق بها ربط الآيات بالواقع، وذلك أن المتدبر في مقصد السورة ومعاينته تبعثه على التفاعل والتطبيق.

6- هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان، وزيادة نور القلب، وقرار العين، وهذا من روائع هذا العلم.

7- إدراك المقاصد يساعد الدعاة على تحقيق مصالح عبادة الله وجلب مرضاته والفوز بجناته وإراحة وطمأنة نفس المكلف. فلا ينشغلون بما لا يفيد من المظاهر الجوفاء[3].

8- يساعد الباحثين في العصر الحديث على الفهم الصحيح للنص القرآني الذي يحفظ من الزلل، ويصون من الاعوجاج والعلل[4].

---

(1) الموافقات: ج3، ص410.

(2) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور:ج1، ص155.

(3) علم مقاصد السور:ج1، ص23.

(4) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: (ص:77)

المطلب الرابع

الفرق بين المقاصد والأهداف

أ- ما تميزت به الأهداف عن المقاصد

من خلال ما سبق من تعريفات اصطلاحية لكل من الأهداف والمقاصد نلحظ أن الأهداف تتميز بما يأتي:

1- أن الأهداف تكون قبل أي نتاج علمي؛ لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.

2- يختلف تعريف الهدف تبعًا لتنوع العلوم والمعارف.

3- الهدف الواحد ينقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية.

4- الأهداف العامة والخاصة لابد من ربطها بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.

5- الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعنى في صياغة القيم والاتجاهات والتراث.

ب- ما تميزت به المقاصد عن الأهداف

1- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة في العاجل والآجل، ودرء المفاسد ودفع المضار.([1])

2- المقاصد تحدد الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفرادًا وأسرًا وجماعات.

3- المقاصد تظهر المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع.

4- المقاصد تعزز الحِكَم والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.

5- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها اُسْتُخلِفَ الإنسان على الأرض وهي: (التوحيد، والتزكية، والعمران).

(1) شرح مقاصد الشريعة (ص: 59)

المطلب الخامس

طرق معرفة مقاصد السور والآيات

أولاً: القرآن الكريم

إنه المصدر الأول والأساس لمعرفة أهداف السور والآيات ومقاصدها، وقد أمرنا الله ﷻ بتدبر آيات القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. [النساء:82]، فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر[1]. قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. [محمد:24]

من خلال ذلك يتبين لنا أنه بتدبر القرآن الكريم يتم التوصل إلى معرفة المقصد من خلال فهم الآيات.

ثانيًا: السنة النبوية

وهي المصدر الثاني للتشريع، وهي وحيٌ من الله ﷻ إلى رسوله الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النَّجم:3-4]، نجد أن النبي ﷺ قد بين لنا بعض الأحاديث الواردة في فضائل السور والآيات، بما يؤكد على عظم هذه السور وعظم مقاصدها وأهدافها، فمثلاً جاء في بيان فضل سورة غافر عن الخليل بن مرة، أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ تبارك وحم السجدة، و"قال الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع، تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب، فتقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"[2]، وعن مجاهد، قال: قال عبد الله بن مسعود: "الحواميم ديباج القرآن"[3].

إذن من خلال أحاديث النبي ﷺ يبين لنا أن مقاصد السورة يعرف من خلال السنة النبوية المشرفة، وعند ذلك يصبح عند المسلم إشراقة إيمانية عند قراءة أية سورة في القرآن الكريم، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفة مقاصد وفضائل السور من السنة النبوية.

ثالثًا: الكشف عن مقصد السورة والوصول إليه مبني على الاجتهاد ودقة الاستنباط، وإدراكه، وتختلف فيه العقول، وذلك أنه مرتبة بعد إدراك المعنى العام، ويتطلب فهمه صفاء للذهن وصحة في الذوق ومعرفة في كلام العرب[4].

---

(1) مدارج السالكين بين منازل: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}:ج1، ص451.

(2) شعب الإيمان:ج4، ص100.

(3) المرجع السابق:ج4، ص100.

(4) علم المقاصد الشرعية: (ص:69).

المطلب السادس

ما يحتاج اليه الباحث لكشف مقاصد السورة واستنباطها

1 – **الاستعانة بالله تعالى**، وإخلاص العمل لله وحده: إن تحقيق المقصد من الخلق هو العبادة، ولا يتم بدون استعانة بالله، لذلك قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]، يقول ابن تيمية: "إن النظر المجرد في الدليل دون توافر أسباب الهداية، من ذكر الله واللجوء إليه، ودون انتفاء الموانع المعوقة، من وسوسة الشيطان، لا يحصل الفقه الصحيح"[1].

2– **الالتزام بضوابط التفسير**: ومن ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، لأن القرآن يبين بعضه بعضًا، وأن يفسر القرآن بالسنة، لأن النبي ﷺ أعرف الخلق بالله تعالى وبمعاني كلامه، وأن ينظر لأقوال الصحابة ﷺ وأقوال التابعين وبالاجتهاد وإعمال العقل حول النص القرآني وفق حدود الشريعة.

3 – **معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها وخصائصها**: لابد لمن أراد الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكية أو مدنية، وسبب نزولها وفضائلها، وخصائصها؛ فإن ذلك مفتاح رئيس للوصول لغرضها[2]. قال ابن عاشور مؤكداً أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة المقصد ومنها: "أي أسباب النزول ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام"[3].

4– **الرجوع إلى الكتب والآراء** الواردة عند السلف في بيان ما أنزلت فيه السور وما يكون منطلقًا لتحديد مقاصدها.

5– **مراعاة السياق والقرائن**: إن فهم جزء من الكلام دون فهم بقيته يعد نقصًا، فكيف بكلام الله إذ لابد من فهم الكلام ضمن السياق الذي جيء فيه.

6– **المعايشة الروحية الحية للسورة**: قال سيد قطب: "إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل"[4].

---

(1) نقض المنطق: (ص:34).
(2) علم المقاصد الشرعية: (ص: 48).
(3) التحرير والتنوير:ج1، ص47.
(4) معالم في الطريق (ص: 15).

المطلب السابع

أهم المصنفات في مقاصد السور والآيات وأهدافها

1. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي.
2. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.
3. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للإمام برهان الدين البقاعي –رحمه الله.
4. التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور –رحمه الله، حيث يتكلم عن مقاصد السورة بشكل عام في أول تفسيرها تحت اسم أغراض السورة.
5. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي –رحمه الله.
6. في ظلال القرآن، للأستاذ المفكر سيد قطب –رحمه الله، والمقاصد مبثوثة في ثنايا حديثه.
7. تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي.
8. قبس من نور القرآن الكريم، الشيخ محمد علي الصابوني.
9. التفسير المنير للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة غافر الآيات: (41-50)

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة غافر

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات (41-45)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات (46-50)

المبحث الأول

تعريف عام بسورة غافر

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، وعدد آياتها، وترتيبها، ومكان نزولها وزمانه، ومرحلة نزولها

المطلب الثاني: أهداف السورة وموضوعاتها

المطلب الثالث: محور السورة وجوها العام

المطلب الرابع: المناسبات في سورة غافر

المطلب الأول

أسماء السورة، وعدد آياتها، وترتيبها، ومكان نزولها وزمانه، ومرحلة نزولها

أولاً: تسميتها

لسورة غافر ثلاثة أسماء، هي:

1. **غافر**: "وسميت بهذا الاسم لافتتاحها بتنزيل القرآن من الله: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ**﴾ [غافر:3]، والغافر من صفات الله الحسنى"[1]، ولأن الله ﷻ ذكر وصفه تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ} [غافر: 3] في أولها وهو الوصف الجليل الذي هو من صفات الله الحسنى، وبهذا الاسم اشتهرت في مصاحف المغرب ([2]).
2. **المؤمن**: "لاشتمالها على قصة مؤمن آل فرعون".
3. **الطول**: "لأنه يقدر على التطول المطلق إلا من كان كذلك، فإن كان ناقص العزة فهو قابل لأن يمنعها من بعض التطولات مانع، ولن يكون ذلك إلا بنقصان العلم[3]"، وسميت السورة بالطول لقوله تعالى: ﴿**ذِي الطَّوْلِ**﴾ [غافر:3] [4]

ثانيًا: ترتيبها

"ترتيب السورة في القرآن الكريم هو الأربعون"[5]، وهي الستون في عداد ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الزمر وقبل سورة فصلت، وهي أول سورة آل حم نزولًا[6].

ثالثًا: عدد آياتها

"عدد آيات سورة غافر خمس وثمانون آية"[7]، وقيل: إنها خمس وثمانون آية بالكوفي، وعند البصريين اثنتان وثمانون آية، وفي الحجازي أربع وثمانون آية، وكذا في المصحف الشامي[8].

---

(1) انظر: التفسير المنير،ج4،ص68.
(2) المفصل في موضوعات سور القرآن (ص: 970)
(3) انظر: المرجع السابق،ج4، (ص:980).
(4) انظر: التحرير والتنوير :ج24، ص 75.
(5) نظم الدرر في تناسب الآي والسور :ج6، ص482.
(6) انظر: التحرير والتنوير :ج2،ص76،انظر البرهان في علوم القرآن(ص : 136).
(7) البحر المحيط في التفسير ج9،ص226.
(8) انظر: البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي،ج2،ص782.

رابعًا: مكان وزمان نزولها

أ- مكان نزول السورة

سورة غافر من السور المكية التي نزلت قبل الهجرة، وهي من الحواميم، والسبع الحواميم مكيات بإجماع، وقيل في بعض هذه السور مدني، قال ابن عطية: هذا ضعيف[1]. لكن ما تراه الباحثة أن سورة غافر مكية لإجماع العلماء على ذلك، وقول ابن عباس[2] يدعم لنا هذا القول بأن سورة غافر مكية[3]. لكن هناك بعض المؤرخين والمفسرين اجتهدوا وأوردوا لها استثناء في آيتين منها، وهي:

1. قول الله ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر:55]. معللين ذلك بأنها نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها، وفرض الصلوات الخمس وأوقاتها ما وقع إلا في المدينة، وإنما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت[4].
2. قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:56]. نزلت في يهود من المدينة جادلوا النبي ﷺ في أمر الدجال وزعموا أنه منهم[5]،ومع أنها نزلت في مشركي مكة منكري البعث أو في اليهود، إلا أنها عامة في كل مجادل مبطل ([6]).

ب-زمان نزول السورة

تعتبر سورة غافر أول سور (آل حم)، وقد نزلت بعد سورة الزّمر، وقبل سورة فصلت[7]، ونزلت سورة الزمر بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة غافر في ذلك التاريخ أيضًا[8]. يقول صاحب التحرير والتنوير: "هذه السورة جعلت الستين في عداد ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الزمر وقبل سورة فصلت، وهي أول سور (آل حم) نزولًا. وقد كانت هذه السورة مقروءة عقب

(1) انظر: البحر المحيط في التفسير:ج9، ص226، البرهان في علوم القرآن(ص :136)
(2) عبد الله بن عباس، أبو العباس: حبر الأمة، ولد بمكة، لازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. شهد مع عليٍّ الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها، وقال عمرو بن دينار: "ما رأيت مجلسًا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر".
(3) انظر: روح المعاني:ج12، ص293.
(4) انظر: المرجع السابق: ج12، ص293.
(5) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص76.
(6) التفسير المنير للزحيلي:ج24،ص142.
(7) انظر: المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن: (ص:970).
(8) انظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور: ج8، ص3.

وفاة أبي طالب، أي في سنة ثلاث قبل الهجرة، كما أن أبا بكر قرأ آية: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾. [غافر:28]، حين آذى مجموعة من رجال قريش رسول الله ﷺ حول الكعبة، ولقد اشتد أذى قريش رسول الله ﷺ بعد وفاة أبي طالب"[1].

لكن الباحثة لا تُسلّم بقول ابن عاشور؛ لأن هناك تساؤلين اثنين يجب الإجابة عليهما، ويشكّلان تشكل علامات استفهام، وهما:

1. ألا يحتمل أن تكون هذه الآية التي قرأها أبو بكر هي التي كانت قد نزلت فقط في ذلك الوقت، وأما السورة فلم تنزل إلا بعد ذلك؟
2. ما المانع في أن تكون السورة نزلت قبل ذلك الوقت بزمن طويل، وقرأها أبو بكر في هذه المناسبة، كما نقرأها حتى الآن كشواهد نزلت منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنًا من الزمان؟

هذان التساؤلان لا يدعمان قول ابن عاشور، لذا تكتفي الباحثة بالقول الصحيح وهو: أن السورة نزلت بعد سورة الزّمر، وقبل سورة فصلت، وقد نزلت سورة الزمر بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة غافر في ذلك التاريخ أيضًا.

خامسًا: مرحلة نزولها

سورة غافر مكية، وهي أول السور التي تبدأ بحرفي: {حم}، فتسمى ذوات الحاميم أو آل الحاميم أو الحواميم، ولقد وردت هذه الأسماء في أحاديث وأخبار عن الرسول ﷺ وعن الصحابة ﷺ، فلا عبرة لمن كرر هذه الأسماء أو بعضها.

وكان ترتيب السورة في النزول ستين، فتكون قد نزلت بعد تسع وخمسين سورة، وقد قرأ بعضها أبو بكر الصديق ﷺ حينما آذى المشركون رسول الله ﷺ؛ بأن خنقه ابن أبي معيط خنقًا شديدًا، فقال ﷺ وهو يكفّهم عن رسول الله ﷺ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر:28]، وهذه الحادثة بعد وفاة أبي طالب، أي يقرب من السنة الثامنة، أو قبل الهجرة بثلاث سنين تقريبًا[2].

سادسًا: فضل السورة

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : من قرأ حم المؤمن إلى {إليه المصير} وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح.[3].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير: ج24، ص76.

(2) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،ج6،ص526.

(3) انظر: سنن الترمذي ت بشار:ج5،ص7. 2، أبواب فضائل القرآن عن رسول اللهﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، (رقم الحديث:2879).

المطلب الثاني
أهداف السورة وموضوعاتها

سورة غافر من السور مكية، فهي تعنى بأصول العقيدة كسائر السور المكية، لذا جاءت آياتها عنيفة شديدة التأثير، لإثبات وحدانية الله، وتنزيل القرآن والبعث، ووصف ملائكة العرش، وإنهاء الصراع بين أهل الحق وبين أهل الباطل أو بين فريق الهدى وفريق الضلال.

ويمكن إجمال أهداف سورة غافر من بداية الحزب المقصود دراسته بالآتي:

1. **الدعوة إلى الله بإخلاص:** قال الله ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى العَزِيزِ الغَفَّارِ* لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ المُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر:41-43]. وفي الآيات أيضًا دلالة على الأمر بإخلاص العبادة الله وحدة، وفي الآيات دلالة قوية على ضرورة التمسك بدعوة الحق، وعدم الانجرار وراء الباطل، وإن كثر اتّباع الباطل.

2. **نجاة الدعاة من مكر الأعداء:** في الآيات بيان لمن ستكون العاقبة يوم القيامة: أن من التزم بدعوة الحق سيُنجيه الله من مكر الأعداء وظلمهم قال الله ﷻ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ [غافر:44-46].

3. **الكل سواء في الجزاء يوم الحساب:** في الآيات دلالة على جوّ المناظرة بين الأتباع والرؤساء في النار، حيث إن الله يحكم بين الضعفاء والمستكبرين جميعًا، فلا فرق بين تابع ومتبوع[1]. قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ﴾ [غافر:47-48].

(1) انظر: تفسير أبي السعود :ج7، ص279.

4. **بيان فضل الله على العباد:** قال الله ﷻ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا المُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر:57-59]، وقال الله ﷻ: ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر:61]، وقال الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ * هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [غافر:63-65]، وقال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر:67].

في كل هذه الآيات دلالة واضحة وبينة على وجود الله ﷻ وحكمته وقدرته.

5. **الصبر سلاح قوي في تحقيق النصر** قال الله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ﴾ [غافر77-78]. في هذه الآيات بيان ودلالة قوية أن النصر الذي هو من عند الله لا يكون إلا بالصبر الجميل.

المطلب الثالث
محور السورة وجوُّها العام

سورة غافر مكية، وهي تعنى بأمور العقيدة، والموضوع البارز في هذه السورة هو المعركة بين "الحق والباطل" "والهدى والضلال"، ولهذا جاء جوُّ السورة مشحونًا بطابع العنف والشدة، وكأنه جوُّ معركة رهيبة، يكون فيها الطعن والنزال، ثم تسفر عن مصارع الطغاة، فإذا بهم حطام وركام.

يقول سيد قطب –رحمه الله: "هذه السورة تعالج قضية الحق والباطل. قضية الإيمان والكفر. قضية الدعوة والتكذيب، وأخيرًا قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين.. وفي ثنايا هذه القضية تلمّ بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم"[1].

وجو السورة كله كأنه جوَّ معركة حاسمة، بين الإيمان والطغيان، وبين الهدى والضلال، وبين المتكبرين والمتجبرين في الأرض، وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل، ثم نتنسم خلال هذه الآيات جوَّ نسمات الرحمة والرضوان حين يجيء ذكر المؤمنين.

ذلك الجو يتمثل في عرض مصارع الغابرين، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة، وهذه وتلك تتناثر في سياق السورة وتتكرر بشكل ظاهر، وتعرض في صورها العنيفة المرهوبة المخيفة، ومنذ بداية السورة إلى نهايتها نجد الآيات تلمس القلب وتهز الوجدان وتعصف بكيان المكذبين، وقد ترق أحيانًا فتتحول إلى لمسات وإيقاعات تمس هذا القلب برفق، وهي تعرض حملة العرش ومن حوله يدعون ربهم ليتكرم على عباده المؤمنين، أو وهي تعرض عليه الآيات الكونية والآيات الكامنة في النفس البشرية[2].

(1) في ظلال القرآن: ج5، ص3065.
(2) المرجع السابق: ج5، ص 3065 (باختصار).

المطلب الرابع

المناسبات في سورة غافر

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها

1. مناسبة السورة لما قبلها (سورة الزمر)

- تظهر المناسبة بين سورة (غافر) وما قبلها سورة (الزمر) في أنه لما كان ختام التي قبلها إثبات الكمال لله بصدقه في وعده ووعيده بإنزال كل فريق في داره التي أعدها له، ثبت أن الكتاب الذي فيه ذلك منه، وأنه تامٌّ العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال، فقال ﷻ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر:2]، أي الجامع من الحدود والأحكام، ولكل ما يحتاج إليه بإنزاله بالتدريج على حسب المصالح[1].
- في نهاية سورة غافر ذكر حال الكافر وحال المؤمن، وذكر هنا في بداية سورة غافر أنه ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ [غافر:3]ليكون ذلك استدعاء الكافر إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر.
- ذكر في كل من سورة الزمر وسورة غافر أحوال يوم القيامة وأحوال الكافرين فيه يوم القيامة[2].

2. مناسبة السورة لما بعدها (سورة فصلت)

- قال الله ﷻ في آخر سورة غافر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر:82]، فضمن وعيدًا وتهديدًا وتقريعًا لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزل كتابًا مفصلًا آياته، بشيرًا لمن اتبعه، ونذيرًا لمن أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه. ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي[3]، حيث قال ﷻ في سورة فصلت: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصّلت: 1-4].

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج17، ص2

(2) في رحاب التفسير:ج6، ص4994.

(3) انظر: البحر المحيط في التفسير ،ج9، ص283.

ثانيًا: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها:-

تظهر المناسبة بين افتتاحية سورة غافر وخاتمتها، أنها قد بدأت بقوله ﷻ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر:3]، وفي خاتمتها قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾ [غافر:84-85]. يذكر ﷻ أنهم لما رَأوا بأسه قالوا: آمنا، وهذه في الآخرة وهذا الإيمان لا ينفع، لأن الله ﷻ جاءهم بكل ما يؤدي إلى الإيمان والتوبة في الحياة الدنيا، فلما أصروا على كفرهم كان مصيرهم إلى العذاب والنار؛ فلا تنفع عندئذ التوبة ولا الإيمان.

ثالثًا: المناسبة بين اسم السورة ومحورها

إن المسلم يتحرى رضا الله ﷻ وغفرانه عن عقيدته والدعوة لها، فيأتي بالحجج والبراهين التي بيَّنها الله ﷻ في القرآن الكريم، فيخاصم ويحاجج في سبيل رضا الله وابتغاء غفرانه، فسميت سورة "غافر" أو سورة "المؤمن" إذ تتجلى صورة المؤمن وآدابه في حوار المشركين أو الذين يبتغي هدايتهم[1].

رابعًا: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمة ما قبله

تتلاءم سورة غافر مع نهاية سورة الزمر، والعلاقة بينهما واضحة، حيث كان الكلام عن أهل الجنة وكيف يدخلونها، وسورة غافر تبين أن الله ﷻ غفر ذنبهم وقبل توبتهم، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ * وَتَرَى المَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الزُّمر:73-75]. يتلاءم مع مقدمة سورة غافر، كما أن الحديث قبل هذه الآيات عن الذين سيقوا إلى جهنم، فيكون الحديث في قوله ﷻ: ﴿حم * تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر:1-3]. فكأنه يفرض

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ج6، ص528.

سؤالًا عن سورة الزمر، وهو: كيف كان؟ فيجاب: هذا هو مصيرهم الذي أدى إليه عملهم والذي قرره الله ﷻ لهم.

وفي سورة غافر الدفاع العقلي عن عقيدة المسلمين ضد حجج المشركين، فيكون آخر سورة الزمر أو موضوع سورة الزمر نتيجة لما قدمه المؤمنون من مقابلة المشركين بالحجج، فهذه السورة تبين ما أوصل المؤمنين إلى الجنة وما أوصل المشركين إلى النار[1].

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:: ج6، ص529.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة غافر

الآيات (41-45)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الرجل المؤمن يدعو قومه إلى الحق

المطلب الثاني: العناية الإلهية عصمت الرجل المؤمن من العذاب

المطلب الأول

إنكار الرجل المؤمن لدعوة قومه

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر:41-44].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

جاءت هذه الآيات تكرارًا وتأكيدًا لما قبلها من الآيات، فقد كرر نداءهم إيقاظًا لهم عن سِنةِ الغفلة، واهتمامًا بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به دعوته[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿أَدْعُوكُمْ﴾: الدعوة من الفعل دعا، يدعو، والدعوة المرة الواحدة من الدعاء[2]، والجمع: دعاة وداعون[3]، مصدر بمعنى: الدعوة، كالعافية والعاقبة، ومنه حديث عُمير بن أفصى: "لَيْسَ فِي الخَيْلِ دَاعِيَةٌ لِعَامل"[4]، أي لا دعوى لعامل الزكاة فيها ولا حق يدعو إلى قضائه، لأنها لا تجب فيها الزكاة، "ودعا الرجل دعوًا ودعاءً: ناداه، والاسم: الدعوة. ودعوت فلانًا، أي: صحت به واستدعيته"[5]. والدَّعْدَعَةُ: تحريك المِكيال ليستوعب الشَّيء[6].

وقوله في الآية ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ [غافر:41] أي أدعوكم إلى الإيمان بالله الذي ثمرته وعاقبته النجاة، وهذا هو الهدف من دعوة الناس إلى الإيمان

(1) انظر: المناسبات بين الآيات والسور: (ص:18).
(2) نظر: مختار الصحاح،(ص:105).
(3) نظر: المصباح المنير:ج3،ص225.
(4) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:ج2، ص122.
(5) لسان العرب :ج14،ص 258
(6) انظر: معجم مقاييس اللغة:ج2، ص257.

- ﴿أُشْرِكَ﴾: الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة[1]، والشركة والمشاركة هي خلط الملكين، وهذا في حق الله غير جائز، ومن يشرك بالله فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا. والشرك هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدًا، عينًا كان ذلك الشيء أو معنًى، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية، يقال: شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا، قال ﷻ: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه:32]، وروي أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: "إني شرفتك وفضلتك على جميع خلقي، وأشركتك في أمري[2]".
- ﴿لَا جَرَمَ﴾: "الجرم: القطع"[3]. وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجر[4]، قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:109]، وهي في الآية لا جرم:" حق عدم استحقاق آلهتكم العبادة، لأنها جمادات، ولأنها ليس لها دعوة مستجابة، مردنا إلى الله مرجعنا بالموت إلى لقاء الله" ([5]).
- ﴿وَأُفَوِّضُ﴾: أردُّه إليه[6]، يَدُلُّ عَلَى اتِّكَالٍ فِي الْأَمْرِ عَلَى آخَرَ وَرَدِّهِ عَلَيَّ[7]، "ومنه فوض إليه الأمر: صيره إليه وجعله الحاكم فيه. وفي حديث الدعاء: فوضت أمري إليك، أي: رددته إليك. ومنه حديث الفاتحة: "فوَّض إليَّ عبدي". والتفويض في النكاح: التزويج بلا مهر"[8].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ [غافر:41-42].

في هذه الآيات يحاور الرجل المؤمن بعقيدته وبحجته القوية قومه قائلاً: ما لي أدعوكم، أي: ما لكم يا قوم؟ أخبروني عنكم، ما بالي أدعوكم إلى النجاة من النار ودخول الجنة، بالإيمان بالله تعالى، وعبادة الله وحده لا شريك له، وتدعونني إلى عمل أهل النار، وهذا هو المسلك الذي

(1) انظر :معجم مقاييس اللغة: ج3، ص256.
(2) انظر: غريب القرآن :ج1، ص259.
(3) لسان العرب: ج12، ص90.
(4) انظر: مفردات القرآن :،ج1،ص826
(5) التفسير المنير للزحيلي:ج24، ص 127.
(6) انظر: مفردات القرآن للراغب: ج1،ص387.
(7) مقاييس اللغة:ج4، ص460.
(8) لسان العرب،ج4، ص368.

يوصل إلى النار، فالكفر والجحود بالله والشرك به هو الطريق الموصل إلى النار[1]، ثم فسّر الدعوتين قائلًا: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾، أي: تدعونني لأمر خطير جدًّا هو الكفر بالله، والإشراك به في عبادته جهلًا، ولم يقم أي دليل على ألوهيته، ولا علم لي من وجه صحيح بكونه شريكًا لله، وأنا أدعوكم إلى الإيمان بمن اتصف بصفات الألوهية الحقة، من العزة والقدرة والغلبة والعلم والإرادة والتمكن من المغفرة والتعذيب، فآمنوا به يغفر لكم ويعزكم، فهو القوي الغالب في انتقامه ممن كفر، الغفار في عزته وكبريائه لذنب من آمن به وتاب إليه، ثم أكد تفنيد دعوتهم وفساد منهجهم.

- قوله ﷻ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ* فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر:43-44].

ويضيف الرجل المؤمن في هذه الآيات قائلاً: "إن الذي تدعونني إليه من عبادة الأصنام والأنداد ليس له أي دعوة مستجابة، فلا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع ولا يضر، وأن مردنا إلى الله، وأن المسرفين هم أصحاب النار، أي: والواقع الحتمي أن مرجعنا ومصيرنا إلى الله بالموت، ثم بالبعث في الدار الآخرة، فيجازي كل إنسان بعمله، وأن المسرفين في المعاصي، المستكثرين منها، المتعدين حدود الله، المنغمسين في الشرك والوثنية والكفر، هم أهل النار الخالدين فيها بإسرافهم، وهو شركهم بالله ﷻ.

ويختم كلامه بخاتمة لطيفة مؤثرة فيها تذكير بالمستقبل، فقال: سوف تعلمون صدق ما أقول لكم من أمر ونهي ونصح وتذكير، في وقت لا ينفع فيه الندم، حين ينزل بكم العذاب الشديد في الآخرة، فإن الله سوف يعصمني من كل سوء في مقاطعتي لكم، فإن يهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدرة النافذة.

قال مقاتل: "هرب هذا المؤمن إلى الجبل، فلم يقدروا عليه' وهكذا يكون الرجل المؤمن صاحب العقيدة القوية قد أدى ما عليه من واجبات دعوية تجاه دينه الحق وتفنيد حجج المشركين والانتصار لله ورسوله"[2].

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:ج6، ص565.
(2) انظر: المرجع السابق: ج6، ص566.

رابعًا: الجانب العقدي في الآيات:-

يقول سيد قطب: "شتان بين دعوة ودعوة. إن دعوته لهم واضحة مستقيمة، إنه يدعوهم إلى العزيز الغفار. يدعوهم إلى إله واحد تشهد آثاره في الوجود بوحدانيته، وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره. يدعوهم إليه ليغفر لهم وهو القادر على أن يغفر، الذي تفضل بالغفران: ﴿**الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾، فإلى أي شيء يدعونه؟ يدعونه للكفر بالله، عن طريق إشراك ما لا علم له به من مدعيات وأوهام وألغاز! ويقرر من غير شك ولا ريبة أن هؤلاء الشركاء ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم شأن لا في دنيا ولا في آخرة، وأن المرد لله وحده، وأن المسرفين المتجاوزين للحد في الادعاء سيكونون أهل النار. قال تعالى: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ [غافر:43].

وماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسة في العقيدة؟ وقد جهر بها الرجل في مواجهة فرعون وملئه بلا تردد ولا تلعثم، بعد ما كان يكتم إيمانه، فأعلن عنه هذا الإعلان؟ لا يبقى إلا أن يفوض أمره إلى الله، وقد قال كلمته وأراح ضميره، مهددًا إياهم بأنهم سيذكرون كلمته هذه في موقف لا تنفع فيه الذكرى.

والأمر كله إلى الله: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ**﴾ [غافر:44]. وينتهي الجدل والحوار. وقد سجل مؤمن آل فرعون كلمته الحق خالدة في ضمير الزمان"[1].

خامساً: القراءات

قوله تعالى: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ**﴾ [غافر:44].

- قرأ ابن مسعود وأبو العالية وأبو عمران الجوني وأبو رجاء: ﴿**فستذَّكرونَ**﴾، بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها.
- قرأ أبي بن كعب وأيوب السختياني: ﴿**فستذَّكَّرونَ**﴾، بفتح الذال والكاف وتشديدهما جميعًا[2] والمعني سيذكرُ بعضكم بعضا.

(1) انظر: في ظلال القرآن: ج5، ص3083.
(2) انظر زاد المسير في علم التفسير:ج7، ص50.

العلاقة التفسيرية

أي: إذا نزل العذاب بكم ستذكرون ما أقول لكم في الدنيا من النصيحة، وعند ذلك ستكون عليكم الحسرة والندم الذي لن ينفعكم في ذلك الوقت[1].

سادساً: البلاغة

يقول الله ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ [غافر:41-42].

- توافق أواخر الآيات مع السجع البديع[2]، في قوله ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر:41].
- في قوله ﷻ: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ [غافر:42] بدل، أو بيان، فيه تعليل.
- في قوله ﷻ: {تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ} [غافر:42]. الاستفهام في الآية للتعجب من دعوتهم إياه إلى النار ودعوته إياهم إلى النجاة، كأنه قيل: أخبروني كيف هذه الحال؟ أدعوكم إلى الخير، وتدعونني إلى الشرِّ[3].

سابعاً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات:-

- تعلمنا الآيات أدب الحوار وأسلوب الداعية الذي يجب أن يستخدمه الدعاة إلى الله تعالى، فهو ينصحهم بعبادة الله ﷻ، كذلك يذكرهم بالموت. هذه الحقيقة التي لا ينكرها أحد كافر أو مسلم. وكذلك حال كل الأنبياء عندما بعثوا لأقوامهم، حيث كانت دعوتهم لأقوامهم مبنية على مبدأ الحوار، فربُّنا ﷻ قال مخاطبًا سيدنا محمدًا ﷺ في كتابه العزيز: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125]، وأسلوب الحوار في الموعظة الحسنة كان ديدن ومنهج كثير من الأنبياء، فنذكر هنا سيدنا إبراهيم وهو يخاطب والده، كما قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ

(1) انظر زاد المسير في علم التفسير:ج7، ص50
(2) انظر: تفسير المنير:ج24، ص126.
(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:ج7، ص277.

لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:42-45].

- ينبِّه الرجل المؤمن قومه إلى أن الحياة الدنيا ليست آخر المطاف، وإنما ستكون هناك حياة بعد الموت. فجزاء الذين اتقوا وآمنوا بالله كما قال الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [آل عمران:136]. وجزاء المنافقين والذين لم يؤمنوا بالله ويصدقوا برسوله كما قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة:68].
- كما أنه يجب عليهم أن يعرضوا رأي المؤمن على العقل والمنطق، وعندئذ سيعلمون أنه يدعوهم إلى النجاة، وأن المشركين لا تنفعهم أصنامهم ولا من يعبدون من حجر أو بشر، لأنهم مثلهم قابلون للفناء، ولا يمكن أن يحكموا ما لم يستطيعوا تحقيقه لأنفسهم، وهو النجاة أو الخلود.
- كذلك بيَّن لهم أن الحاكم الوحيد والفاعل في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو الله وحده لا شريك له. قال الله ﷻ: ﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:284].

المطلب الثاني

العناية الإلهية التي عصمت مؤمن آل فرعون من العذاب

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر:45].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بينت الآيات السابقة كلام المؤمن ونصحه لقومه، ومحذرًا لهم من العاقبة، وأكد لهم أنهم سيعلمون صدق دعواه حينما يحشرون، ثم فوض أمره إلى الله.

وفي هذه الآيات بيَّن الله ﷻ استجابة دعوة المؤمن، ووقاه شرَّ مكرهم، وأن آل فرعون وأتباعه سينالهم العذاب؛ وهذا العذاب في الدنيا وفي القبر وبعد الحساب يوم القيامة.

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿**فَوَقَاهُ**﴾: وقى: الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره. والوقاية: ما يقي الشيء، واتقِ الله: توقَّه، أي: اجعل بينك وبينه كالوقاية، قال رسول الله ﷺ: "**اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة**"(1)، وكأنه أراد: اجعلوها وقاية بينكم وبينها(2). وفي الآية وقاه تدبيرهم لقتله، ومكرهم لإيذائه(3).
- ﴿**وَحَاقَ**﴾: نزل وأحاط(4) بفرعون وقومه سُوءُ الْعَذَابِ؛ بأن أغرقهم الله تعالى في اليِّم، وجعلهم عبرة لمن يعتبر، ومنه: حاق به السوء يحيق. قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر:43](5).

---

(1) صحيح مسلم:ج2، ص704،كتاب الزكاة، "باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة"، (رقم الحديث:1016).
(2) مقاييس اللغة:ج6،ص131: لسان العرب: ج15، ص401.
(3) انظر: أوضح التفاسير: (ص:577).
(4) انظر: التحرير والتنوير: ج24، ص157، التفسير الوسيط: ج 12، ص 295.
(5) مقاييس اللغة: ج2، ص125، لسان العرب:ج100،ص71.

- ﴿سُوءُ﴾: إنما هي من باب القبح، "تقول: رجل أسوأ، أي قبيح، وامرأة سوآء، أي قبيحة[1]. والسُوءُ: الْعَذابُ، كني به عن الغرق وما بعده من النار وعذابها[2]، وفي الآية: ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر:45]، العذاب السيء[3] وأشده، ويقصد به الغرق في الدنيا والنار في الآخرة لفرعون وجنوده[4].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر:45].

تؤكد هذه الآيات أن الله ينصر رسله وأتباعهم، ولقد نجَّى الله ﷻ مؤمن آل فرعون، بعدما أرادوا قتله، فوقاه ما مكروا له، وحماه وحفظه من مكرهم الذي مكروا به من القتل[5] وأنزل الله أشدَّ العذاب بفرعون وبأتباعه في الدنيا والآخرة، وهو النار يعذبون ويحرقون بلهيبها، ويعرضون عليها صباحًا ومساءً[6].

رابعاً: البلاغة

اللطيفة البيانية في الفرق بين السوء والسيئات في الآية، يقول فاضل السامرائي صاحب كتاب "لمسات بيانية لسور القرآن الكريم": "السيئة هي فعل قبيح، وقد تُطلق على الصغائر، والسوء كلمة عامة سواء في الأعمال أو في غير الأعمال، وهي ما يُغَمّ الإنسان، ويقال: أصابه سوء، أصابته الآفة، أصابه المرض، ويقول تعالى لموسى ﷺ: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه:22]. أي من غير مرض، من غير عِلّة، من غير آفة، وقوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل:5]، كلمة سوء في الآية عامة.

---

(1) انظر: مقاييس اللغة: ج3، ص133.
(2) انظر: تفسير ابن عطية: ج4، ص561، التفسير المنير: ج24، ص127.
(3) انظر: الموسوعة القرآنية: ج11، ص106.
(4) انظر: التفسير المنير: ج3، ص389..
(5) انظر: المرجع السابق: ج24، ص127.
(6) انظر: التفسير الواضح: ج3، ص،307.

أما السيئة فهي فعل قبيح، فالمعصية عمومًا قد تكون صغيرة أو كبيرة، والسوء يكون في المعاصي وغيرها، فقد قال ﷻ: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**...﴾ [النساء:123]. وجزاء السيئة سواء كانت صغيرة أو كبيرة.

وفي سورة غافر حكاية عن آل فرعون: أولئك لهم سوء العذاب، مثل قوله ﷻ: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ**﴾ [غافر:45]. فكلمة سوء عامة وكلمة سيئة خاصة، وتُجمع على سيئات، أما كلمة سوء فهي اسم المصدر، المصدر لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه، هذا حكم عام"[1].

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- إن الله ينجي الدعاة الذين يفوضون أمرهم إلى الله في كل أمورهم، وكذلك يعصمهم من الزلل، وهذا حكم الله، لا رادَّ له، أنه سينجي رسله والمؤمنين، حكم بذلك وقدر. قال تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ المُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس:103]. وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم:72]، وقال ﷻ ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ**﴾ [الرُّوم:47]
- من يستكبر ويتعالى ويصرُّ على عناد الله ﷻ ويرضى بالكفر؛ سينالله من العذاب الذي أعده الله له في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر:60].

(1) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ج1، ص24.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة غافر

الآيات (46-50)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جزاء آل فرعون قبل وبعد قيام الساعة

المطلب الثاني: المناظرة بين الرؤساء والأتباع وهم في نار جهنم

المطلب الثالث: طلب الشفاعة من خزنة

المطلب الأول

جزاء آل فرعون قبل قيام الساعة وبعدها

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:46].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

في الآيات السابقة قارن الرجل المؤمن بين دعوته لقومه إلى الإيمان بالله تعالى طريق النجاة، وبين دعوتهم له إلى عبادة الأصنام طريق النار. ثم أخبر سبحانه عن وقايته وعصمته من السوء الذي دبروه له، وإغراق آل فرعون، وإدخالهم في جهنم يوم القيامة[1].

وفي هذه الآيات بيَّن الله ﷻ أن آل فرعون وأتباعه سينالهم العذاب؛ وهذا العذاب في الدنيا وفي القبر وبعد الحساب يوم القيامة[2].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: "والعرض العين والراء والضاد بناءٌ تكثرُ فروعُه، وهي مع كثرتها ترجعُ إلى أصلٍ واحد، وهو العَرْض الذي يُخالف الطُّول، ومنه: عَرُض الشيء يعرُضُ عِرَضًا"[3]، وقال الزحيلي في تفسيره ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾"أي يحرقون بها، فإن عرضهم على النار: إحراقهم بها، مأخوذ من قولهم: عرض الحاكم الأسارى على السيف" [4].
- ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: عذابًا متتابعًا صباحًا ومساءً إلى يوم القيامة[5].
- ﴿السَّاعَةُ﴾: يقصد بها يوم القيامة، وهي للحسابِ والجزاءِ[6]. قال الله ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام:31].

---

(1) انظر: تفسير المنير: ج24، ص128.
(2) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ج6، ص567.
(3) مقاييس اللغة: ج4، ص219.
(4) التفسير المنير للزحيلي:ج24، ص127.
(5) انظر تفسير ابن مسعود:ج1، ص397، الموسوعة القرآنيه:ج11، ص107، صفوة التفاسير:ج4، ص537، تفسير القرآن العظيم:ج7، ص218.
(6) انظر: تفسير غريب القرآن: ج4، ص42، تفسير ابن مسعود:ج1،ص397.

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:46].

في هذه الآيات يبين الله ﷻ عذاب آل فرعون بعدما أصروا على عنادهم وكفرهم، والعذاب هو أنهم في النار يعرضون عليها أي يحرقون بها، فإن عرضهم على النار: إحراقهم بها غدوًّا وعشيًا، صباحًا ومساءً.

وذكر هذين الوقتين يفيد التأبيد والدوام ما دامت الدنيا، فإذا قامت القيامة قال ربنا ﷻ للملائكة: أدخلوا آل فرعون هو ومن تبعه أشدَّ العذاب، عذاب جهنم، فإنه أشدُّ مما كانوا فيه، أو أشد عذاب جهنم[1].

ومعنى ذلك أن أرواح الكفار وهم في القبور تعرض على النار صباح مساء، أي تحرق بها، مما يدل على بقاء النفس، وثبوت عذاب القبر، كما روي عن هزيل قال: (إن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود، تروح وتغدو على النار؛ فذاك عرضها...)[2]، وقد يراد بهذين الوقتين التخصيص، فيعذبون بالنار فيهما[3].

وقد يخطر في وجدان الباحثة سؤال، يجب الإجابة عليه: هل الآخرة فيها غدوة وعشية؟ والإجابة على هذا السؤال كما قال صاحب تفسير "التسهيل لعلوم التنزيل الآخرة": لا غدوة فيها ولا عشية، وهي بمعنى غدوة وعشية من أيام الدنيا.

ومعنى عرضهم على النار أن أرواحهم يحرقون بها[4]،

وبعد ذلك عندما تقوم الساعة يقال لآل فرعون: ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب[5]،عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**ما أحسن محسن من مسلم أو كافر؛ إلا أثابه الله تعالى**"، **قال: قلنا: يا رسول الله، ما إثابة الله الكافر؟ فقال: "إن كان قد وصل رحمًا، أو تصدق بصدقة، أو**

(1) انظر: صفوة التفاسير:ج3، ص93، التفسير المنير:ج24، ص127،التحرير والتنوير ،ج24، ص194، أوضح التفاسير، (ص: 577).

(2) الزهد :ج1، ص 221، باب عرض الرجل على مقعده، (رقم الحديث:366).

(3) انظر السهيل لعلوم التنزيل:ج2، ص232، التفسير المنير:ج24، ص124.

(4) التفسير المنير للزحيلي:ج24، ص127.

(5) تفسير غريب القرآن ،ج21،ص398، تفسير ابن كثير ،ج7،ص148.

عمل حسنة، أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك"، قلنا: فما إثابته في الآخرة؟ قال ﷺ: "عذابًا دون العذاب"، وقرأ: ﴿**آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[1].

فائدة: في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾

الجدير بالذكر أن جميع العلماء يستدلون على عذاب القبر بهذه الآيات. وهناك أحاديث كثيرة على عذاب القبر، منها ما أخرجه الشيخان عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "**أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر»، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر**"[2].

قال ابن كثير: وهذه الآية: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:46] أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور[3].

فهذه الآية مكية، والاستدلال فيها لا غبار عليه، وكون الأحاديث التي رويت عن عائشة رضي الله عنها في المدينة لا تعارض بينها؛ فربما لم يحتج رسول الله ﷺ البرهان على عذاب القبر في مكة فلم يفسرها، أو لم يذكر عذاب القبر هناك، أو ربما ذكره ولكن لم يصل إلينا حديث عن الاستدلال في مكة مع وجوده، ونحن نعلم أن كثيرًا من الأحاديث في مكة لم تصل إلينا إلا في العهد المدني؛ لأن المسلمين لم يكونوا في مكة لتسمح لهم ظروفهم بتناقل الحديث.

رابعًا: البلاغة

- في قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**﴾ استعارة تمثيلية، حيث شبَّه حالهم بحال متاعٍ يعرض للبيع ويبرز لمن يريد أخذه، وقد جُعلت النار كالطالب الراغب في الكفار؛ لشدة استحقاقهم للهلاك[4].
- في قوله ﷻ: ﴿**غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾: كناية عن دوام العذاب لآل فرعون، لأن الزمان لا يخلو من هذين الوقتين[5]، كقوله تعالى بالنسبة لأهل الجنة: ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم:62].

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم:ج2، ص 278، قال عنه الحاكم "صحيح الإسناد"(رقم الحديث: 3001).
(2) صحيح البخاري:ج2، ص 98، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر،(رقم الحديث: 1372).
(3) انظر: تفسير ابن كثير:ج7،ص146.
(4) انظر: التفسير الواضح: ج 3، ص 306.
(5) انظر: التحرير والتنوير: ج24، ص195.

خامسًا: القراءات

في قوله ﷻ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:46].

- قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر ويعقوب: ﴿أَدْخِلُوا﴾، بهمزة قطع، وكسر الخاء.
- قرأ ابن كثير وأبو عمر وابن عامر: ﴿ادخُلُوا﴾، بهمزة وصل، وضم الخاء[1]﴿أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾.

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة: "(أدْخِلُوا) بقطع الألف وكسر الخاء: أنَّ الأمر هنا موجه إلى الملائكة الذين هم خزنة النار أن يُدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب، لأنَّ ليس هو ما يشاؤونه، ويفتعلونه من ذات أنفسهم، بل الزبانية يدخلونهم بعسف، وعنف، وسحب[2]".

وأما قراءة: (ادخُلُوا) بوصل الهمزة، وضم الخاء؛ فالأمر هنا موجه إلى آل فرعون، وتكون (آل فرعون) منصوبة على النداء: ادخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب.

قال صاحب زاد المسير: قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر وأبان عن عاصم: ﴿السَّاعَةُ ادْخِلُوا﴾ بالضم وضم الخاء، على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف، وقرأ الباقون بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدئون بفتح الألف[3]، والجمع بين هاتين القراءتين يتبيَّن المعنى أنَّ هناك أمرًا للملائكة بإدخال هؤلاء الكفار نار جهنم، كما أنَّ هناك أمرًا آخر لآل فرعون بدخول النار انصياعًا لأمر الملائكة، فإذا أدخِلوا دخلوا، وفيها شدة تعنيف وترهيب لهم وزيادة عزمٍ على تعذيبهم.

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- **إثبات عذاب القبر.** قال ﷻ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:46]، ما دامت الدنيا وبذلك يكون أمر وعدهُ الله

(1) انظر: التحرير ولتنوير:ج24، ص195، النشر في القراءات العشر، ج2، ص406.
(2) إعراب القراءات السبع وعللها: ج2، ص272.
(3) انظر: زاد المسير: ج7، ص51.

لهؤلاء الكفار قد نفذ وتحقق، لقوله ﷻ: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [غافر:59]. "قال أبو حنيفة: من قال: لا أعرف عذاب القبر؛ فهو من الجهمية الهالكة، لأنه أنكر قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ [التوبة:101]، يعني عذاب القبر. وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الطُّور:47]، وهذا في القبر، فإن قال: "أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها"، فهو كافر؛ لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله، فإن جحد بها فقد كفر[1]".

ولقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**مرَّ ﷺ على قبرين فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**"[2].

(1) الفقه الأكبر: (ص: 137)

(2) صحيح البخاري:ج1،ص 54، كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول،(رقم الحديث: 218)

المطلب الثاني

المناظرة بين الرؤساء والأتباع وهم في نار جهنم

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ﴾ [غافر:47-48].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

"هذه الآيات ابتداءً لقصة لا تختص بآل فرعون، فبعد أن أوضح الله تعالى أحوال النار في موعظة مؤمن آل فرعون، ذكر تعالى بعدها قصة المناظرة والمجادلة التي تجري بين الرؤساء والأتباع من أهل النار[1]".

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾: يتحاجون من الفعل: (حجج)، والحاء والجيم بمعنى القصد، وهي من الفعل حاجّه حجاجًا ومحاجّة، والمحاجة: المخاصمة، والمحجاج: كثير الخصومة، وبها يقصد الحق المطلوب. يقال: حاججت فلانًا فحججته، أي: غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع: حجج. والتحاجّ: الاحتجاج من جانبين فأكثر، بمعنى إقامة كل فريق حجته، وهو يقتضي وقوع خلاف بين المتحاججين؛ إذ الحجة تأييد لدعوى لدفع الشك في صحته[2]، وهو المقصود بالآية الكريمة كما أن الله ﷻ يخبر في هذه الآيات عن تحاج أهل النار وتخاصمهم وهذا الخصام بين الضعفاء والاتباع والذين استكبروا وهم السادة والكبراء وهذا يدل على أن ذلك يطارد هؤلاء حتى وهم في أشد العذاب الذي يعيشون فيه.
- ﴿الضُّعَفَاءُ﴾: "الضَعُفَ هو خلاف القوّة. ويقال: الضَّعْفُ في العقل والرأي، والضُّعْفُ في الجسد، ورجل ضعيف، وقوم ضعفاء وضعاف[3]"، وفي الآية "يقصد بالضعف عامة الناس الذين لا تصرف لهم في أمور الأمة،

(1) تفسير أبي حاتم:ج24، ص136، صفوة التفاسير:ج3، ص97.
(2) مقاييس اللغةج2، ص30، اعراب القرآن وبيانه: ج8، ص496، لتحرير والتنوير:ج24، ص161.
(3) مقاييس اللغة :ج3، ص362، لسان العرب: ج، ص209.

وهم الضعفاء الذين يتخاصمون في النار[1]".

﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: التكبر والاستكبار: اسمٌ للتكَبُّر والعَظَمة وهو عبارة عن كمال الذات وكمال الوجوب، ولا يوصف بها إلا الله تعالى.

- وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:146]، قال الزجاج: معنى "يتكبرون" أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم.

والتكبر لا يكون إلا لله خاصة[2]، واستكبر: أي امتنع عن قبول الحق معاندة وتكبرًا، وهم الذين تكبروا كبرًا شديدًا في الدنيا، وهم الرؤساء والقادة اللذين أولو الرأي فيهم.

والاستكبار على وجهين:

أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يكون كبيرًا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب، فهو محمود.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، فهذا هو المذموم، وعليه ورد القرآن، وهو قوله ﷻ: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة:34].

- ﴿تَبَعًا﴾: وتبعُ الشيء تبعًا وتباعًا في الأفعال، وتبعتُ الشيء: سرت في إثره، يقال: تبعت فلانًا إذا تلوته، وأتبعته: إذا لحقته [3] والمعنى في الآية أنهم يقولون لهم إنا كنا في الدنيا تابعين لكم ، ومنقادين لهواكم ومسخرين لخدمتكم [4].
- ﴿حَكَمَ﴾: الحكم: مَعروف حكم يحكم حكمًا. وَالله ﷻ الحَاكِم العدل، والحكم العدل فِي حكمه، والحكم القضاء، وأصله: المنع، يقال: حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه، فلم يقدر على الخروج من ذلك، وحكمت بين القوم: فصلت بينهم، فأنا حاكم وحكم بفتحتين، والجمع: حكام، ويجوز بالواو والنون. والحِكمةُ: مَرجعُها إلى العَدل والعِلم والحِلم. ويقال: أحكَمَته التَجارِبُ إذا كانَ حكيمًا. وأَحكَمَ فلانٌ عنّي كذا أي: مَنَعه[5].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير: ج24، ص61، بحر العلوم:ج3، ص208.

(2) انظر: معاني القرآن وإعرابه:ج2، ص376.

(3) انظر: لسان العرب:ج8، ص27، تاج العروس: ج20، ص372، مقاييس اللغة :ج1، ص362. التحرير والتنوير: ج24، ص161، تفسير الثعلبي: ج8، ص 278، تفسير الطبري:ج21، ص399.

(4) الوسيط لسيد طنطاوي (ص: 3708)

(5) انظر: جمهرة اللغة: ج1، ص564، المصباح المنير: ج2، ص145، كتاب العين: ج3، ص:63 تاج العروس:ج3، ص510.

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ﴾ [غافر:47-48].

تبين الآيات الكريمة في هذا المقطع حال الرؤساء والأتباع في نار جهنم، وهم في جدال وحوار عقيم لا فائدة منه، "فيقول الأتباع الضعفاء للرؤساء المستكبرين عن الإيمان واتِّباع الرسل: إنا كنا لكم في الدنيا أتباعًا كالخدم ننقاد لأوامركم، ونطيعكم فيما تدعوننا إليه من الكفر والضلال؛ فهل أنتم دافعون عنا جزءًا من هذا العذاب الذي نحن فيه"؟ قال الرازي[1]: "علموا أن أولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف، وإنما مقصدهم من هذا الكلام المبالغة في تخجيل الرؤساء، وإيلام قلوبهم، لأنهم سعوا في إيقاعهم في أنواع الضلالات، فقال الرؤساء جوابًا لهم: إنَّا جميعًا في نار جهنم، فلو قدرنا على إزالة العذاب عنكم؛ لدفعناه عن أنفسنا، لكن الله قضى قضاءً مبرمًا لا مردَّ له، بدخول المؤمنين الجنة، والكافرين النار، فلا نستطيع أن نفعل لكم شيئًا"[2].

رابعًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- التأكيد على استمرارية الجدل والخصومة يوم القيامة في نار جهنم بين الأتباع الضعفاء والمتبوعين الرؤساء، الذين استكبروا عن الانقياد للأنبياء، فهي حقيقة لا يمكن إنكارها.
- التنديد بالكبر والاستكبار؛ إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة.
- لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، بدلالة إجابة الكُبراء: إنا نحن وأنتم جميعًا في نار جهنم، وإن الله قضى بين العباد، وأخذ كل واحد منا ما يستحقه، فكل منا كافر.
- حسرة أهل النار، فإذا استقر أهل النار في النار، ونالوا جزاء كفرهم؛ ازدادت حسرتهم على ما فاتهم من النعيم، وما حلَّ بهم من العذاب المقيم. قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ *وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:166-167].

---

(1) مفاتيح الغيب للرازي:ج27، ص522.

(2) صفوة التفاسير:ج3، ص93، التفسير المنير:ج24، ص137، تفسير البغوي: ج4، ص144.

المطلب الثالث

طلب الشفاعة من خزنة جهنم

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:49-50].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

ذكرت الآيات السابقة مخاصمة الكفار بينهم في نار جهنم، وكيف أصبح حالهم، وفي هذه الآيات يستمر النقاش والمحاججة بين المشركين أنفسهم، مع بقاء الطابع الغالب في السورة وهو الصراع الفكري بين الحق والباطل.

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿لِخَزَنَةِ﴾: مفرد اللفظة: خازن، وتجمع على: خازنون، والمعنى هو متعهد أو مسئول الخزن، والخازن هو الذي يتولى حفظ المال وغيره وإنفاقه، وهو الشخص المسئول عن العائدات والأموال في حكومة أو شركة. وخازن النار: مالك عليه السلام. وهو المتكفل بحفظ الشيء وحراسته، والموكل بالنار وأهلها، وخَزنة جهنم هم القائمون عليها كالسجانين لأهل النار [1]. ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزُّخرف:77].

- ﴿ضَلَالٍ﴾: يقصد بها في الآية: ضياع وبطلان وبعد عن الحق؛ لإنكارهم عدل الله وحكمته، وفي اللغة ضلَّ: ضَلَّ يَضِلُّ إذا ضاعَ، والضلال: ضد الْهدى. وضل فِي الْأَمر ضلالًا: إذا لم يهتدِ لَهُ. وضل فِي الأَرْض ضلالًا: إذا لم يهتدِ للسبيل[2] والمعنى المقصود في الآية أي دعاؤكم لا ينفع ولا يجدي ولا يستجاب لهم لأن دعاء الكافرين ما هو إلا خسار وتبا [3].

---

(1) انظر: أيسر التفاسير: ج3، ص457، تفسير القطان:ج3، ص189، صفوة التفاسير:ج3، ص97، تفسير أبي السعود: ج7، ص279، معجم اللغة العربية المعاصرة:ج6، ص636.

(2) انظر: تفسير أبي السعود:ج7، ص280، صفوة التفاسير:ج3، ص،27: جمهرة اللغة :ج1، ص147، تاج العروس:ج29، ص346.

(3) انظر: صفوة التفاسير:ج3، ص 97.

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:49-50].

في هذه الآيات يتجه أهل النار جميعًا -أتباعًا ومتبوعين- بعدما يئسوا من سادتهم وأتباعهم إلى حراس جهنم وحفاظها، وهم جند الله في تنفيذ أمره، ويقولون لهم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾، يطلبون يومًا فقط. حتى يلتقطوا فيه أنفاسهم ويستريحوا. فيوم واحد يستحق الشفاعة واللهفة والدعاء[1].

ولكن خزنة جهنم لا يستجيبون لهذه الضراعة البائسة الذليلة الملهوفة. فهم يعرفون الأصول. ويعرفون سنة الله، ويعرفون أن الأوان قد فات. وهم لهذا يزيدون المعذبين عذابًا بتأنيبهم وتذكيرهم بسبب هذا العذاب[2].

وهل لخزنة جهنم إرادة أمام إرادة الله وقوته؟ ثم إنهم يستحيون من الله أن يطلبوا لهؤلاء الذين عصوا الله وحاربوا أولياءه تخفيف العذاب. فيقولون لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، ألم يرسل الله لكم من يعلمكم صواب السلوك وصحة العقيدة؟ ويأتوا لكم بكل الدلائل والبراهين التي يقبلها العقلاء ويسترشد بها الأسوياء، ولكن خالفتم فطرتكم والمنطق السليم، واتبعتم أهواءكم، وغرتكم زينة حياتكم الدنيا وظهوركم فيها وتقلبكم فيها. فاعترفوا بكل هذا: ﴿قَالُوا بَلَى﴾، فيردون عليهم: لن نطلب لكم، أي: التخفيف، وإنما اطلبوه أنتم بأنفسكم، وإن كنا نعلم أن طلبكم لن ينفذ بقولهم: ﴿قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

رابعًا: البلاغة

- في قوله ﷻ: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: "وضع الظاهر موضع المضمر، حيث وضع جهنم موضع الضمير، للتهويل والتفظيع، أو لبيان محلهم فيها، بأن تكون جهنم أبعد دركات النار، وفيها الكفرة، أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة، لمزيد قربهم من الله تعالى"[3].

(1) انظر: الوسيط للزحيلي:ج3، ص2278.
(2) انظر: في ظلال القرآن:ج5، ص3085.
(3) الجدول في لإعراب: ج24، ص257

- في قوله ﷻ: ﴿رَبَّكُمْ﴾: الإغراء بالدعاء، حيث أُضيف (رب) إلى ضمير المخاطبين ضربًا من الإغراء بالدعاء، أي: لأنكم أقرب إلى استجابته لكم.
- في قوله ﷻ: ﴿يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾: كناية عن القلة، حتى يخفف عنهم العذاب ولو زمنًا قليلًا. وذكر لفظ: ﴿يَوْمًا﴾ أريد به المقدار، فاحتاج إلى البيان على نحو التمييز[1].
- في قوله ﷻ: ﴿أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾: "استفهام تقريري: وهي دلالة على جواب خزنة جهنم لهم بأسلوب الاستفهام التقريري المراد به: إظهار سوء صنيعهم بأنفسهم، إذ لم يتبعوا الرسل حتى وقعوا في هذا العذاب، وتنديمهم على ما أضاعوه في حياتهم الدنيا من وسائل النجاة من العقاب. وهو كلام جامع يتضمن التوبيخ، والتنديم، والتحسير، وبيان سبب تجنب الدعاء لهم، وتذكيرهم بأن الرسل كانت تحذرهم من الخلود في العذاب[2].

فائدة في قوله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾: هل يستحق أصحاب النار الشفاعة يوم القيامة؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال؛ تودّ الباحثة أن تذكر ماذا يقصد بالشفاعة؟ وعلى من تجب في حكم العقيدة الإسلامية الصحيحة، والتي أخبرنا بها النبي ﷺ.

الشفاعة لغة: هي الوسيلة والطلب، وعرفها بعضهم بأنها سؤال الخير للغير[3]، وقيل: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، ويقال: شفع يشفع شفاعةً فهو شافع وشفيع، والمشفّع: الّذي يقبل الشّفاعة، والمشفّع: الّذي تقبل شفاعته. وفي "القاموس[4]" و"تاج العروس[5]": والشّفيع: صاحب الشّفاعة، والجمع: شفعاء، وهو: الطالب لغيره، يتشفّع به إلى المطلوب.

أقسام الشفاعة

تنقسم الشفاعة قسمين: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية.

فالشفاعة المثبتة هي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص، ولها شرطان مذكوران في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النَّجم:26].

(1) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص165.
(2) انظر: المرجع السابق:ج24، ص165.
(3) انظر: كتاب التوحيد المسمى بـ "التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد"(ص:195).
(4) انظر القاموس المحيط:ج1،ص734.
(5) انظر : تاج العروس :ج21،ص279.

يقول صاحب كتاب لمعة الاعتقاد: "لا يمكن أن تكون الشفاعة إلا بشرطين: برضا الله جل وعلا عن الشافع والمشفوع، وبإذنه"[1]، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:28]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:255].

وأما الشفاعة المنفية: فهي التي تطلب من غير الله، أو بغير إذنه، أو لأهل الشرك. قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:254].

ومن خلال البحث والتفصيل في موضوع الشفاعة؛ وجدت الباحثة أن العلماء قد قاموا بتصنيف الشفاعة إلى ثمانية أصناف وهي كالتالي:

- الشفاعة العظمى: وهي شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف، حتى يُقضى بينهم، حين يتراجع الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى -عليهم جميعًا صلوات ربي وسلامه-، وهي المقام المحمود.
- شفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها.
- شفاعة سائر النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وغيرهم، فيشفعون فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وهو تكريم من الله يوم القيامة لبعض التقاة، يشفع الله من يشاء فيمن شاء. قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...﴾ [البقرة:255].
- وشفاعة فيمن دخلها أن يخرج منها بعد أن يردها حقًا ويراها عين اليقين. قال ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:71-72].
- في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، فيشفع النبي ﷺ فيهم.
- الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.
- الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه.

(1) شرح لمعة الاعتقاد:ج14، ص7.

- الشفاعة في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوها فيخرجون منها.

رأي الناس في الشفاعة بين القبول والإثبات

القسم الأول: وقد نفوا الشفاعة، وهم الخوارج والمعتزلة؛ فنفوا شفاعته ﷺ في أهل الكبائر.

القسم الثاني: فقد أثبت أهل السنة الشفاعة بشرطان وهما: إذن الله للشافع أن يشفع، والثاني رضاه عن المشفوع له، ولا يرضى من العمل إلا ما كان خالصًا صوابًا[1].

أخرج الترمذي في سننه عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: "**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**"[2]. وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، أن ﷺ قال: "**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي في الآخرة**"[3].

فائدة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:50].

هل دعاء الكافرين يقبل عند الله؟

دعاء الكافرين غير مقبول في الآخرة ولا في الدنيا؛ لأن عموم الذوات يستلزم عموم الأزمنة والأمكنة[4]. وأما ما يوهم استجابة دعاء الكافرين، نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام:63-64]. وقوله: ﴿**دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [يونس:22-23]. فظاهر هذه الآية يدل على استجابة كرامة، ولكنها لتسجيل كفرهم ونكرانهم، وقد يتوهم في بعض الأحوال أن يدعو الكافر فيقع ما طلبه، وإنما ذلك لمصادفة دعائه وقت إجابة دعاء غيره من الصالحين، وكيف يستجاب دعاء الكافر وقد جاء عن النبي ﷺ استبعاد استجابة دعاء المؤمن الذي يأكل الحرام ويلبس الحرام، كما في حديث مسلم

(1) انظر: الكتاب: كتاب التوحيد المسمى بـ "التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد"(ص:195).
(2) سنن الترمذي:ج4،ص625"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول ﷺ، باب ما جاء في الشفاعة"،(رقم الحديث:2435) قال الألباني: صحيح.
(3) صحيح البخاري: ج8، ص67، كتاب الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة،(رقم الحديث: 6304).
(4) انظر: التحرير والمنير:ج24، ص166.

عن أبي هريرة: "**ذكر رسول الله ﷺ رجلًا يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام؛ فأنَّى يستجاب له**"[1].

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- بيان تخاصم أهل النار، وهو ما يتم من خصومة بين الأتباع والمتبوعين.
- التنديد بالكبر والاستكبار؛ إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة، وأن مصيرهم النار. قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر:60]. وعن الحارثة ابن وهب الخزاعي، عن النبي ﷺ قال: "**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبرَّه. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلٍ جواظٍ[2] مستكبر**[3]".
- عدم استجابة دعاء الكافر في الدنيا والآخرة. فقال الله ﷻ: ﴿**وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ [الرعد:14]، وقال: ﴿**وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [يونس:106]، وقال: ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [الزُّمر:38]. إن الذين يدعون من دونه لا تستجاب لهم دعوتهم، لأن دعوة غيره ضلال، والضلال ضد الهدى وكفرهم بذلك. وهذه الآية وأمثالها تقطع كل من دعا غير الله، من ميت أو غائب.

فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع، وليس في الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة من أجاز أن يُسأل ميت أو غائب من دون الله؛ لأنه لا قدرة له على شيء من أمر الدنيا، ولا من أمر الآخرة، مع غفلتهم وعدم استجابتهم لمن دعاهم، وكراهتهم لذلك[4].

---

(1) صحيح مسلم:ج2، ص703، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (رقم الحديث: 1015).

(2) الجواظ: الكثير اللحم، المختال في مشيته، شرح صحيح البخاري لابن بطال:ج6،ص 111.

(3) صحيح البخاري:ج8، ص 20، كتاب الأدب، باب الكبر، (رقم الحديث:6071).

(4) انظر: المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص: 230).

والتكفير بدعاء غير الله: هو نص بكتاب الله، لقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:213] وقوله ﷻ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:88]

وفي الحديث: "**من مات وهو يدعو لله ندًّا؛ دخل النار**"(1). وفي الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**"(2)، "وأعظم حقٍّ الإسلام وأصله الأصيل هو: عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فمن قالها وعبد غير الله، أو استكبر عن عبادة الله؛ فهو مكذب لنفسه، شاهد عليها بالكفر والإشراك"(3).

(1) صحيح البخاري: ج6،ص23، باب قوله ﷻ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ}، كتاب تفسير القرآن (رقم الحديث:4497).

(2) صحيح البخاري:ج1، ص14، باب: قوله ﷻ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}، كتاب الإيمان (رقم الحديث:25).

(3) الإتحاف في الرد على الصحاف (ص: 46)

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة غافر الآيات(51-85)

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(51-66)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(67-76)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(77-85)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة غافر

الآيات(51-66)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: "وعد الله للرسل بالنصر".

المطلب الثاني: الرد على المجادلين في آيات الله

المطلب الثالث: دلائل على وجود الله وقدرته وحكمته

المطلب الرابع: بيان وحدانية الله ﷻ، وعدم الشرك به

المطلب الأول

وعد الله ﷻ للرسل بالنصر

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر:52-55].

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بيَّن الله ﷻ في الآيات السابقة نقاش المشركين فيما بينهم، في هذا المقطع يطمئن الله ﷻ أولياءه ورسوله، ويقرر حقيقة أن الدافع وراء كفر هؤلاء إن هو إلا كبر في صدورهم، والحقيقة أنهم ينسون أو يتناسون حقيقتهم، وأن هذا التكبر لا يليق بمن هو محاط بعدمين ولا يملك الوجود الأول، كما لا يملك الفناء ووقته وسببه؛ فإذن علام التكبر.

وبعد أن وقى الله الرجل –وهو مؤمن آل فرعون– مما دبر له المشركون؛ قرر حقيقة طالما يؤكدها القرآن الكريم، وهي أن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة[1].

ثانيًا: معاني المفردات

– ﴿**الأَشْهَادُ**﴾: جمع شاهد أو شهد[2]، وهو الذي يشهد بالحجة على غيره[3]، وقيل: إن الأشهاد هم الأنبياء والمؤمنون يشهدون على المكذبين بمحمد ﷺ[4]، وكذلك الأشهاد هم الملائكة الذين يشهدون للرسل بالتبليغ، وللمؤمنين بالإيمان، وللكافرين بالكفر، وكل من يقوم يوم القيامة للشهادة على غيره يكون من الأشهاد، كما أشار إليه قوله: ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة:143]

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم :ج6، ص572.
(2) جمهرة اللغة :ج2، ص653.
(3) أيسر التفاسير:ج3، ص457، تفسير أبي السعود:ج7، ص280.
(4) انظر لسان العرب: ج3، ص241. التحرير والتنوير: ج 24، ص167، تفسير سيد طنطاوي (ص:3709).

- ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الظلم: مصدر ظلمته أظلمه ظلمًا، والظلم، بالضم الاسم. وأصله: وضعك الشيء في غير موضعه[1]، وفي الآية هم المشركون[2].
- ﴿العَشِيِّ﴾: أواخر النهار، وهو ما بعد الزوال، ويشمل الصلوات الثلاث الباقية[3].
- ﴿الإِبْكَارِ﴾: بكسر الهمزة: مصدر أبكر إبكارًا، وقرئ بفتحها على أنه جمع بكر، مثل سحر وأسحار[4]، والبكرة هي أول النهار، وهي صلاة الفجر[5]، وقيل: إن الإبكار من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس[6].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ **[غافر:52]**

هذه الآيات تؤكد أن وعد الله قاطع جازم، لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾، وهنا يخطر ببال الباحث سؤال، وهو: كيف ذلك؟ وعلى أرض الواقع يرى الناس الرسل ومن تبعهم، منهم من يقتل، ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذبًا مطرودًا، وأن المؤمنين فيهم من يُسام سوء العذاب، وفيهم من يُلقى في الأخدود، وفيهم من يُستشهد، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد. فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا؟

والجواب على ذلك: أن الشيطان يدخل إلى النفوس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل! وذلك لأن الناس يقيسون الأمور بظواهرها، ويغفلون عن قيم كثيرة وحقائق كثيرة في التقدير، حيث إن كثيرًا من الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان، وهي مقاييس بشرية صغيرة.

يقول سيد قطب: "أما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان، ولا يضع الحدود بين عصر وعصر ولا بين مكان ومكان، ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك"[7].

---

(1) جمهرة اللغة: ج2، ص934، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج5، ص1977.
(2) التحرير والتنوير: ،ج24، ص167.
(3) انظر: الموسوعة القرآنية: ج11، ص108، التفسير المنير: ج24، ص141.
(4) التفسير المنير: ج24، ص140.
(5) الموسوعة القرآنية: ج11، ص108، التفسير المنير: ج24، ص141.
(6) الهداية إلى بلوغ النهاية:ج10، ص6449.
(7) ظلال القرآن:ج5، ص، 3085.

وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها. فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها، وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها!

والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم قريبة الرؤية لأعينهم. ولكن صور النصر شتى، وقد يتلبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة، فإبراهيم عليه السلام وهو يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها، أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟ وهل من شك في منطق العقيدة أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار. كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار. هذه صورة وتلك صورة. وهما في الظاهر بعيد من بعيد. فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب![1]. إذن هذه الآيات تجبرنا في هذا الواقع أن نسأل ماذا يقصد بالنصر؟ وماذا يقصد بالهزيمة؟

إننا في حاجة إلى أن نراجع ما استقر في تقديرنا من الصور، ومن القيم. قبل أن نسأل: أين وعد الله لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا؟ على أن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة. ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة. لقد انتصر محمد ﷺ في حياته. لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض. فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعًا. من القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة. فشاء الله أن ينتصر صاحب هذه العقيدة في حياته، ليحقق هذه العقيدة في صورتها الكاملة، ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية محددة مشهودة.

ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة، واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية وفق تقدير الله وترتيبه.

كذلك ينبغي علينا أن نعلم وندرك أن وعد الله قائم لرسله وللذين آمنوا، ولابد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها، وحقيقة الإيمان كثيرًا ما يتجوز الناس فيها وهي لا توجد إلا حين يخلو القلب من الشرك في كل صوره وأشكاله خفية، فلا يخلص القلب من الشرك إلا حين يتجه لله وحده، ويتوكل عليه وحده، ويطمئن إلى قضاء الله فيه، وقدره عليه، ويحس أن الله وحده هو الذي يصرفه، فلا خيرة له إلا ما اختار الله عندئذ.

- **قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾:**

وذلك مهما طال الأمد، ومهما تتعقد الأمور، ومهما تتقلب الأسباب. إنه وعد من يملك التحقيق. يقول سيد قطب: "وفي الطريق، خذ زاد الطريق: وهو الاستغفار، لقوله ﷻ: ﴿**فَاسْتَغْفِرْ**

(1) انظر: ظلال القرآن: ج5، ص3085.

﴿لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾. هذا هو زاد المسلم في طريق الصبر الطويل الشاق، استغفار للذنب، وتسبيح بحمد الله، والاستغفار المصحوب بالتسبيح وشيك أن يجاب، وهو في ذاته تربية للنفس وإعداد وتطهير للقلب وزكاة، وهذه هي صورة النصر التي تتم في القلب، فتعقبها الصورة الأخرى في واقع الحياة"[1].

- **قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر:52]**

وبعد كل ذلك؛ وفي نهاية المطاف لا ينفع الظالمين معذرتهم، كذلك لهم اللعنة ولهم سوء الدار، حين يقوم الأشهاد يوم القيامة، كذلك بحكم من الله ﷻ لن يقبل من المشركين اعتذارهم ولا حتى تقديم فدية منهم، إن معذرتهم باطلة وشبهتهم زائفة، ولهم الطرد والبعد من الرحمة، ولهم سوء الدار، وشر ما في الآخرة وهو النار، والعذاب الأليم فيها.

- **قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [غافر:53-54]**

وبعد بيان نصر الأنبياء في الدنيا والآخرة، ذكر تعالى بعض مظاهر النصر في الدنيا، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ ...﴾، أي تالله لقد أعطينا موسى التوراة والنبوة، فاشتملت التوراة على الأحكام والشرائع الهادية لقومه، وتأيدت نبوته بالمعجزات الظاهرة كاليد والعصا، ثم أبقينا التوراة بعد موسى ﷺ مع بني إسرائيل، يتوارثها الخلف عن السلف، هداية لهم وتذكرة لذوي العقول الصحيحة السليمة، أو هاديًا ومذكرًا لأهل العقول، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا...﴾ [المائدة:44].

- **قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر:55]**

وإذا كان النصر مقررًا للرسل والأنبياء، فما عليهم إلا الصبر، لذا أمر نبيه بالصبر: اصبر أيها الرسول على أذى المشركين، كما صبر من قبلك من الرسل، فما جزاء الصبر إلا الخير، فالله ناصرك وعاصمك من الناس، ووعد الله بالنصر وغيره حق ثابت لا يخلفه أبدًا، وداوم على الاستغفار لذنبك كترك الأولى، أو لزيادة الثواب، أو لإرشاد المؤمنين والتأسي بك، فإن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ودُمْ على تنزيه الله مقرونًا بحمده في أواخر النهار وأوائل الليل[2].

(1) ظلال القرآن: سيد قطب ،ج5، ص3087.
(2) انظر: التفسير المنير:ج24، ص144.

لذا فإن النصرُ حليف المؤمنين الموحدين طالما تسلحوا بالصبر والعزيمة وكان زادهم الحفاظ على الصلاة في مواعيدها ، واستغفروا الله لذنوبهم، وسبحوا الله بالعشي قبل منامهم ، وبالإبكار قبل ذهابهم لتحصيل أرزاقهم.

رابعًا: البلاغة

- التعبير بالمضارع وذلك في ﴿لَنَنْصُرُ﴾ لما فيه من استحضار حالات النصر العجيبة التي وصفها في هذه السورة، والحكمة من ذلك أن نصر الرسل الذين سبقوا محمدًا ﷺ قد مضى، ونصر محمد ﷺ مترقب غير حاصل حين نزول الآية[1].
- تقديم ﴿لَهُمْ﴾ في الآية، للاهتمام بالانتقام من الكفار الذين يستحقون العذاب[2].
- الطباق بين لفظي ﴿بالعشي والإبكار﴾[3].
- الكناية: ﴿بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾، وهي كناية عن ذكر الوقت، ذلك لأن فيهما يصفو القلب، ويتسع المجال للتدبر والسياحة مع ذكر الله[4].

خامسًا: القراءات

قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر:52]

1. قرأ نافع والكوفيون: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾ بالياء على التذكير.
2. قرأ الباقون: ﴿يَوْمَ لَا تَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾ بالتاء على التأنيث[5].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

قرئ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾ "بالتذكير والتأنيث، لأن الفاعل ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ مؤنث غير حقيقي، قال ابن خالويه: يقرأ بالتاء دلالة على تأنيث المعذرة، وبالياء لحائل بين الفعل والاسم، أو لأن تأنيث الاسم ليس بحقيقي"[6].

---

(1) التحرير والتنوير:ج24، ص167.
(2) المرجع السابق:ج24، ص167.
(3) المرجع السابق نفسه: ج24، ص167.
(4) ظلال القرآن :سيد قطب ،ج5، ص3087.
(5) النشر في القراءات العشر ج2، ص365، تحبير التيسير: (ص:199).
(6) الحجة في القراءات العشر ج1، ص316.

وتعليقًا على معنى القراءتين، قال ابن جرير: "والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[1]".

وترى الباحثة أنه لابدَّ من تسليط الضوء على دلالة كل قراءة في سياق الآية وأثرها على المعنى، فالقاعدة اللغوية تجيز استخدام تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل مؤنثًا حقيقيًا، ولكن لابد من البحث عن حكمة استعمال التذكير في قراءة، والتأنيث في قراءةٍ أخرى، فكل قراءةٍ لها دلالتها على المعنى.

في قراءة ﴿تَنْفَعُهُمْ﴾ بتاء التأنيث كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على المعذرة نفسها، بحيث لن تنفع المعذرة، لأنها لم تقع، فتفيد نفي المعذرة، ومن ثمّ المنفعة على معنى: لا تنفع المعذرة من الظالمين فتنفعهم.

وفي قراءة ﴿يَنْفَعُهُمْ﴾ بالتذكير كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على الظالمين، بحيث لا يقبل من الظالمين اعتذار فينفعهم، تفيد وقوع المعذرة من الظالمين وإن كانت قليلة، لكن لا تنفعهم معذرتهم بسبب ظلمهم، ولأن المعذرة تكون باطلة، ولا يجدون دفاعًا عن أنفسهم إلا بها.

قال الألوسي: "(لا) تحتمل أن تكون لنفي النفع فقط على معنى أنهم يعتذرون ولا ينفعهم معذرتهم لبطلانها، وتحتمل أن تكون لنفي النفع والمعذرة على معنى لا تقع معذرة لتنفع"[2]، وقال: الزمخشري: "يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة، ولكنها لا تنفع، لأنها باطلة، وأنهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة"، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[3].

وقال الجرجاني في حاشية الكشاف تعقيبًا على قول الزمخشري: "قلت: هما الاحتمالان في قوله تعالى: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، ولكن بين الموضعين فرقًا يصير أحدهما معه عكس الآخر، وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون المراد أنهم لا معذرة لهم البتة، يكون قد نفى صفة المعذرة وهي المنفعة التي لها تراد المعذرة، قطعًا لرجائهم، كي لا يعتذروا البتة، كأنه قيل: إذا لم يحصل ثمرة المعذرة؛ فكيف يقع ما لا ثمرة له؟ وفي الآية المتقدمة جعل نفى الموصوف بتًّا لنفى الصفة، ولهذا أولى النفي"[4].

(1) جامع البيان ج3، ص247.
(2) انظر: روح المعاني : ج24، ص77.
(3) انظر: الكشاف: ج4، ص172.
(4) تفسير المرجع السابق:ج4، ص172.

وبالجمع بين القراءتين يتبين من المعنى: نفي النفع مطلقًا للظالمين معذرتهم، سواءٌ اعتذروا أم لم يعتذروا، وإن وقعت المعذرة؛ فهي باطلةٌ.

سادسًا: فائدة

في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر:52-55]

1. في هذه الآيات عبر ﷻ عن يوم القيامة بيوم يقوم الأشهاد، للإشعار بأن نصر الرسل والمؤمنين في هذا اليوم سيكون نصرًا مشهودًا معلومًا من الأولين والآخرين كما وعدهم ربهم، لا ينكره منكر، ولا ينازع فيه منازع[1].
2. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ...﴾ دلالة عظيمة وقوية، وهي البشارة السارة العظيمة للمؤمنين، ومن الإهانة التي ليس بعدها إهانة للكافرين[2].
3. النصرة لرسله ولعباده المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [غافر:53-54]. ومعنى ذلك: لقد آتينا عبدنا ونبينا موسى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع[3].
4. أمر الله ﷻ للنبي ﷺ بالاستغفار، وذلك للاستئناس والتأسي به: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾[4].

سابعًا: الأحكام الشرعية في الآيات الكريمة

1. إن الله تكفل بنصر عباده المرسلين وأوليائه المؤمنين، الذين التزموا بطاعة الله ﷻ في الدنيا والآخرة، قال السدي: "ما قتل قوم قط نبيًّا أو قومًا من دعاة الحق من المؤمنين؛ إلا بعث الله ﷻ من ينتقم لهم، فصاروا منصورين فيها، وإن قتلوا"[5].

---

(1) انظر: تفسير سيد طنطاوي : (ص:3709).
(2) انظر: المرجع السابق: (ص:3709).
(3) انظر: المرجع السابق نفسه: (ص:3710).
(4) التفسير المنير: ج24، ص141.
(5) انظر: تفسير السُدي:(ص:424).

2. تشهد الملائكة للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأمم بالتكذيب.

3. إن الإكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع العظيم من أهل المشرق والمغرب يكون أتم وأبهج وأمتع.

4. قد يكون النصر والتكريم بسبب الدفاع عن المسلم، حيث جاء في الحديث الثابت الذي رواه البيهقي عن أبي الدرداء، يقول النبي ﷺ: "من رد عن عرض أخيه المسلم، كان حقًّا على الله ﷻ أن يرد عنه نار جهنم، ثم تلا: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا﴾"[1].

وعن النبي ﷺ أنه قال فيما رواه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: "من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردى فهو ينزع بذنبه" [2].

5. من أنواع نصر الرسل في الدنيا والآخرة: إيتاء موسى ﷺ التوراة والنبوة، وسميت التوراة هدى بما فيها من الهدى والنور، ثم جعل الله التوراة ميراثًا لبني إسرائيل، وموعظة لأصحاب العقول.

6. أمر الله نبيه بأمور ثلاثة: الصبر على أذى المشركين، والاستغفار للذنب الصغير أو ما هو خلاف الأولى، أو ما صدر منه قبل النبوة أو محض التعبد، والتسبيح المقرون بالتحميد بالشكر له والثناء عليه، أو المواظبة على صلاة الفجر وصلاة العصر، قيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس: ركعتان غدوة وركعتان عشية. وبعد نسخ ذلك لابد من المواظبة على الصلوات الخمس. والأصح حمل الاستغفار على التوبة عن ترك الأولى والأفضل، أو على ما كان قد صدر عنه قبل النبوة.

7. إن مجادلة المشركين في آيات الله هي مجادلة بغير حجة عقلية أو نقلية، والذي دفعهم إلى ذلك الكبر عن اتباع الحق، وقصدهم إبطال آيات الله، وإثارة الشبهات حولها، ولكن لن يحقق الله آمالهم. وما على النبي ﷺ وأتباعه إلا الاستعاذة بالله من شر الكفار، والاعتصام به، والاستعانة بعزته وقدرته وجلالة [3].

(1) شعب الإيمان للبيهقي: ج10، ص101.
(2) سنن أبي داود:ج2،ص 753. باب في العصبية (رقم الحديث:5117)، قال الألباني : صحيح .
(3) انظر: تفسير المنير، ج24، ص146.

ثامنًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- أن نصر لله أكيد للدعاة وللمؤمنين المجاهدين، لإعلاء كلمة الله وتطبيق شريعته.
- وحدة الدين، وأن الله أرسل جميع الرسل لتوحيده، فلا تناقض بين الكتب التي نزلت على الرسل جميعًا: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:41]، وهذا الخطاب لبني إسرائيل ليؤمنوا بشريعة محمد ﷺ ورسالته.
- يجب على الداعية أن يتحلَّى بالصبر، ولا يسأم من الدعوة إذا أصابه أذىً في سبيل الله حين يدعو إلى شريعته، فإن الظفر مع الصبر.
- النصر الحقيقي في الحياة الدنيا يحتاج إلى جلاء وبيان وتقوى.
- لا نجد أحدًا من المؤمنين يجادل بالآخرة في هذه النهاية.

المطلب الثاني
الردُّ على المجادلين في آيات الله

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ * لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا المُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر:56-59]

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

في الآيات السابقة بيّن الله أن النصر حليف المؤمنين، فما عليهم إلا الأخذ بالأسباب والصبر في الجهاد والدعوة والاستغفار، وفي هذه الآيات يبيّن الله ﷻ أن المجادلين من المشركين لا يدفعهم فكر ولا عقيدة سليمة، وإنما الدافع الوحيد للجدل بهذه الصورة هو التكبّر.

ثم يبيّن الله ﷻ سفاهة المتكبرين وخفة عقولهم، فإنَّ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الإنسان، وهي في وظيفتها وفي المساحة التي تحتلها في الكون لم يكن الإنسان إلا جزءًا يسيرًا جدًّا من هذا الكون، فعلامَ التكبر إذن؟!![1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿يُجَادِلُونَ﴾: الجدل وهو شدة الخصومة ومراجعة الكلام بالباطل، قال ﷻ: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف:54]، والجدل مفرد، مصدره جدل ومجادلة وجدالاً، وهم الذين يمارون في آيات الله بغير حق أو حجة أو دليل[2].
- ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: من غير حجة ملزمة أو دليل قاطع[3].

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:ج6،ص577.

(2) المغرب في ترتيب المعرب: (ص:77)، مختار الصحاح (ص:55)، معجم اللغة العربية المعاصرة:ج1، ص352.

(3) تفسير القطان3:ج، ص190.

- ﴿إِلاَّ كِبْرٌ﴾: أي استكبر وتعالى عن اتباع الحق[1]، قال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:35]، أي: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات اللّه بغير سلطان أتاهم، يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين الذين أبوا أن يوحدوا اللّه ويصدقوا رسله، واستعظموا عن اتباع الحق، فيصدر عنهم أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب والجدل بغير الحق[2].
- ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾: أي ما هم ببالغي موجب الكبر. أي ليس تعاليهم بموصلهم إلى غايتهم.
- ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾: فاطلب الحفظ منه، وتعوذ بالله من سخطه، "تعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، أي: عاذ به والتجأ إليه واعتصم به، قال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:200]، وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:98]
- ﴿السَّاعَةَ﴾: يوم القيامة[3]. وهي للحسابِ والجزاءِ[4]. قال ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:31]

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [غافر:59]

الخطاب هنا موجه لسيدنا محمد ﷺ، أي: يا محمد، إن الذين يخاصمونك أيها الرسول فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير حجة، ما يحملهم على هذا الجدل إلا كبر في صدورهم، يمنعهم عن اتباعك، وعن قبول الحق الذي جئتهم به، إذ لو سلموا بنبوتك لزمهم أن يكونوا تحت لوائك وطوع أمرك ونهيك، لأن النبوة ملك ورياسة، وهم في صدورهم كبر لا يرضون معه أن يكونوا

(1) مفردات القرآن:(ص:822).
(2) تفسير المراغي: ج24، ص70.
(3) تفسير ابن مسعود:ج1، ص397، المنير:ج24، ص136.
(4) تفسير غريب القرآن:ج4، ص42.

في خدمتك، وما هم ببالغي موجب الكبر، وهو دفع الرياسة والنبوة عنك، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس ذلك بالذي يدرك بالأماني.

ثم أمر رسوله أن يستعيذ من هؤلاء المجادلين المستكبرين، فيقيه من أذاهم وشرهم، ويكلؤه ويحفظه منهم فقال: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، أي: فالتجئ يا محمد إلى الله تعالى في دفع كيد من يشنؤك ويبغي عليك، فهو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها[1].

- قوله ﷻ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:57].

خلق الله ﷻالسموات والأرض ابتداءً من غير سبق أعظم في النفوس وأجل في الصدور من خلق الناس لكبر أجرامهما، واستقرارهما من غير عمد، وكذلك جريان الأفلاك بالكواكب بلا سبب.

وقد جرت العادة في مزاولة الأفعال أن علاج الشيء الكبير أشق من علاج الشيء الصغير، فمن قدر على ذلك قدر على ما دونه، كما قال ﷻ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:33]

- وقوله ﷻ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أكثر هؤلاء المشركين الذين كفروا بالله ﷻ لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها ولا يعلمون أن الله لا يعجزه شيء[2].
- وقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا المُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر:58-59].

البصير يرى ويعلم ويعرف قدره وقيمته، ولا يتطاول، ولا ينتفخ ولا يتكبر لأنه يرى ويبصر. والأعمى لا يرى ولا يعرف مكانه، ولا نسبته إلى ما حوله، فيخطئ تقدير نفسه وتقدير ما يحيط به، ويتخبط هنا وهنالك من سوء التقدير، وبين الأمرين تناقض؛ فلا يستويان.

وكذلك لا يستوي الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء. إن أولئك أبصروا وعرفوا فهم يحسنون التقدير. وهذا عمي وجهل فهو يسيء. يسيء كل شيء. يسيء إلى نفسه، ويسيء إلى

(1) تفسير المراغي:ج24، ص84.
(2) انظر: المرجع السابق:ج24، ص84.

الناس. ويسيء قبل كل شيء إدراك قيمته وقيمة ما حوله. ويخطئ في قياس نفسه إلى ما حوله. فهو أعمى. والعمى عمى القلوب! قال ﷻ: ﴿قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. وفي هذا القول معنى جميل لو تذكرنا لعرفنا. فالأمر واضح قريب. لا يحتاج إلى أكثر من التذكر والتذكير، ثم لو تذكرنا الآخرة ووثقنا من مجيئها، وتصورنا موقفنا فيها، لستحضرنا مشهدنا بها[1].

وفي نهاية هذا المقطع يؤكد ربنا ﷻ بمجيء الساعة وحقيقة البعث، وتنديد بالذين يصرون على جحودهما مع ثبوت قدرة الله عليهما وحكمته فيهما[2]، لذلك حكم عقلك أيها الكافر؛ تنجُ من العقاب، لأنه كما قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. قال أبو إسحق الثعلبي: "إن الساعة لآتية، أي: لجائيةٌ لا ريب فيها، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها"[3]، وقال الطبري: "ولكن أكثر قريش لا يصدّقون بمجيئها"[4].

إذن فلا تكن مع أكثر الذين لا يؤمنون، مع أن الواقع وسير الحياة ونظام الكون كله يدل على ذلك، فلو لم تكن هناك محاسبة وإحصاء للأعمال وعرضها في يوم القيامة؛ لكان هناك ظلم في أصل الخلقة، وما شاء الله أن يفعل إلا الحق، فلا يمكن أن يتساوى في المصير، فمثلاً فرعون وموسى ومحمد ﷺ وأمية بن خلف وأبو جهل، محمد وموسى وأتباعهم أرادوا الخير للناس، وضحَّوا من أجله براحتهم وسعادتهم الدنيوية. وفرعون وأمية بن خلف وأبو جهل سخروا الخلق لشهوتهم وأطماعهم الشخصية، فهل يكون مصيرهم بعد الموت واحدًا؟ لا يقول بهذا عاقل[5].

رابعًا: البلاغة

- في قوله ﷻ: ﴿السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾: صيغة مبالغة.
- في قوله ﷻ: ﴿الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾: طباق.
- في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾: استعارة، حيث استعار لفظ الأعمى للكافر، ولفظ البصير للمؤمن[6].

---

(1) انظر: ظلال القرآن: ج5، ص3091.
(2) انظر: التفسير الحديث :ج4، ص390.
(3) تفسير الثعلبي :ج8، ص289.
(4) تفسير القرطبي :ج21، ص406.
(5) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:ج6، ص580.
(6) انظر: تفسير المنير: ج24، ص141.

- في قوله ﷻ: ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾: فن الإلجاء[1]: مجادلة الكفار في آيات الله كانت مشتملة على أمور كثيرة من الجدال والمغالطة واللجاج والسفسطة، وفي مقدمتها إنكار البعث، وهو في الواقع أصل المجادلة ومحورها الذي عليه تدور، فبادر سبحانه إلى مبادأتهم بما يسقط في أيديهم، ويقطع عليهم طرق المكابرة والمعاندة وهو خلق السموات والأرض، وقد كانوا مقرين بأن الله خالقها، وبأنها خلق عظيم، فخلق الناس بالقياس شيء هيِّن، ومن قدر على خلقها مع عظمها كان -ولا شك- على خلق الإنسان الضعيف أقدر، وبه أُقِمْنَ[2]، والكلام الموجه للكفار يحمل على أسلوب التوبيخ والتهديد للكفرة المتكبرين والمعاندين[3].
- في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾: فن حسن النسق[4]. وهو على ثلاث صور:

الأول: أن يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية، فالأعمى يجاور البصير، وهذان الوصفان مستعاران لمن غفل عن معرفة الحق في مبدئه ومعاده، وقدم الأعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم.

الثاني: أن يتأخر المتقابلان، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ...﴾ [هود:24].

الثالث: أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [فاطر:19-20][5].

خامسًا: القراءات

1. "قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاء الخطاب.

---

(1) فن الإلجاء: فن رفيع من فنون البلاغة، وهو أن يبادر المتكلم خصمه بما يلجئه الى الاعتراف بصحته، وبهذا صح التحامه مع ما قبله من الكلام.

(2) انظر: إعراب القرآن وبيانه:ج8، ص503.

(3) انظر: تفسير الثعالبي :ج5، ص120.(بتصرف)

(4) فن حسن النسق: هو عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحمًا سليمًا مستحسنًا لا معيبًا مستهجنًا.

(5) انظر: إعراب القرآن وبيانه: ج8، ص503.

2. وقرأ الجمهور: ﴿قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياء"[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، بياء الغيبة، الإخبار عن هؤلاء، فقد قَلَّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه مما دعوا إليه[2]، بخلاف حال المؤمنين الذين يبصرون حجج الله فيتفكرونها، ويتعظون بها.

وأما قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾، بتاء الخطاب فتفيد توجيه الخطاب إلى الكفار بأمرٍ من الله لنبيه محمد ﷺ، أي: قل لهم يا محمد: إنكم أيها الكفار قليلاً ما تذكرون، كما أن قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فيها مزيد توبيخ وتقريع لكفار قريش، قال النيسابوري: "﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه مزيد توبيخ وتقريع، وفيه أن هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معاندًا ومصرًّا"[3]، وقال الألوسي: "إن التاء للتغيب أو الالتفات أو أمر الرسول ﷺ بالمخاطبة، أي: بتقدير: قل قبله، وآثر العلامة الطيبي الالتفات، لأن العدول من الغيبة إلى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والإنكار البليغ، فهذه الآية متصلة بخلق السماوات، وهو كلام مع المجادلين. وتعقبه صاحب الكشف بأنه يجوز أن يجعل ما ذكر نكتة التغليب، فيكون أولى لفائدة التعميم أيضًا؛ فليفهم، والظاهر أن التغليب جارٍ على احتمال كون الضمير للناس واحتمال كونه للكفار، لأن بعض الناس أو الكفار مخاطب هنا، والتقليل أيضًا يصح إجراؤه على ظاهره، لأن منهم من يتذكر ويهتدي"[4].

ومن العلماء من اعتبر أن التاء أعمّ[5]، قال ابن زنجلة: "والتاء أعمّ، لأنها تجمع الصنفين، أي: أنتم، وهم"[6]. وبالجمع بين القراءتين يظهر أن الله أمر نبيه محمدًا ﷺ أن يخاطب هؤلاء المجادلين في آيات الله من الكفار، على وجه التوبيخ والتقريع والإنكار الشديد عليهم، وأن يقول لهم: إنهم لا يعتبرون ولا يتعظون من هذه الأمثال التي يضربها الله ﷻ للناس، إلا قليلاً، أو لا يتعظون أصلاً، فإنه قد يعبر بقلة الشيء عن عدمه.

---

(1) المبسوط في القراءات العشر(ص:390).
(2) انظر: مفاتيح الأغاني (ص360).
(3) تفسير النيسابوري:ج6، ص41.
(4) روح المعاني: ج12، ص333.
(5) انظر: الكشاف: ج4، ص174.
(6) حجة القراءات: (ص:634).

سادسًا: أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [غافر:56]

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: "جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ، فذكروا الدجال، فقالوا: يكون منا في آخر الزمان، فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال: لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، قال: من خلق الدجال"[1].

وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾، قال: هم اليهود، نزلت في ما ينتظرونه من أمر الدجال"[2].

فائدة: "ما أسباب المجادلة في آيات الله"[3]؟

يلجأ بعض المتشككين إلى "الجدل في آيات الله"، بقصد التشكيك، والتحريف، ومحاولة الدفاع عن الباطل، بغير حجة مقبولة ولا دليل يستند إليه، ولا برهان سليم، وقد يكون الجدل حول إنكار البعث والقيامة، كشأن الماديين الملحدين ومعهم من ساندهم برأيهم، ويتعامى هؤلاء جميعًا عن حقائق الأشياء وأسباب وجودها، وعن الأدلة الكونية الدالة على ضرورة الإيمان بوجود الله وقدرته وحكمته، وقد ذكر الله تعالى في الآيات عشرة أدلة على وجوده ووحدانيته وقدرته، لإثبات وجود القيامة، منها: خلق السماوات والأرض، فلا يوجد شيء بالصدفة بدون موجد، ومنها تعاقب الليل والنهار، وجعل الأرض قرارًا والسماء بناءً، وخلق الإنسان في أحسن صورة، ورزقه من الطيبات، واتصاف الله تعالى بالحياة الأبدية الذاتية والوحدانية[4].

---

(1) الدر المنثور:ج7، ص294، أسباب النزول القرآني:(ص333).
(2) تفسير ابن أبي حاتم: ج10، ص3268.
(3) الوسيط للزحيلي:ج،3،ص2279.
(4) انظر: المرجع السابق:ج3، ص2279. (بتصرف)

فائدة: هل تجوز المجادلة في آيات الله؟

وللجواب على هذا السؤال يقول الطنطاوي: "المراد بالمجادلة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [غافر:56] "مجادلة بالباطل بدون حجة أو دليل، أما المجادلة لإحقاق الحق والكشف عنه فهي محمودة، لأنها تهدي إلى الخير والصلاح"[1]. وقال صاحب الكشاف: "فأما الجدال في آيات الله، لإيضاح ملتبسها، وحلّ مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها، فأعظم جهاد في سبيل الله"[2].

سابعًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- إن مجادلة المشركين في آيات الله بغير حجة عقلية أو نقلية، ودافعهم إليها الكبر عن اتباع الحق، وقصدهم إبطال آيات الله، وإثارة الشبهات حولها، ولكن لن يحقق الله آمالهم. وما على النبي ﷺ وأتباعه إلا الاستعاذة بالله من شر الكفار، والاعتصام به، والاستعانة بعزته وقدرته[3].
- التنبيه إلى أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس، مما ينطوي فيه قصد تقرير كون الله الذي خلق السموات والأرض على عظم ما فيها من دليل على قدرة الله- قادرًا من باب أولى على خلق الناس وإعادتهم.
- التنديد بأكثر الناس الذين يغفلون الحقيقة البديهية، فيجادلون في مسألة البعث.
- التنبيه إلى عدم جواز التسوية بين الأعمى والبصير، وبين المؤمنين الصالحين والكافرين المسيئين.
- التأكيد الحاسم بمجيء الساعة وحقيقة البعث، والتنديد بالذين يصرون على جحودهما مع ثبوت قدرة الله عليهما وحكمته فيهما[4].
- التأكيد على أن الصراع بين الحق يستغرق عمر الإنسانية جمعاء. كما أنه يستخدم جميع الوسائل العقلية والحسية، ويصل أحيانًا إلى المواجهة العسكرية. وهنا تتكلم الآيات أن الجدل

(1) تفسير الطنطاوي :ج12،ص302.
(2) تفسير الكشاف:ج4،ص150.
(3) انظر: التفسير المنير:ج24، ص146.
(4) انظر: التفسير الحديث: ج4، ص389.

الذي أشارت إليه السورة في ابتدائها سببه الكبر والعناد وليس المحاججة الحقيقية والتسليم العقلي[1].

- ومن حيثيات النقاش الاعتراض على إعادة خلق الإنسان، أو بعثه بعد الموت، والآية تشير إلى أن الله خلق أشياء كثيرة أعقد من الإنسان وأكبر منه، فليس من الصعب أن يخلق الله الإنسان ثم يفنيه ويبعثه مرة أخرى[2].

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم :ج6، ص580.
(2) التفسير المرجع السابق :ج6، ص580.

المطلب الثالث

دلائل على وجود الله وقدرته وحكمته

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:60-64]

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد الرد على المجادلين في آيات الله بتعريفهم أن جدلهم بغير سلطان ولا حجة، وكان من جدلهم إنكار البعث، ذكر الله تعالى في هذه الآيات وما يليها الأدلة الكافية على وجوده وقدرته وحكمته في خلق المخلوقات [1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿**ادْعُونِي**﴾: "(دعا و يدعو ودعاءً ودعوى): جاءت ألفها للتأنيث. والدعاء هو العبادة"[2]، ولقد ذكر الزبيدي: "الدعاء بالضم: الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف:55][3].
- ﴿**يَسْتَكْبِرُونَ**﴾: من الفعل (استكبر)، إذا جاوز الحد، وامتنع عن قبول الحق معانداً وتكبرًا[4].
- ﴿**دَاخِرِينَ**﴾: أذِلاَّء صاغرين ذليلين وخاضعين، ويقع على الواحد والجميع[5].

---

(1) التفسير المنير:ج24، ص149.(بتصرف)
(2) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص181.
(3) تاج العروس: ج38، ص46، أيسر التفاسير: ج3، ص461.
(4) انظر: المعجم الوسيط:ج2، ص773، أيسر التفاسير: ج3، ص461.
(5) غريب القرآن:ج2، ص677، الكليات: ص453، لسان العرب: ج2،ص1340، أيسر التفاسير: ج3، ص461.

- ﴿لِتَسْكُنُوا﴾: لتستريحوا ولتنقطعوا عن الحركة، هو كل شيء تسكن إليه وتأنس به[1]، وفي التنزيل: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [الأنعام:96].

- ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: أي: مضيئًا، لتتمكنوا فيه من الحركة والعمل والعيش من اضطراب الحياة[2].

- ﴿يَشْكُرُونَ﴾: الشكر العرفان والإحسان[3]، وهو الشُّكُورُ أيضًا، قال ﷻ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9]

- ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن الحق أو تخدعون عنه[4].

- ﴿قَرَارًا﴾: المكان المطمئن الذي يستقر فيه ويسكن عليه[5].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60].

هذه الدلائل تؤكد الحقيقة الثابتة والتي يعتقدها كل عاقل سويٌّ منصف، ولذا فإني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، وعلى ذلك يبدو أن الذين يجادلون في آيات الله مغالطون بعيدون عن أي حقيقة علمية أو عقلية. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تبين مكان الدعاء من العبادة، وقد ورد في الأثر قوله ﷺ: "**الدعاء هو العبادة**"[6].

(1) معجم اللغة المعاصرة:ج2، ص1068، غريب الحديث: ج4،ص434، أيسر التفاسير: ج3، ص461.
(2) أيسر التفاسير ج3، ص461، تفسير الطبري:ج21، ص409.
(3) العين:ج5، ص292، تهذيب اللغة: ج10، ص10، أيسر التفاسير: ج3، ص461.
(4) انظر: الكليات: ص319، مجمع بحار الأنوار:ج3، ص45، أيسر التفاسير: ج3، ص461.
(5) معجم الغني :ج21، ص51، القطان ج3، ص191، مجمع بحار الأنوار:ج4، ص249.
(6) سنن الترمذي :ج12، ص263. باب ما جاء فى فضل الدعاء. (رقم الحديث: 3699) قال للألباني: "صحيح"

وإذا نظرنا إلى تعريف العبادة: "طلَب ما تعجز عنه من قادر عليه"[1]، وكذلك هو طلب "الأدنى من الأعلى في تحصيل شيء"[2]. لذا فإن تطلب حاجتك ممن تعلم أنه يقضيها هو منتهى الذل، فكيف إذا كان هذا الذي يقضيها لا يستطيعها أحد بدون إذنه وتوفيقه كما يعتقد الذي يدعو؟

فالطاعة بذل من غير مراجعة الأمر ولا تفكير في معارضته أو منطقية سؤاله وطلبه. فهذا الدعاء من فضله ﷻ وكرمه. وقوله ﷻ: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ حتى إن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال: "أنا لا أحمل همّ الإجابة، إنما أحمل همّ الدعاء. فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه"[3].

ولقد ذكر العلماء أن للدعاء آدابًا يجب مراعاتها، منها الصدق وإخلاص القلب لله والثقة بالاستجابة، قال ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:55-56]. ولقد قرن الله ﷻ هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، أي: صاغرين أذلاء، وعدم التوجه إلى الله دليل الكبر والتكبر أولى درجات الكفر والعصيان.

- وقوله ﷻ: ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر:61].

لقد خلق الله ﷻ الليل باردًا مظلمًا، ليؤدي إلى ضعف الحركات، وهدوء الحواس، وخلق النهار مبصرًا يُبصر فيه أو به، وهذا فضل من الله على الناس لا يوازيه فضل. ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لجهلهم بالمنعم، وتكرار الناس لتخصيص الكفر بهم ([4]).

- وقوله ﷻ: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر62-63].

هو خالق كلِّ شيء، لا إله إلا هو، فكيف تصرفون عن عبادة الله والإيمان به إلى عبادة غيره؟ مثل إفكهم وانصرافهم إلى عبادة الأصنام، يؤفك ويصرف كل من جحد بآيات الله ومعجزاته ولم يتأملها[5].

---

(1) تفسير الشعراوي : ج11، ص8395.
(2) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: (ص292).
(3) في ظلال القرآن: ج5، ص3091.
(4) انظر، التفسير المنير : ج24، ص 148.
(5) انظر: المرجع السابق:ج24، ص148.

- وقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:64].

دليل آخر على وحدانية الله ﷻ، حيث يعتبر ذلك النظام الكوني الجميل الذي جعله بأبهى صورة ليلائم أجمل صورة خلق فيها الإنسان خليفة الله فيها، فالأرض مستقر ومقام ومعاش نشط بدورانها حول نفسها وحول الشمس، مما يسهل العيش فيها، ويجعل الماء في مكانه، واليابسة في مكانها، ولو تغير أي من هذه الأنظمة لاستحالت الحياة على الأرض![1].

رابعًا: البلاغة

- المجاز والمشاكلة: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.
- المجاز العقلي في قوله ﷻ: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾. حيث أسند الشيء إلى زمانه، وهو إسناد الإبصار إلى النهار، مع أن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار[2].
- وضع الظاهر موضع المضمر، في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾. فقد كان السياق يقتضي أن يقول: ولكن أكثرهم، فلا يتكرر ذكر الناس، ولكن في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم، وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج:66]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:6]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:34][3].
- الجناس الناقص في قوله ﷻ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.
- السجع وتوافق الفواصل في الحرف الأخير في الكلمات التالية: **(لَا يَشْكُرُونَ، تُؤْفَكُونَ، يَجْحَدُونَ)**[4].

خامسًا: القراءات

1. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو بكر ورويس: ﴿سَيُدْخَلُونَ جَهَنَّمَ﴾، بضم الياء وفتح الخاء.

(1) انظر: التفسير المنير: ج24، ص148.(باختصار)
(2) انظر: الجدول في الإعراب: ج24، ص268،المنير ج24، ص149.
(3) الجدول في الإعراب: ج24، ص268.
(4) انظر: التفسير المنير: ج24، ص149.

2. قرأ الباقون: ﴿سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ﴾، بفتح الياء وضم الخاء[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة ﴿سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء، أنَّ المستكبرين عن عبادة الله ﷻ سيدخلون يوم القيامة نار جهنم بأنفسهم، بوعدٍ لا خلف فيه من الله ﷻ بسبب تكبرهم واستكبارهم على الله ﷻ بالدعاء والعبادة، فأضيف الفعل في هذه القراءة إلى الداخلين، وهم المستكبرون.

وأما قراءة ﴿سيُدْخَلونَ جَهَنَّمَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء؛ فقد أفادت دخولهم النار بفعل غيرهم، أي: إن غيرهم سوف يدخلهم (جهنم) وهم ملائكة العذاب[2]، بأمرٍ من الله ﷻ، وربما أفادت المبني للمجهول زيادة التحقير والذل لهم، فيجتمع عليهم الذلُ والإهانة والعذاب جزاء استكبارهم.

ومن خلال الجمع بين هذه القراءات يظهر لنا أن المعنى: سوف يدخلون نار جهنم يوم القيامة بسبب أعمالهم واستكبارهم بأمرٍ من الله ﷻ، والذي سيدفعهم إلى نار جهنم هم ملائكة العذاب، الذين يعنفونهم ويحقرونهم على استكبارهم عن عبادة الله ﷻ، لقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطُّور:13]، فإذا أُدخلوا دخلوا وهم صاغرون أذلاء.

سادسًا: بعض من الأحكام الشرعية التي تضمنتها الآيات الكريمة

1. لا ينتفع أحد في يوم القيامة الذي هو حق وصدق إلا بطاعة الله تعالى، وأشرف أنواع الطاعات: الدعاء والتضرع، جاء في الحديث المتقدم: «الدعاء هو العبادة»، فما على الناس إلا توحيد الله وعبادته، والله ﷻ تفضلًا وكرمًا يتقبل العبادة ويغفر للعابدين.
2. من إحسان الله العظيم أنه ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60].
3. خلق الله الليل للسكن والراحة، وخلق النهار مضيئًا لإبصار الحوائج فيه والتصرف في طلب المعايش، والله ذو الفضل العظيم على عباده، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضله وإنعامه.

(1) تحبير التيسير في القراءات العشر،ص540.
(2) التحرير والتنوير: ج24،ص183.

4. الأدلة على وحدانية الله وقدرته بينة واضحة، فهو الله المربي والمدبر، وخالق كل شيء، والواحد الأحد، فمن العجب كيف ينصرف الناس عن الإيمان بعد توافر أدلته؟ وكما يصرف هؤلاء عن الحق مع قيام الدليل عليه يصرف عن الحق الجاحدون بآيات الله تعالى.

سابعًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- الإنسان المؤمن حقًّا هو الذي يربط كل حياته وعبادته مع الله ﷻ بالدعاء، لأن الدعاء هو العبادة، وهو طلب الحاجة من الله تعالى، وهو دليل التذلل والخضوع لله تعالى، وأن الدعاء يجعل المسلم مرتبطًا في كل وقته، لأنه محتاج إلى الله حتى عند أداء الفرائض يدعو الإنسان ربه أن يعينه عليها، وأن يهديه لأقومها ولأحسنها قبولاً، إن في هيئتها أو في نوعها.
- إن الله تعالى خلق الأرض مستقرًا لعباده في حياتهم وبعد الموت، وخلق السماء سقفًا محفوظًا ثابتًا، وخلق الناس في أحسن صورة وتقويم.
- إن الله هو رازق الطيبات اللذائذ، وهو الحي الباقي الذي لا يموت، فما على الناس إلا عبادته بإخلاص، وحمده وشكره والثناء عليه.
- لقد ربط الله تعالى الرزق بالسنن الكونية من ناحية التفضل، فإنه تعالى بعد أن ذكر الليل والنهار والأرض والسماء وتفضله جل وعلا على الإنسان بأن جعلها على هذه الكيفية؛ ذكر أنه رزق الإنسان الطيبات[1].
- يلاحظ أن الآيات انتهت بنهايات قوية مؤثرة تناسب المقام، وهي: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون، لا يؤمنون، لا يشكرون، قليلاً ما تتذكرون، فأنَّى تؤفكون، يجحدون، فتبارك الله ربُّ العالمين، الحمد لله ربِّ العالمين)[2].

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ج6، ص588.
(2) المنير ج24، ص156.

المطلب الرابع

وحدانية الله ﷻ، وعدم الشرك به

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [غافر65-66]

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أدلة كثيرة على وجوده، وذلك للدلالة على إمكان يوم القيامة ووجوده بالفعل، ثم بين ربنا ﷻ كيف نظم الكون هذا التنظيم الدقيق الذي يعجز عنه غيره، ويعجز البشر عن إدراك الحكمة فيه أحيانًا؛ بين في هذه في الآيات إفراده ﷻ بالعبادة ونفي الشركاء عنه، فهو خالق الكون ومدبره، فلا يستحق العبادة غيره: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. . .﴾(1).

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿مُخْلِصِينَ﴾: من الإخلاص: ومنه خَلَص يخلص خلوصًا: أي صفا وزال عنه شوبه، ويقال: خلص من ورطته: سلم منها ونجا، ويقال: خلَّصه تخليصًا: أي نجّاه. والإخلاص في الطاعة: ترك الرياء(2).
- ﴿نُهِيتُ﴾: النهي: نهيته عن الشيء أنهاه نهيًا فانتهى عنه، ونهوته نهوًا لغةً، ونهى الله تعالى أي: حرَّم(3) منه نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:30] والنهي ضد الأمر، و(نهاه) عن كذا ينهاه نهيًا(4).

(1) انظر: التفسير المنير للزحيلي:ج24، ص 166.
(2) المعجم الوسيط: ج 1، ص249، ومختار الصحاح: (ص:196).
(3) انظر: المصباح المنير:ج2،ص629، المختار الصحاح: (ص:320).
(4) انظر: مختار الصحاح: (ص:320).

- ﴿**البَيِّنَاتُ**﴾: بان الأمر يبين فهو بيِّن، وجاء بائن على الأصل، وأبان إبانة وبيَّن وتبين واستبان: كلها بمعنى الوضوح والانكشاف[1]، وفي الآية الحجج ودلائل التوحيد أو الآيات القرآنية، فإنها مقوية لأدلة العقل، منبهة عليها[2].
- ﴿**أُسْلِمَ**﴾: أنقاد له، أي: أمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي[3].﴿**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله وَمَنِ اتَّبَعَنِ**﴾ [آل عمران:20]

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿**هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ البَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ**﴾. [غافر:65-66]

من المعلوم أن كل شيء محاط بعدمين، خلق من عدم ويعود إلى عدم في هذا الكون الدنيوي، فلا يكون خالقها ومنظمها إلا واجب الوجود، فمن السفاهة والتخبط أن يتوجه أحد إلى غيره في الدعاء والركون والاستغاثة، فمن الحكمة أن يركن الإنسان إلى الله وينقى قلبه من أي نوع من أنواع الشرك ويتجه بكليته إليه، لقوله ﷻ: ﴿**فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾.

وحقيقة الإخلاص: "هو أن يريد العبد بعمله التقرب إلى الله تعالى وحده"، وقد ذكر أهل العلم تعريفات بعضها قريب من بعض:

فقيل: الإخلاص: "إفراد الحق ﷻ بالقصد في الطاعة"[4].

وقيل: الإخلاص: "استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعْمَرَ من ظاهره" [5].

إذن يتضح لنا أن الإخلاص: صرف العمل والتقرّب به إلى الله وحده، لا رياءً ولا سمعةً، ولا طلبًا للعَرَض الزائل، ولا تصنّعًا، وإنما يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه.

---

(1) انظر: المصباح المنير: ج1، ص70
(2) انظر: المنير: ج 24، ص156.
(3) انظر: أيسر التفاسير: ج 3، ص463.
(4) نظم الدرر:ج8، ص499.
(5) جامع لطائف التفسير: ج2، ص171.

ولهذا قال القاضي عياض: "تَرْك العمل من أجل الناس رياءٌ، والعملُ من أجل الناس شركٌ، والإخلاصُ أن يعافيَكَ الله منهما[1]".

والإخلاص: في حياة المسلم أن يَقصد بعمله، وقوله، وسائر تصرفاته، وتوجيهاته وتعليمه وجه الله تعالى وحده، لا شريك له، ولا ربَّ سواه.

فقد خلق الله الخلق: الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، وأمر جميع المكلفين بالإخلاص[2]: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ [البينة:5]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...﴾. [الزُّمر:2-3]

لذا فإن الإخلاص في القول والعمل أساس القبول عند الله. قال سهل بن عبد الله التستري في تفسيره: "الإخلاص الإجابة، فمن لم يكن له الإجابة فلا إخلاص له...، وأن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه شيء، لا نفس، ولا هوى، ولا دنيا"[3]، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:162]. أي: اعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئًا في عباداته، وفي ختام الآية فهو ﷻ له الحمد في رعايته للكون وتربيته للإنسان ورعايته له. فأمرنا أن نحمد الله ﷻ على أن أعاننا على حمل دعوته، فتكون الدعوة بقلب مخلص حامد لله على هذه النعمة.

فعن سعيد بن جبير قال: "إذا قال أحدكم: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ فليقل: الحمد لله ربِّ العالمين"[4]، ثم قرأ قوله ﷻ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:65]. قال ابن جرير: "كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: لا إله إلا الله، أن يتبعها بقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ؛ عملًا بهذه الآية"[5].

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [غافر:66].

أي: يا محمد، قل لقومك: إن ربي نهاني أن أعبد الذين تدعون من دون الله من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر، وذلك لما جاءني البينات من ربي، وهي الحجج والبراهين على بطلان

(1) روح البيان: (ص:246).
(2) انظر: بحر العلوم: ج2، ص165.
(3) انظر: تفسير التستري(ص:133).(باختصار)
(4) الزهد: (ص:395).
(5) تفسير ابن جرير:ج24، ص53.

عبادة غير الله، ووجوب عبادته ﷻ، وأمرني ربي أن أُسلم له فأنقاد وأخضع لأمره ونهيه، وأطرح بين يديه وأفوض أمري إليه[1].

رابعًا: أسباب النزول

قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ البَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾. [غافر:66]

"أخرج جويبر عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد، ارجع عما تقول بدين آبائك[2]"، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ البَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾.

سابعًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- تقرير التوحيد ووجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.
- الحث على تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وكبريائه وعظمته.
- التأكيد على أن الدعاء هو العبادة، والدعاء هو طلب الحاجة من الله ﷻ، وهو دليل التذلل والخضوع لله تعالى، وأن الدعاء يجعل المسلم مرتبطًا بالله ﷻ في كل وقته، لأنه محتاج إلى الله، حتى عند أداء الفرائض يدعو الإنسان ربه أن يعينه عليها وأن يهديه لأقومها ولأحسنها قبولاً.
- النهي الجازم عن عبادة غير الله بعد قيام الأدلة على وجود الله وتوحيده، مما صرح به القرآن في آياته، ومما أرشد إليه العقل الصحيح في تفكيره، والعبادة تقتضي الانقياد التام والخضوع، وإخلاص الدين لله رب العالمين، فلا أمل في عبادة الأصنام والأوثان وغيرها من أنواع الشرك.
- لفت نظر الإنسان وإيقاظ ضميره وتوجيهه نحو الله.

(1) انظر: تفسير السمعاني ج5، ص30، أيسر التفاسير: ج 3، ص463، مختار الصحاح:(ص:94)، القرطبي ج15، ص329.

(2) أسباب النزول القرآني: (ص 334)، التفسير المنير: ج24، ص157.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة غافر

الآيات(67-76)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مراحل خلق الإنسان

المطلب الثاني: تقرير أن الموت والحياة بيد الله

المطلب الثالث: الذلّ والمهانة عاقبة المجادلين في آيات الله

المطلب الأول

بيان مراحل خلق الإنسان وأطواره

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [غافر:67]

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بين الله ﷻ السنن الكونية، وأنه هو القادر الوحيد على إدارتها، وأنه هو المستحق والمتفرد بالعبادة، بيّن ﷻ مظاهر قدرته في خلق الإنسان في أطوار ومراحل مختلفة، وأنها بيده لا أحد يقدر عليها.

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿خَلَقَكُمْ﴾: خلق الله الأشياء خلقًا وهو الخالق والخلاق. قال الأزهري: "ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله تعالى"[1]، وخلق الله الخلق: أوجده على تقدير أوجبته الحكمة[2].
- ﴿نُطْفَةٍ﴾: مفرد اللفظ، والجمع: نطف. والنطفة: الماء الصافي تشبيهًا بقطرة الماء قل أو كثر[3].
- ﴿عَلَقَةٍ﴾: العلق: "الدم الجامد قبل أن ييبس"[4]، وقال زين الدين الرازي: "الدم الغليظ، والقطعة منه علقة"[5]، وذكر أبو العباس أن العلقة هي: المني ينتقل بعد طوره فيصير دمًا غليظًا متجمدًا، ثم ينتقل طورًا آخر فيصير لحمًا وهو المضغة، سميت بذلك لأنها مقدار ما يمضغ، والجمع: علق[6].

---

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج1، ص180.
(2) انظر:(أساس البلاغة :ج1، ص264).
(3) كتاب العين:ج7، ص436، مختار الصحاح: (ص 313).
(4) كتاب العين:ج1، ص161، جمهرة العين: ج 2، ص27.
(5) انظر: المختار الصحيح: (ص216).
(6) انظر: المنير في غريب الشرح الكبير :ج2، ص425.

- ﴿تَعْقِلُونَ﴾: "نقيض الجهل. وعقل يعقل عقلًا فهو عاقل"[1]. وقيل: "عقل الغلام: فقد أدرك وميز، وبلغ سن الرشد" [2]، وقال أحمد عمر: "تعاقل الفتى: تظاهر بالفهم والحكمة والإدراك"[3].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [غافر:67]

في هذه الآيات يستعرض ربنا ﷻ آية من آياته في الحياة الإنسانية وأطوارها العجيبة، حيث رتّب الله ﷻ تطور حياة الإنسان في ثلاث مراتب: الطفولة، وبلوغ الأشُدّ في الشباب والكهولة، والشيخوخة.

لكن من الناس من يُتوفى قبل سن الشيخوخة ، أو حتى قبل سن الشباب ، وذلك لبلغوا الأجل المسمى وهو يوم القيامة، ولتعقِلوا أيها الناس ما في التنقل في هذه الأطوار المختلفة من فنون العبر والحكم[4].

يقول سيد قطب: "وهذه النشأة الإنسانية فيها ما لم يدركه علم الإنسان، لأنه كان قبل وجود الإنسان. وفيها ما يشاهده ويراقبه. ولكن هذا إنما تم حديثًا بعد نزول هذا القرآن بقرون! فخلق الإنسان من تراب حقيقة سابقة على وجود الإنسان. والتراب أصل الحياة كلها على وجه هذه الأرض. ومنها الحياة الإنسانية، ولا يعلم إلا الله كيف تمت هذه الخارقة، ولا كيف تم هذا الحادث الضخم في تاريخ الأرض وتاريخ الحياة. وأما تكاثر الإنسان بعد ذلك عن طريق التزاوج فيتم عن طريق التقاء خلية التذكير وهي النطفة بالبويضة، واتحادهما، واستقرارهما في الرحم في صورة علقة. وفي نهاية المرحلة الجنينية يخرج الطفل بعد عدة تطورات كبرى في طبيعة الخلية الأولى...، إذا نحن نظرنا إليها بتدبر أطول وأكبر من الأطوار التي يمر بها الطفل من ولادته إلى أن ينتهي أجله، والتي يقف السياق عند بعض مراحلها البارزة: مرحلة الطفولة. ثم بلوغ الأشد حوالي الثلاثين. ثم الشيخوخة. وهي المراحل التي تمثل أقصى القوة بين طرفين من الضعف"[5].

---

(1) كتاب العين: ج1، ص159.
(2) معجم اللغة العربية المعاصرة:ج2، ص1530.
(3) المرجع السابق :ج2، ص1531.
(4) انظر: القطان: ج 3، ص192.
(5) ظلال القرآن: ج5، ص3095.

ورحلة الجنين ورحلة الطفل كلتاهما توقع على الحس البشري، وتلمس القلب الإنساني في أي بيئة وفي أي مرحلة من مراحل الرشد العقلي. وكل جيل يحس لهذه اللمسة وقعها على طريقته وحسب معلوماته. فيخاطب القرآن بها جميع أجيال البشر فيحسون ثم يستجيبون أو لا يستجيبون! وهو يعقب عليها بعرض حقيقة الإحياء والإماتة. وحقيقة الخلق والإنشاء جميعًا، وهذه الدقة كانت منذ حوالي أربعة عشر قرنًا أمر يستوقف النظر، كما لا يمكن أن يمرَّ عليه عاقل دون أن يقف أمامه يتدبره ويفكر فيه[1].

وكل ذلك دلالة على وجود الله، وهذا أقصى ما يمكن به تقريب الخلق إلى الأذهان، فإن المخلوق يوجد بسرعة فائقة جدًّا بمجرد تعلق الإرادة به.

رابعًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- بيان مراحل تطور الإنسان وتدرجه في التكوين والخلقة، حيث رتب سبحانه عمر الإنسان ثلاث مراتب: الطفولة، بلوغ الأشد، الشيخوخة، ومن الناس من يتوفى قبل المرتبة الأخيرة.
- الإخبار عن تلك المراحل الانتقالية ليعقل الإنسان أنها ترشده وتعلمه.
- الأطوار الأربعة: طور الاجتنان، وطور الطفولة، وطور بلوغ الأشد، وطور الشيخوخة، ففي هذا التغير والانتقال دلالة على وجود الله وعلى قدرة الله الدالة على البعث.
- إن الله ﷻ إذا قضى وقدر أمرًا من الأمور التي يريدها، فإنما يقول له: كن، فيكون، أي: يحدث فور الإرادة من غير توقف على شيء، ولا معاناة ولا كلفة.

(1) انظر: ظلال القرآن: ج5، ص3095.

المطلب الثاني

تقرير أن الموت والحياة بيد الله

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر:68]

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

في الآيات السابقة بيَّن الله ﷻ كيفية تكّون الإنسان، ومراحل تدرجه وأطوار حياته من الاجتنان إلى الولادة والطفولة، إلى الشباب و الشيخوخة ، ثم الكهولة، وفي هذه الآية يستأنف ربنا ﷻ في بيان قدرته على الإحياء والإماتة، وهو المتفرد بذلك، لا يقدر عليه أحد سواه، فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن، فيكون.

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿يُحْيِي﴾: من حيي يحيا فهو حي، والجمع: أحياء، والحي: ضد الميت، وقال الزجاج: "يحيي النطف التي إنما هي موات"[1]. وفي الآية أن الله ﷻ خلق الإنسان وقد كان عدمًا[2].
- ﴿يُمِيتُ﴾: أي يميت الأحياء[3]، ومنه مات يموت موتًا، فهو مائت وميت. أي: فارقته الحياة أو فارقت الروح جسده[4]، وذلك مثل قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:34]، وقوله: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم:23]. والموت كما ذكر صاحب أيسر التفاسير: هو نهاية أجل الإنسان وعمره[5].

---

(1) التفسير البسيط: ج21، ص 276.
(2) أيسر التفاسير: ج3، ص463، القاموس المحيط: (ص1649)، كتاب العين:ج3، ص 317،معاني القرآن وإعرابه: ج5، ص162.
(3) التفسير البسيط: ج21، ص276.
(4) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ج3، ص2135، معاني القرآن وإعرابه: ج5، ص162.
(5) انظر: أيسر التفاسير:ج3، ص463.

- ﴿قَضَى﴾: وهي القضاء بمعني الحكم، وأصله: قضاي، من قضيت[1]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر:68]، أي: حكم بوجوده، وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ:14]، أي: أتى عليه الموت.

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر:68].

هذه الآية تعرض حقيقة الإحياء والإماتة، وحقيقة الخلق والإنشاء جميعًا، وتكثر الإشارة في القرآن الكريم إلى آيتي الحياة والموت، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:2]، وقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ {[النساء:78]. والموت هنا هو قضاء أجل الإنسان، حيث انتهى الأجل بزمن مسبق قد حدده الله ﷻ واستأثر بعلمه.

فهذه الآيات لها الأثر العظيم على قلب الإنسان، فالحياة ألوان، والموت ألوان، منها رؤية الأرض الميتة، ثم رؤيتها مخضرة بألوان النبات والزهور، وكذلك رؤية الاشجار وهي جافة، ثم رؤيتها والحياة تنبثق منها في كل موضع، وتخضر وتورق وتزهر، وغيرها وغيرها. وعكس هذه الرحلة من الحياة إلى الموت، كالرحلة من الموت إلى الحياة، إلى حقيقة الإنشاء وأداة الإبداع[2]،

وهذه صورة موجودة في كتاب الله بشكل كامل الوضوح فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:63] وهو في ذلك كله كما يقول ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، أي: بلا معاناة، ولا توقف، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14]. ومثله كما قال ربنا ﷻ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا

(1) انظر: لسان العرب: ج 15، ص186، أيسر التفاسير:ج3، ص463، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن:ج3، ص364، كتاب العين: ج5، ص185.

(2) انظر: تفسير القطان:ج3، ص192، تفسير الطبري:ج2، ص 468.

﴿يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:47]، وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:59].

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه –فهو عنده فوق العرش–: إن رحمتي غلبت غضبي**"[1]. والمعنى: أن الله لما خلق الخلق كتب في اللوح المحفوظ: إن رحمتي غلبت غضبي، أي: إن رحمتي أكثر من غضبي، لأنها وسعت كل شيء.

رابعًا: البلاغة

- في قوله ﷻ: ﴿**يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾: طباق[2]، وهو من أوجز الحديث وأصدقه وأبعده في الدلالة على المعنى المراد.

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- التنبيه على قدرة الله، ولقد دلت آيات كثيرة على قدرة الله منها قوله: ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التغابن:1]،وقال تعالى: ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة:148]

- في هذه الآيات إثبات جميع صفات الكمال لله، ونفي كل عيب ونقص. قال تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة:255]

(1) صحيح البخاري _ باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الرُّوم:27]، ج4، ص109 رقم الحديث (3194)،وأخرجه مسلم_(باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) ج4، ص2107، (رقم الحديث:2751).

(2) التحرير والتنوير: ج24، ص199.

- تقرر هذه الآيات إثبات الملك لله وحده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:73]

- هذه الآيات تُرشد العباد إلى أن الله هو الذي يحيي ويميت، وهو الذي خلق الموت والحياة، وأن الإحياء والإماتة من تصرف الله تعالى، ولا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره.

- التنبيه على قدرة الله في سرعة إنجاز الخلق والتكوين بمجرد إرادة الله الفعل. قال تعالى:﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117]

وفي ذلك دلالة قوية لقوله ﷻ:﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ﴾ [الأعراف:158]، وقال تعالى:﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة:116]

المطلب الثالث

الذلّ والمهانة عاقبة الذين يجادلون في آيات اللّه

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ* ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾ . [غافر:69-76]

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بيَّن الله ﷻ هذه الحقائق وكيف خلق الإنسان وتطوره في رحم أمه، ولم يؤمن هؤلاء ولم يذعنوا للحق الواضح، وبقوا على جدلهم العقيم؛ جاءت هذه الآيات تبين لهم مصيرهم وما أدى إليه نكرانهم للحق: ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾.

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿الأَغْلَالُ﴾: والغل: جامعة، توضع في العنق أو اليد، والجمع: أغلال، لا يكسر على غير ذلك. وهو القيد من حديد، يجمع اليد إلى العنق[1]، فقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا الأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبأ:33] دلالة على أن الأغلال في أعناق الذين كفروا نتيجة كفرهم بالله.
- ﴿الحَمِيمِ﴾: الجمع: أحماء[2]، وهو الجمر يتبخر به، والماء الحار البالغ نهاية الحرارة والذي اشتد غليانه[3]، ومنه قول الله ﷻ: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ﴾ [الحج:19].

(1) لسان العرب: ج11، ص504، صفوة التفاسير:ج3، ص101 المصباح المنير: ج2، ص451،المعجم الوسيط ج2، ص660.

(2) انظر المعجم الوسيط:ج1، ص200.

(3) كتاب العين:ج3، ص33، صفوة التفاسير :ج3، ص101،التفسير الميسر: ج، ص 475.

- ﴿يُسْجَرُونَ﴾: ومنه: سجرت التنور أسجره سجرًا، والسجور: اسم للحطب الذي يوقد بهم في النار، ويقال: سجر التنور أوقده[1]، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:6]، وقوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطُّور:6]. قال القرطبي: "أن البحر يُسجر فيكون نار جهنم"[2]، وكذلك هو "المحمى المملوء نارًا بمنزلة التنور المسجور"[3].
- ﴿مَثْوَى﴾: الثاء والواو والياء كلمة واحدة صحيحة، تدل على الإقامة، وجمعه: مثاوي، والمثوى هو المأوى ومكان الإقامة الذي يقام به الرجل، ومنه: "الرجل إذا ثَوى بالمكان إذا أقام فيه"[4].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾. [غافر:69-72]

في ظل مشهد الحياة والموت وحقيقة الإنشاء والإبداع يبدو الجدال في آيات الله مستغربًا ومستنكرًا، ويبدو أن التكذيب بالرسل عجيبًا نكيرًا من هؤلاء الكفار وهو ما تم مواجهته بالتهديد المخيف في صورة عظيمة وهي مشهد من مشاهد القيامة العنيفة[5].

لذلك تم تهديدهم بأنهم سوف يعلمون حين يجمعهم الله يوم القيامة ويحاسبهم على كفرهم، وذكر العقوبة كأنها واقعة فعلاً، حيث تُجعل القيود مغلولة في أعناقهم، وهذا هو عقابهم والغل هو الحلقة أو السلسلة التي تجمع أيدي الأسير في عنقه، ومن ثم تسحبهم الملائكة بالسلاسل في الحميم، فتسخن النار بهم، فيحرقون ظاهرًا وباطنًا، فهم إذن وقود النار، هذا هو حالهم في النار كما قال ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:24]،

(1) كتاب العين:ج6،ص50، صفوة التفاسير:3، ص101،
(2) تفسير القرطبي:ج17،ص61.
(3) تفسير الثعلبي:ج9،ص124،المنيرج27، ص56.
(4) صفوة التفاسير:ج3ص101، لسان العرب: ج 14، ص125، مقاييس اللغة:ج1، ص393، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج6، ص2296.
(5) انظر: في ظلال القرآن ج5، ص3096. (باختصار)

وتملأ فيهم، من سجرت التنور: ملأتها حطبًا، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق:30]

أخرج ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط عن يعلى بن منية، رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: "ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة، ويقال: يا أهل النار، أي شيء تطلبون؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا، فيقولون: نسأل برد الشراب، فتمطرهم أغلالًا تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمرًا يلهب النار عليهم[1]. وعن مجاهد ﷺ في قوله: ﴿يُسْجَرُونَ﴾، قال: "توقد بهم النار"[2]، وفي قوله: ﴿تَمْرَحُونَ﴾، قال: "تبطرون، وتأشرون"[3].

قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ* ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾. [غافر:73-76]

تقول الملائكة في هذه الآيات لهم توبيخًا وتقريعًا سائلين: أين الأصنام والشركاء التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ قالوا: "لقد غابوا عنا، وذهبوا، فلم ينفعونا، بل في الواقع تبين أننا لم نكن نعبد شيئًا له قيمة وجدوى أو نفع"، ومثل هذا الضلال، يضل الله به الكافرين على مرِّ الزمان...، ثم بعد ذلك يكشف الكفار حقائقهم ومصادقة الواقع الذي هم فيه، واضطراب الأقوال، واللجوء إلى الكذب، فيقولون: "بل لم نكن نعبد شيئًا".

ويخبرهم القرآن بأن جزاؤكم هذا وعذابكم هذا بسبب ما كنتم تظهرون في الدنيا من الفرح بمعاصي الله، والابتهاج بمخالفة الرسل والكتب الإلهية، وكل ذلك دل عليه قوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ* ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:74-75]، كما أن هذه الآية جاءت بمثابة تعقيباً لاعتراف المشركين، وأن الذين يضلهم الله لا

(1) المعجم الأوسط:ج4، ص247.
(2) الدر المنثور: ج 7، ص 306.
(3) (البطر والأشر): قلة احتمال النعمة وعدم الشكر عليها.

يوفقهم ولا يسعدهم هم الكافرون الذين تعمدوا الكفر والجحود والمكابرة، وهي مثل قوله ﷻ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ﴾ [البقرة:26][1].

وبسبب موقف البطر والأشر والتكبر، فهذا جزاء الشرك والوثنية وهو الإدخال في أبواب جهنم السبعة المقسومة لكم، المؤدية إلى طبقاتها ودركاتها، كما جاء في آية أخرى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر:44]، فبئس موضع الإقامة والمأوى الذي فيه الهوان والتعذيب لمن تكبر عن آيات الله وبراهينه القاطعة[2].

رابعًا: البلاغة

- الإيجاز بالقصر، وذلك في قوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ﴾.
- التفات عن الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ، في قوله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.
- الجناس الناقص بين قوله ﷻ: ﴿تَفْرَحُونَ﴾، وبين قوله ﷻ: ﴿تَمْرَحُون﴾[3].

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- أن المشركين الذين يجادلون في آيات الله بغير حق، ويكذبون بها، مصيرهم أنهم سوف يصرفون عن الهدى والحق إلى الضلال والباطل.
- أن المشركين الذين يجادلون في آيات الله بغير حق تكبرًا وعنادًا مصيرهم إلى النار، وسَيُحاججهم الله ﷻ بواسطة ملائكته، كما أن المشركين يوم القيامة يتبرؤون من شركهم ومن الذين أشركوا.
- سوف يعلم الكفار بطلان ما هم فيه إذا دخلوا النار، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وسحبوا بالسلاسل في الحميم، وأحاطت بهم النار إحاطة تامة.
- عندما عرف المشركون الحقيقة العقدية نسوا جميع عقائدهم، حتى خيل إليهم أنهم لم يشركوا أبدًا، فكيف يشركون وهذه الحقيقة العظمى أمامهم؟

(1) انظر: التفسير الحديث:ج4، ص395.
(2) انظر: التفسير الوسيط: ج3، ص2287.
(3) انظر: المنير:ج24، ص161.

- إخبار الملائكة لهم بعد دخولهم النار تقريعًا وتوبيخًا: أين أصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ فأجابوا: لقد هلكوا وذهبوا عنا، وتركونا في العذاب، فلا نراهم ولا نستشفع بهم. ثم اعترفوا بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة، فإنها ليست بشيء، لأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر، ولا تنفع، وهكذا تبين لهم أنهم لم يكونوا شيئًا [1]. وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:23]
- قال الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر:74]، وهذا إضلال لا توفيق فيه بعد اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه وبعدهم عن طريق الجنة.
- لقد عذبهم الله ﷻ بسبب ما كانوا يفرحون به من المعاصي، ويظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والأتباع والصحة، وبسبب بطرهم وتكبرهم عن اتباع الحق وقبوله، واختيارهم الشرك وعبادة الأصنام.
- ذم الفرح بغير فضل الله ورحمته، وذم المرح وهو أشد الفرح. لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:76] وهو الفرح المذموم الذي يكون بعد معصية والتي تُدخل صاحبها النار.

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:58] يقول السعدي "وهذا مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود" ([2])، وهو بخلاف قوله ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:76] وهو الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم وهذا مثل ما قال عز وجل في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر:83]

- ذم التكبر وسوء عاقبة المتكبرين، الذين يمنعهم الكبر من الاعتراف بالحق، ويحملهم على احتقار الناس وازدراء الضعفاء منهم. قال ربنا ﷻ: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل:29]

(1) مفاتيح الغيب: ج27، ص533.
(2) انظر: تفسير السعدي (ص: 367).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة غافر

الآيات(77-85)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أمر الله نافذ لا محالة

المطلب الثاني: هداية الله للخلق

المطلب الثالث: حكمة الله في إرسال الرسل

المطلب الأول

أمر الله ﷻ نافذ لا محالة

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر:77]

❖ **دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:**

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بيَّن الله ﷻ في الآيات التي سبقت حال الكفار وجدلهم العقيم وما أدى إليه نكرانهم للحق، جاء الكلام في هذه الآيات: أرسل الله ﷻ لرسوله رسالة اطمئنان بأن النصر حليف دعوته، فأمره بالصبر على أذى وتكذيب الكفار، ووعده بالنصر عليهم، وإنزال العذاب على أعدائه[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿فَاصْبِرْ﴾: الصبر نقيض الجزع[2]، وصبره عن الشيء يصبره صبرًا حبسه[3]، قال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف:28]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:155]، وقال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [القلم:48]، ومثله صبر الشخص على المرض: احتمله بصبر دون شكوى"[4].
- ﴿وَعْدَ﴾: وعده الأمر وبه وعدًا وموعدًا وموعدةً وموعودًا [5]، ويستعمل في الخير والشر[6]، قال الفراء: يقال: "وعدتُه خيرًا ووعدتُه شرًّا"[7]، قال الله تعالى في الخير: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:29]، ومثله كثير، وقال في الشرّ: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج:72].

---

(1) انظر المنير: ج24، ص166.
(2) انظر: العين ج7، ص115.
(3) انظر: المحكم والمحيط الأعظم.ج8، ص312.
(4) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ج2، ص1263.
(5) انظر: لسان العرب: ج4، ص461.
(6) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج10، ص398.
(7) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :ج2، ص551.

وتواعد الأصدقاء على الصدق: وعد بعضهم بعضًا.

- ﴿يُرْجَعُونَ﴾: الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، "والرجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات"(1)، وقوله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:99،100]، يعني العبد إذا بعث يوم القيامة أبصر وعرف ما كان ينكر في الدنيا بقوله لربه: (ارجعون)، أي: ردوني إلى الدنيا(2).

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر:77].

في هذه السورة وصى الله ﷻ رسوله ﷺ بالصبر مرتين، مرة حينما ضرب له مثلاً في انتصار موسى على فرعون بعد وعده له، فقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:51]، ولقد أنجز وعده ونصر موسى وقومه الضعفاء على فرعون الذى هو أعتى الطغاة وجنوده الكثر الأشداء، فهي صورة تحكي علاقة الدعاة بأقوامهم ومصير دعوة الحق.

فكأنه يقول لرسوله الكريم ﷺ: "اصبر، إن مصيرك كمصير موسى، إذ نصره الله، ومصير من كذبك وكفر بدعوتك مصير فرعون وملئه، إذ إنهم ليسوا أقوى من فرعون، ولستَ أضعف من موسى وقومه"(3).

وفي هذا المقام أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالصبر على ما يلقى من عنت قومه، وتكذيبهم له، والتربص لدعوته...، وهذا يشير إلى ما كان يلقى النبيّ من أذى وما يحتّمل من ضرّ، وأنه ليس له إلا أن يصبر ويحتّمل، حتى يحكم الله بينه وبين قومه، وذلك كما قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾، أي إن أمره نافذ لا محالة، وأن النصر الموعود سيكون يا محمد حليفك وحليف المؤمنين الذين آمنوا برسالتك، وأنه ﷻ سيخزي الضالين المكذبين، ويوقع بهم البلاء في الدنيا، والعذاب

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص342.
(2) لسان العرب:ج8، ص114.
(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن: ج12، ص2171.

الشديد في الآخرة، لذلك أكد قوله ﷻ: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر:77]، أي إن هؤلاء المكذبين لن يفلتوا من قضاء الله فيهم، ومما يتوعدهم الله به من عذاب، سواء أكان في الدنيا في حياتك أم بعد مماتك، أن في الآخرة، فإنهم راجعون إلى الله في الآخرة، وما فاتك يا محمد أن تراه من قضاء الله فيهم في الدنيا، سترى أضعافه فيهم في الآخرة[1].

وفي كل ذلك دلالة على أن النصر حليف المسلمين، مهما ضاقت السبل حولهم من أعدائهم، لكن ما داموا متمسكين بشريعة الله ومقاتلين لإعلاء كلمة الله ﷻ.

رابعًا: القـــــــراءات

1. قرأ يعقوب: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم على البناء للفاعل.
2. قرأ الباقون: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على البناء للمفعول[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسرًا، وبأيسر أمرٍ، وهم كارهون بقوةٍ خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأما قراءة: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ على البناء للفاعل، أفادت وقوع الرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة ليحاسبهم، سواء كرهوا أم رضوا ذلك.

قال ابن عاشور: "وترجعون بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأه يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، والقراءة الأولى على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين، لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم، بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر"[3].

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أن الجميع راجع إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب، سواءٌ أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع إليه أم كره لقاءه، وأُجبر على الرجوع فيجازي اللهُ كلاً بعمله.

(1) التفسير القرآني للقرآن: ج12، ص2171.(بتصرف)
(2) انظر إتحاف فضلاء البشر: (ص:487).
(3) التحرير والتنوير: ج1، ص377.

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- الأمر بالصبر للنبي ﷺ تسلية له، وإعلامه بأن الله سينتقم له من قومه المكذبين لرسالته، إما في حياته، أو في الآخرة. وأمة النبي ﷺ مأمورة مثله بالصبر[1].
- وجوب الصبر على دعوة الحق، والعمل في ذلك إلى أن يحكم الله تعالى. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه:130]
- الآيات لا تعطى لأحد إلا بإذن الله تعالى، إذ هو المعطي لها، فهي تابعة لمشيئته
- أمر للنبي ﷺ بالصبر على ما يراه من المشركين من مكابرة وعناد. قال تعالى:﴿وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:48]
- هذه الآيات بمثابة تعزيز وتطمين للنبي ﷺ بأن وعد الله فيهم حق محتم التحقيق، سواء أعاش حتى يراه بعينه أم مات قبل ذلك.
- هذه الآيات بمثابة تأكيد وتقرير بأن الكفار على كل حال سوف يرجعون إليه، وهو القادر عليهم في كل آن[2].

(1) تفسير المنير:ج24، ص168.
(2) التفسير الحديث:ج4، ص395.

المطلب الثاني

هداية الله ﷻ للخلق

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ * اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [غافر:78-82]

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بيَّن الله ﷻ مصير المشركين؛ طمأن الله نبيه بأن النصر حليف دعوته وما عليه إلا الصبر. ثم جاءت تقول: إنك لست وحدك، وإنما هي كوكبة من رسل الله جاءت بما جئت به، وأهلك الله الظلمة الذين لم يؤمنوا بالرسل وانتصر لرسله المؤمنين، ثم بيَّن ما أنعمه على الإنسان من تسخير الأنعام له في استخدامها لراحته، وأخذ غذائه منها، وهي حقائق ثابتة لا ينكرها إلا جاهل، ولذا قال تعالى في آخر الآيات: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر:81]، فهو ردٌّ لحجج المشركين وإعجازهم.

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿قَصَصْنَا﴾: ومنه: قصُّ قصصت، يقص قصًّا، فهو قاصّ، والمفعول مقصوص، والجمع: قصص[1]، ومن قص القصة على أصدقائه: حكاها ورواها لهم، وأخبرهم به[2]، "قص عليه الرؤيا: أخبره بها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ [يوسف:3]

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج2، ص505.
(2) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ج3، ص1823.

- ﴿الأَنْعَامَ﴾: "النَّعَم: واحد الأنعام، وهي البهائم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ﴾ [الفرقان:44]، وهي النعم من الإبل إذا كثرت"[1]، قال ابن الأعرابي: "النعم: الإبل خاصة، والأنعام: الإبل والبقر والغنم"[2]، وقوله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة:95]. والنعم: المال الراعي، ويطلق عليها ذوات الخف، وهي: الإبل والبقر والغنم، وقيل: تطلق الأنعام على هذه الثلاثة، فإذا انفردت الإبل فهي نعم، وإن انفردت البقر والغنم لم تُسمَّ نعمًا[3].

- ﴿الفُلْكِ﴾: الفاء واللام والكاف أصل واحد صحيح، يدل على استدارة في شيء، والفلك: هي السفينة، لفظ يذكر ويؤنث، وهو يقع على الواحد والاثنين والجميع[4]، قال الله ﷻ: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس:22]، وهي السفينة، وقال: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء:119]، قال ابن فارس: "لعلها تُسمَّى فلكًا، لأنها تدار في الماء"[5].

- ﴿آثَارًا﴾: الهمزة والثاء والراء (أَثَر): ما بقي من رسم الشيء، وجمعه آثار.

قال الخليل: "الأثر بقية ما يرى من كل شيء وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقة"[6].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾. [غافر:78]

في هذه الآيات يخبر الله ﷻ سيدنا محمدًا ﷺ: لقد أرسلنا رسلًا وأنبياء كثيرين من قبلك يا محمد إلى أقوامهم، منهم من أنبأناك بأخبارهم وما لقوه من قومهم، وهم خمسة وعشرون، ومنهم من

(1) العين :ج2، ص162.
(2) المحكم والمحيط الأعظم: ج2، ص193، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ج2، ص17.
(3) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج2، ص613، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج2، ص313
(4) المحكم والمحيط الأعظم:ج7، ص40،العين: ج5،ص374،تاج العروس: ج27، ص303.
(5) مقاييس اللغة:ج4، ص453.
(6) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:ج1، ص174، تاج العروس: ج10، ص12، مقاييس اللغة: ج1، ص56.

لم نقصص عليك خبره، وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف، وكما قال تعالى: ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**...﴾ [النساء:164]

ولقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر قال: قلت: **يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: نعم، نبي مكلم، قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضع عشر جمًّا غفيرًا**[1]. وفي رواية عن أبي أمامة قال أبو ذر: **(قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا)**[2].

ثم أخبر الله عن المعجزات ما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم، ليس لهم اختيار في إيثار بعضها أو الإتيان بها، أو تحقيق المقترح منها؛ لأن الرسل عباد مربوبون لله تعالى، لا يأتون بشيء من تلقاء أنفسهم، أو خضوعًا لاقتراح قومهم. فإذا جاء أمر الله بالعذاب في الدنيا أو الآخرة؛ قضي بالحق بإنجاء المحق وتعذيب المبطل، وخسر المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها [3].

- قوله ﷻ: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ**﴾. [غافر:79-81]

لقد أنعم الله عليكم النعم من الإبل والبقر والغنم والخيل، وغير ذلك من البهائم، للركوب والأكل منها، ولتستفيدوا منها ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها. ولقد ذكر ربنا ﷻ ما يشبه هذا القول[4]: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾ [النحل:80]

---

(1) انظر: مسند الامام أحمد ج35ص432.(رقم الحديث: 21546) وقد صححه الالباني في مشكاة المصابيح ج3، ص1599.

(2) انظر: مسند الإمام أحمد: ج36،ص618، (رقم الحديث: 22288) (وقد صححه الألباني في مشكاة المصابيح ج3 ص1599).

(3) المنير: ج24، ص167.

(4) انظر: تفسير الطبري ج،21ص424.

يقول أسعد حومد: "ولهم فيها منافع أخرى؛ فيستفيدون من أصوافها وأوبارها وأشعارها في صنع ملابسهم وأثاثهم وفرشهم وخيامهم، ويشربون من ألبانها، ويستفيدون من جلودها، ويتباهون بها ويتفاخرون، ويسرون من منظرها حين تذهب إلى المراعي صباحًا، وحين ترجع مساء شبعى ريًّا، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:6]، وينتقلون هم وأحمالهم وأثقالهم على الإبل، إلى الأماكن البعيدة انتجاعًا للكلأ، أو سعيًا وراء العمل والتجارة"[1].

كما أن من المعلوم أن هذه الأنعام لا يقتصر الانتفاع بها بما ذكرناه هنا، بل هناك منافع أُخرى بلّغنا الله بها في نفس الآية، حيث إن الإنسان يستخدمها كواسطة التنقل بين البلدان، والسير بها بالمسافات الطويلة، خاصةً الإبل التي كان الإنسان يجعلها رفيقة له في سفره، وهذه الإبل قد قرنت بالفلك، فإن في الفلك سرًّا أودعه الله بها من عجيب خلقه.

كما أن السفينة لو جُمعت أجزاؤها على شكل كروي أو أي شكل آخر غير مجوف، وألقيت في البحر؛ لرسبت في قاعه، ولكن الله جعل قانون الأجسام الطافية، وهو أن كل جسم يوضع في سائل يفقد من وزنه بقدر وزن حجمه من ذلك السائل، فألهم الله سبحانه أن يبسط مادة السفينة إن كانت من معدن أو من خشب حتى يكون حجمها من الماء يزن أكثر من وزنها ووزن ما فيها من بضائع وملاحين ومن فيها، فتطفو على ظهر الماء. هذه الخاصية التي هدى الله الإنسان إليها، فأصبحت جزءًا من حياته، ربما لا ينتبه إلى هذا التعقيد في قوانين الطبيعة التي خلقها الله فيها. وقد قرن الله الإبل بهذه السفن، حتى إن العرب تُسمي الإبل سفن الصحراء، لأنها تتشابه في أنها التي تقطع المسافات البعيدة في البر كما السفن في البحر[2].

- قوله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [غافر:82]

ما زالت الآيات تتحدث عن طلب هداية قريش بما يذكرهم به وما يعرض عليهم من صور حية لمن كذب ولمن آمن، لعلهم يهتدون، لذلك ختم الله هذه الآيات بخطابٍ يوجهه لقريش، وفي هذا الخطاب يحتج الله ﷻ على قريش بما يظهر في الأمم السالفة من نقمات الله في الكفرة الذين كانوا أكثر عددًا وأشدَّ قوة أبدان وممالك، وأعظم آثارًا في المباني والأفعال من قريش والعرب، فلم يغنِ عنهم كسبهم ولا حالهم شيئًا حين جاءهم عذاب الله وأخذه[3].

(1) أيسر التفاسير: (ص:4092).
(2) التفسير الموضوع لسور القرآن الكريم: ج6، ص600.
(3) انظر: تفسير ابن عطية: ج4، ص571.

رابعًا: البلاغة

- الانتقال من ضمير التكلم إلى الغيبة، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ**﴾.
- "جناس الاشتقاق"[1] في قوله ﷻ: ﴿**أَرْسَلْنَا رُسُلاً**...﴾[2].
- "طباق السلب"[3] في قوله ﷻ: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**...﴾[4].
- "استفهام إنكاري في قوله ﷻ: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ**...﴾، وهو إنكار عدم السير المترتب عليه النظر السليم"[5].

تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- إن الرسل تصدق عليهم كلمة الرسل بكل أبعادها، فإنهم مبلغون عن الله، ليس لهم أن يبلغوا أكثر أو أقل مما أُرسلوا به، حتى معجزاتهم ليس لهم دخل فيها، وفي أغلب الأحيان لا يعرفون حقيقتها، فإن موسى عليه السلام خاف من عصاه التي جعلها الله حية تسعى.
- تتحدث الآيات على كمال قدرة الله ووحدانيته، والتي تشير إلى عظم نعم الله على عباده.
- ذكر منّة الله على الناس في جعل الأنعام صالحة للانتفاع بها أكلاً وركوبًا لبعضها، لعلهم يشكرون بالإيمان والطاعة والتوحيد.
- في هذه الآيات دلالة قوية أنه لا يمكن لأحد في العالم عنده مسكة من عقل أن ينكر فضل الله ونعمه على الناس.

---

(1) جناس الاشتقاق :توافق رُكنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاقٌ ، كقوله ﷺ (أسلم) سالمها الله (وغفارٌ) غفر الله لها، ويسمى(الجناس المطلق).

(2) المنير ج24، ص165.

(3) طباق السلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي؛ كقوله ﷻ: {وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الرُّوم:6-7].

(4) المنير ج24،ص165.

(5) انظر: المرجع السابق- ج24ص،173.

- مشروعية السير في البلاد للعظة والاعتبار تقوية للإيمان[1]. وفي ذلك آيات كثيرة قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:11]

وقال تعالى :﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآَخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:20]

(1) أيسر التفاسير للجزائري ج4،ص588.

المطلب الثالث

حكمة الله في إرسال الرسل

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾. [غافر:83-85]

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

تحدثت الآيات السابقة عن دلائل الألوهية، وكمال قدرة الله ورحمته وحكمته، كما ذكرت ما أنعمه الله ﷻ على الإنسان من تسخير الأنعام له في استخدامها لراحته وأخذ غذائه منها، وهذه الآيات التي ختمت بها السورة تناولت تهديد أهل الكفر والضلال الذين يجادلون في آيات الله، المتكبرين على رسله المكذبين لهم، اغترارًا منهم بدنياهم وأموالهم وأولادهم، وطلبًا للرياسة والجاه، وهو تهديد يبين نهاية من هم أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولادًا، فلم ينفعهم شيء من ذلك حين حلول بأس الله، بل إن إيمانهم بالله وتركهم الشرك حين رؤية البأس لم ينفعهم أيضًا.

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿بِالبَيِّنَاتِ﴾: "من الفعل: بان الأمرُ يبين فهو بيِّن، بمعنى الوضوح والانكشاف"[1]. ولقد أخرج البخاري في صحيحه، عن النعمان بن بشير ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: (الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ...)[2]، ومنه قوله ﷻ: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف:15]، "وبان الأمر: أي ظهر واتضح وأبان الحق"[3]. ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ﴾ [النمل:16].

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير :ج1، ص 70.

(2) صحيح البخاري:ج3، ص 53، كتاب البيوع، باب: الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات، (رقم الحديث:2051).

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة:ج1، ص 274.

- ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: "هزأ: الهزء، وهو السخرية. هزئ به ومنه، وتهزأ واستهزأ به: سخر به"[1]. وإذا قال الرجل: هزئت منك، فقد أخطأ، إنما هو هزئت بك، واستهزأت بك، وقال الليث: الهزء: السخرية، يقال: هزئ به يهزأ به واستهزأ به. ورجل هزأة يهزأ بالناس، ورجل هزأة: يهزأ به، وقال الزجاج في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. [البقرة:14-15] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: أي يجازيهم على هزئهم بالعذاب، فسمي جزاء الذنب باسمه، كما قال ﷻ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾ [الشُّورى:40][2].

- ﴿بَأْسَنَا﴾: البأس يُجمع أبؤس، مصدر بؤس وبئس، ومنه رجل ذو بأس: قوي شديد البأس وشجاع. قال ابن عاشور في تفسير الآية: "والبأس: الشدة في المكروه، وهو جامع لأصناف العذاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [الأنعام:42-43]، فذلك البأس بمعنى البأساء، ألا ترى إلى قوله: {تَضَرَّعُوا}، وهو هنا يقول ﷻ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا...﴾، فالبأس هنا العذاب الخارق للعادة المنذر بالفناء، فإنهم لما رأوه علموا أنه العذاب الذي أنذروه[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:147]، عذاب الله الشديد في الدنيا أو في الآخرة، وقوله ﷻ: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ [النحل:81]، معناه: شدة القتال[4].

- ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة[5]، وهي من الفعل: سن سننت، يسن، اسنن سن، سنا، فهو سان، والمفعول مسنون وسنين، وسن الله سنة: وضعها وبينها، وهي تختص اللجنة التشريعية بسن القوانين. ومنه من سن أمرًا: بدأ

(1) انظر: لسان العرب:ج1، ص 183.
(2) تهذيب اللغة:ج6، ص196.
(3) التحرير والتنوير:ج24، ص 222.
(4) معجم اللغة العربية المعاصرة :ج1، ص 152.
(5) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس:ج3، ص6، معجم اللغة العربية المعاصرة:ج2، ص112، المحيط في اللغة:ج2، ص244.، المعجم الوسيط:ج1، ص456، مجمع البحرين:ج6، ص 268.

بعمله وتبعه الناس بعد ذلك. عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "**من سنَّ سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل، بها لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سنَّ سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيئًا**"[1].

والسنَنُ: المَذْهَبُ والطَّرِيْقُ. اسْتَنَتِ الطرُقُ: وَضَحَتْ وبانَ سَنَنُها. وهي الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة، وسنة الله: حكمه في خليقته، وفي الحديث الشريف: "**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا...**"[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾ [الحجر:13]، أي طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا رسله. وهو وعيد. وقوله ﷻ: ﴿**سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً**﴾ [الإسراء:77]، يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بينهم، فسنة الله أن يهلكهم.

ثالثًا: البلاغة

- فن التهكم: في قوله ﷻ: ﴿**فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ**﴾ [غافر:83]، فقد أظهروا الفرح بذلك، وهو ما لهم من العقائد الزائفة، والشبه الداحضة، وتسميتها علمًا للتهكم بهم[3].

رابعًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [غافر:83].

في هذه الآيات بيان لموقف الجاحدين من رسلهم، فقال ﷻ: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ...**﴾، ويقصد بذلك أي أنه لما جاء الرسل إلى هؤلاء الجاحدين، فرحوا بما لديهم من العلوم الدنيوية كالتجارة والزراعة، واغتروا بتلك القشور التي كانوا يسمعونها ممن كانوا يزعمون أنهم على شيء من العلم الديني، واستهزأوا بما جاءهم به الرسل من علوم تهدى إلى الرشد، وتدعو إلى إخلاص العبادة لله، واعتقدوا لغبائهم وانطماس بصائرهم أنه لا علم أنفع من علومهم ففرحوا بها.

---

(1) صحيح ابن ماجه: ج1، ص 40، أول الكتاب، قال الألباني: صحيح

(2) صحيح البخاري :ج9 ،ص103، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» رقم الحديث7320.

(3) الجدول في إعراب القرآن الكريم ج24ص283

ورحم الله صاحب الكشاف حيث ذكر في تفسيره هذه الآية: "﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ العلم هو علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال ﷻ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرُّوم:7]، فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزئوا بها، واعتقدوا أنه لا أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به"[1].

- وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر:83] بيان لما نزل بهم من عذاب بسبب تكذيبهم لرسلهم، واستهزائهم بهم.

- قوله ﷻ: ﴿لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾. [غافر:84-85]، ثم بيَّن ربنا ﷻ حالهم عندما أحاط بهم العذاب، فقال: ﴿لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾، والبأس: شدّة العذاب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:165]، وفي هذا المقام لما رأى الكفار العذاب النازل بهم، قالوا بفزع وخوف: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾، في هذه الحالة تخلوا وكفروا بما كانوا به مشركين في الدنيا من عبادة لغير الله ﷻ واعتماد على سواه.

وقد بيَّن ﷻ أن إيمانهم هذا لن ينفعهم، لأنه جاء في غير وقته، فقال: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾، لأن إيمانهم جاء عند معاينة العذاب، وعند مجيء سلطان الموت، والإيمان الذى يدعى في هذا الوقت لا قيمة له، لأنه جاء في وقت الاضطرار، لا في وقت الاختيار. أخرج الترمذي في سننه ما رواه ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: "**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**"[2]، وهذا يبيّن لنا أن فضل الله ﷻ واسعٌ، إلى درجة أنه يقبل توبة عباده قبل أن تصل الروح إلى الحلقوم، فحينئذٍ يؤمل ويرجى أن المحتضر إذا قيل له: قل: لا إله إلا الله، أن يستجيب لهذا القول، فيكون آخر قوله شهادة أن لا إله الله، ويكون ذلك بشرى له بحسن خاتمته.

(1) الكشاف: ج4، ص، 182.

(2) انظر: سنن الترمذي ج5، ص547، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده،(رقم الحديث: 3537)، قال الشيخ الألباني: حسن.

- وقوله ﷻ: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ...﴾، فهي سنة الله الماضية في الناس عدم نفع الإيمان عند حلول العذاب، فهي باقية، ولا تتخلف في أي زمان أو مكان. فإذا نزل العذاب على الكافرين يخسرون كل شيء، بحيث لا ينفعهم أموالهم ولا أولادهم ولا آلهتهم التي كانوا يتوهمون شفاعتها، وهذ ما دل عليه قول ربنا ﷻ: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾، وهذه الخسارة تكون بعد مجيء الرسل إليهم، وكفرانهم بما أنزل الله، وعند حلول العذاب عليهم تكون خسارتهم في الدنيا والآخرة [1].

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- إن آثار تدمير الأمم الغابرة بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل عبرة للمعتبر.
- عند رؤية العذاب، آمن المشركون بالله وحده، وكفروا بالأوثان التي أشركوها في العبادة مع الله.
- الإيمان بالله عند معاينة العذاب لا ينفع ولا يفيد صاحبه[2].
- القوى المادية لا تغني عن أصحابها شيئًا، إذا أرادهم الله بسوء.
- بيان سنة بشرية وهي أن الماديين يغترون بمعارفهم المادية ليستغنوا بها عن العلوم الروحية في نظرهم، إلا أنها لا تغني عنهم شيئًا عند حلول العذاب بهم في الدنيا وفي الآخرة [3].

(1) انظر: تفسير سيد الطنطاوي:(ص:3722).
(2) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 178.
(3) انظر: أيسر التفاسير: ج4، ص 558.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت الآيات (1-29)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة فصلت

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات (1-8)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات:(9-29)

المبحث الأول

تعريف عام بسورة فصلت

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السور، وعدد آياتها، وترتيبها

المطلب الثاني: أسباب النزول لسورة فصلت

المطلب الثالث: فضل السورة

المطلب الرابع: أهداف السورة وموضوعاتها

المطلب الخامس: محور السورة وجوها العام

المطلب السادس: المناسبات في سورة فصلت

المطلب الأول
أسماءُ السورةِ، وعددُ آياتها، وترتيبُها

أولاً: اسم السورة

تُسمَّى سورة فصلت بأربعة أسماء، وهي:

1- فصلت: "لافتتاحها بقوله ﷻ: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصّلت:3]، وقد فصّل الله ﷻ فيها الآيات، وأوضح الأدلة والبراهين وعلى وجوده وقدرته ووحدانيته، ومن خلق الله لهذا الكون العظيم وتصرفه فيه"[1].

2- (حم، السجدة): لأن رسول الله ﷺ عندما قرأ أولها على زعماء قريش حتى انتهى إلى السجدة منها سجد[2]، للإشارة إلى ما في آياتها من الطاعة له بالسجود الذي هو أقرب مقرب من الملك الديان[3].

3- سورة المصابيح: لقوله ﷻ: ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصّلت:12].

4- سورة الأقوات[4]: لقوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصّلت:10].

ثانيًا: عدد آياتُها

عدد آيات سورة فصلت أربع وخمسون آية وهي مكية[5]. وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعند أهل الشام والبصرة اثنتان وخمسون، وعند أهل الكوفة أربع وخمسون[6].

ثالثًا: ترتيبها

ترتيب السورة في القرآن هو إحدى وأربعون[7]، وترتيبها من حيث النزول بين السور هو إحدى وستون، حيث نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الشورى[8].

---

(1) التفسير المنير :ج24،ص 179.
(2) انظر: التفسير المرجع السابق:ج24،ص 179.
(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج6، ص 547.
(4) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، للألوسي ، ج12، ص 346.
(5) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ج2،ص357.
(6) انظر: التحرير والتنوير،ج24، ص 228.
(7) انظر: غرائب القرآن ورغبات الفرقان، ج6،ص46.
(8) انظر: التحرير والتنوير، ج24،ص 228.

المطلب الثاني

أسباب النزول لسورة فصلت

"اجتمع كفار قريش في ناديهم حول الكعبة المشرفة، فقال قائل منهم –ولعله أبو جهل: "لقد التبس علينا أمر محمد، فهذا الذي أتى به ودعا إليه ما هو؟ هل هو سحر أم كهانة أم شعر"؟ وكان عتبة بن ربيعة أعلمهم بالشعر وبالكهانة وبالسحر، وكان سيدًا من ساداتهم، وكبيرًا من كبرائهم"، فقالوا له: "يا أبا الوليد، اجتمع بمحمد، واسمع خبره، وكلمه؛ لعله يكفّ عما هو قائم به نحونا. وكان ذلك منهم عندما أسلم حمزة وعمر معًا، وأخذ أتباع النبي ﷺ يكثرون يومًا بعد يوم.

فجاء إليه عتبة وقال: "يا محمد! يا أبا القاسم! لم تر العرب رجلاً مثلك، شتت قومه، وعاب آباءه، وشتم دينهم، وذكر أبناءهم وآباءهم بسوء، فما هذا الذي أتيت به؟ هل أنت خير أم أبوك عبد الله أم جدك عبد المطلب أم جدك هاشم أم جدك قصي"؟ والنبي ﷺ ساكت لا يجيبه.

فأخذ يزيد ويقول له: "إن كان هذا الذي بك مرض؛ جمعنا لك من أموالنا، حتى نأتيك بأطباء يعالجون مرضك، وإن كنت تريد الملك؛ ملكناك علينا، ورفعنا راياتك على رؤوسنا، وإن كانت بك الباءة؛ زوجناك عشرًا من عقائل قريش، وإن كان بك المال؛ جمعنا لك من المال حتى تكون أغنى رجل في قريش أنت وعقبك"! "فقال له النبي ﷺ: (أفرغت يا أبا الوليد؟! قال: نعم. قال: فاسمع مني، قال: كلي لك سمع! فقرأ عليه النبي ﷺ: ﴿**حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾ [فصّلت:1-4]. إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصّلت:13].

وإذا بعتبة –عندما وصل رسول الله ﷺ إلى هذه الآية– يضع يده على فمه، ويقول: نشدتك الله والرحم التي بينك وبيننا، فأتمَّ السورة إلى أن وصل إلى السجدة فسجد، وعتبة يرى ذلك في ذهول، ثم تركه وذهب إلى قريش، فقالوا قبل أن يصل: "والله، لقد عاد إليكم عتبة بغير الوجه الذي ذهب به إلى محمد"! فجاء، فقالوا له: "ما وراءك"؟ فقال لهم: "اجعلوها عليَّ ودعوا محمدًا وما يدعو إليه، واعتزلوه، واتركوه للعرب، فإنهم إن غلبوه كُفيتموه، وإن انتصر عليهم فملكه ملككم وعزّه عزّكم وشرفه شرفكم، فوالله لقد قلت الشعر وسمعته؛ فما قوله بالشعر، ورأيت الكهانة واستعملتها؛ فما قوله بالكهانة ولا هو بالكاهن، ورأيت السحر واستعملته؛ وما هو بالساحر ولا قوله بالسحر"، فصاح فيه أبو جهل وقال له: "يا أبا الوليد! لقد صبأت إلى محمد وأعجبك طعامه"، فغضب عتبة وقال: "والله لا كلمت محمدًا بعد اليوم، وإنكم لتعلمون أني أكثركم مالاً وأرفعكم نسبًا"[1].

(1) تفسير المنتصر: ج 2، ص 298.

المطلب الثالث

فضل السورة

عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: "اجتمعت قريش يومًا فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق بين جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله، أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف، يا رجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلًا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجنك عشرًا، فقال رسول الله ﷺ: فرغت؟ قال: نعم، فقال ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [فصّلت:1-3]، حتى بلغ: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصّلت:13]، فقال عتبة: "حسبك، حسبك، ما عندك غير هذا"؟ قال لا، فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، فقالوا: فهل أجابك؟ قال: ويلك، يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال؟ "لا والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة"[1].

(1) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ج7، ص: 330، كتاب المغازي، باب "في أذى قريش للنبي ﷺ،(رقم الحديث: 36560).

المطلب الرابع
أهداف السورة وموضوعاتها

سورة فصلت من السور المكية، وأهدافها كأهداف باقي السور المكية، وذلك بإثبات أصول العقيدة، ومنها الوحدانية والرسالة والوحي، والبعث والجزاء والحديث عن الساعة واختصاص علم الله بها[1].

ومن أهم أهداف سورة فصلت ما يأتي:

1. بيان بعض صفات القرآن الكريم، وبيان بعض وظائفه، حيث إنه البلسم الشافي للأمم والأفراد والجماعات، وهو الرحمة التي تعم الناس، حيث قال ﷻ: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصّلت:1-4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصّلت:41-44].

2. بيان الأدلة على وجود الله وكمال قدرته وحكمته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصّلت:37-39].

3. بيان أن الإصرار على الكفر والمعصية هو سبب للعذاب في الدنيا والآخرة، حيث قال ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا

(1) انظر: التفسير المنير:ج24،ص 180.

أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصّلت:13-17].

4. بيان أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة، والنطق في الجلود، فتنطق وتشهد على الكفار بما كانوا يعملون، كما كانت تنطق جوارحهم وأسماعهم وأبصارهم[1]. قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصّلت:20-22].

5. بيان أن الكفار لم يجدوا وسيلة للتخلص من أثر القرآن سوى الصد عن سماعه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصّلت:26-32].

6. بيان أن الله ولي المؤمنين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

(1) انظر: التفسير المنير: ج24، ص 214.

تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصّلت:30-32].

7. الحث على الدعوة إلى الله تعالى، وبيان آداب الدعاة[1]. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [فصّلت:33-36].

8. بيان جزاء الملحدين في آيات الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصّلت:40]، وبيان موقف من اتبعهم في ذلك اليوم، حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ [فصّلت:29]، فكانوا سببًا في دخولهم النار، كما قال ﷻ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت:25][2].

(1) انظر: في ظلال القرآن: ج5، ص 3121.

(2) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 247.

المطلب الخامس

محور السورة، وزمن نزولها

أولاً: محور السورة

هذه السورة الكريمة مكية، وهي تتناول جوانب العقيدة الإسلامية: الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء، وهي الأهداف الأساسية لسائر السور المكية التي تهتم بأركان الإيمان. يقول سيد قطب –رحمه الله: "قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة، الألوهية الواحدة، والحياة الأخرى، والوحي بالرسالة، يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخلق الداعية، وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق واستدلالاً عليها، وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق، وتحذير من التكذيب بها، وتذكير بمصارع المكذبين في الأجيال السابقة، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة، وبيان أن المكذبين من الجن والإنس هم وحدهُم الذين لا يسلّمون بهذه الحقائق، ولا يستسلمون لله وحده، بينما السماء والأرض والشمس والقمر والملائكة كلهم يسجدون لله، ويخشعون ويسلمون ويستسلمون"[1].

ثانيًا: زمن نزولها

سورة فصلت من السور المكية التي نزلت قبل الهجرة، وهي من الحواميم، وقيل: إن الحواميم مكيات، وقال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع المفسرين"[2].

(1) في ظلال القرآن:ج5، ص3015.

(2) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:ج5، ص3، زاد الميسر في علم التفسير، ج4، ص54.

المطلب السادس

المناسبات في سورة فصلت

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها

1. مناسبة السورة لما قبلها (سورة غافر)

أ- قال ﷻ في آخر سورة غافر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر:82]، فضمن وعيدًا وتهديدًا أو تقريرًا لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه أنزل كتابًا مفصلاً آياته بشيرًا لمن اتبعه، ونذيرًا لمن أعرض عنه، ثم ذكر قدرة الله ﷻ على إيجاد العالم العلوي والسفلي[1]، حيث قال ﷻ في سورة فصلت: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت:1-4].

ب- يبين ربنا ﷻ في سورة غافر الصراع العقلي والعلمي بين المؤمنين والمشركين، وانتهى الجدل إلى بيان موقع المشركين في النار، وكيف يؤمنون إذ لا ينفع الإيمان، وجاءت سورة فصلت تبين طبيعة المنهج الذي يسير عليه فريق المؤمنين، وكيف أن الله ﷻ أنزل لهم قرآنًا يهديهم إلى الطريق الموصل إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، ففي سورة فصلت بيَّن الله ﷻ صفات القرآن الكريم، وموقف المؤمنين والمشركين منه، وانهزامهم أمام حقائقه[2].

ت- كذلك بدأت كلتا السورتين بوصف كتاب الله الكريم.

ث- اتفقت سورة غافر مع سورة فصلت بتهديد قريش وتقريعهم فقد توعدهم في سورة غافر بقوله ﷻ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر:82]

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور:ج17، ص2.

(2) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:ج7، ص4.

وهددهم هنا بقوله ﷻ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصّلت:13]

2. مناسبة السورة لما بعدها (الشورى)

بدأت السورة التي بعدها بالحروف المقطعة، التي من مقصودها الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان، ودعائمه الصلاة، وورح أمره الألفة بالمشاورة المقتضية لكل أهل الدين الذين كلهم في سواء، كما أنهم في العبودية لشارعه سواء، وجاء بعد ذلك الإيحاء العظيم لأن الذي أخبر به الله صريحًا في أول فصلت في أن الله إله واحد، وآخرها من أنه (ما يقال لك إلا ما قيل للرسل من قبلك)، ويجمع هذه الأمة على الدين بما تبين أن هذا القرآن هو الحق بما يوضح من دلالات وبيانات في الآفاق[1]. قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت:53-54]، وجاءت الآيات الأولى في سورة الشورى مؤكدة على أن الله ﷻ خالق السموات والأرض، حيث قال: ﴿حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشُّورى:1-5].

ثانيًا: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها

تظهر المناسبة بين افتتاحية سورة غافر وخاتمتها، أنها بدأت بقوله ﷻ: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصّلت:1-5]، فالحديث عن القرآن الذي بينت فيه الآيات التفصيلية التي تدل على عظمة منزله، لكن هذه الآيات لا يفقهها على وجهها الصحيح إلا القوم العالمون، لأنهم الذين يدركون مرامي الآيات المفصلة، وما تشتمل عليها من وجوه الإعجاز وأسرار الكون والمخلوقات.

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج17، ص 230.

وفي خاتمة السورة جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت:52-54]، حيث جاء الحديث في الخاتمة عن القرآن المنزل من عند الله ﷻ، والاستغراب من حالهم وكيف يكذبون به، ويتعهد الله ﷻ أن يريهم الآيات الدالة على كونه من عند الله، من خلال الكون ومن خلال الأنفس، حتى يتأكدوا من ذلك من خلال علومهم، والحقيقة الدافعة لهم إلى التكذيب به هو إنكارهم الآخرة، وعدم رغبتهم في تصور أن يكون هناك يوم يحاسبون فيه على ما اقترفته أيديهم في الحياة الدنيا[1].

ثالثًا: المناسبة بين اسم السورة ومحورها

يظهر التناسب بين اسم السورة ومحورها واضحًا جليًا، فهذه السورة الكريمة تتناول جوانب العقيدة الإسلامية، والتي منها: الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء، والقرآن الكريم هو الذي فصلت آياته قرآنًا عربيًا، لتبين جوانب العقيدة وغيرها من أمر الدين.

رابعًا: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمة ما قبله

تبدو مقدمة سورة فصلت متلائمة مع نهاية سورة غافر، لاشتراكها في تهديد ووعيد وتقريع المشركين المجادلين في آيات الله في مكة وغيرها، ففي آخر السورة المتقدمة توعدهم الله ﷻ بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر:82]، وفي القسم الأول من سورة فصلت هددهم مرة أخرى بقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصّلت:13]. وهذا كله مناسب لآخر سورة المؤمن، من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين رؤية العذاب، كما أن قريشًا لم ينتفعوا حينما حلَّ بصناديدهم القتل والأسر والنهب والسبي، واستؤصلوا مثلما حلَّ بعاد وثمود من استئصال[2].

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور: ج17، ص134، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ص:63.

(2) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 179.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة فصلت

الآيات (1-8)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم منهج أصلي للفرد والجماعات.

المطلب الثاني: سبب إعراض المشركين عن القرآن الكريم.

المطلب الثالث: النبيّ ﷺ يدعو إلى الحق.

المطلب الأول

القرآن الكريم منهج أصلي للفرد والجماعات

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصّلت:1-4]

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

تنوه السورة بالقرآن وإحكامه ولغته، وحكاية لما كان من مواقف الكفار الحجاجية وشدة إنكارهم وإعراضهم، وتحدّيهم للقرآن وردود عليهم، وإنذارهم وتذكير لهم بما كان من أمثالهم. وفيها صور لما سوف يكون من أمرهم يوم القيامة من خزي وحسرة. وفيها لفت نظر إلى مشاهد قدرة الله وعظمته في الكون واستحقاقه للعبادة والخضوع وحده، وتنويه بالمؤمنين ومصائرهم، وبشرى لهم، وحثّ على مكارم الأخلاق والتزامها، وتطمين بنصر الله وتأييده وإرغام الجاحدين في الدنيا قبل الآخرة[1].

من خلال النظر والتأمل في السورتين نجد أنه قد تلاءمت فاتحة سورة فصلت مع خاتمة سورة غافر، وذلك باشتراكهما في تهديد ووعيد وتقريع المشركين المجادلين في آيات الله في مكة وغيرها، ففي آخر سورة غافر توعدهم الله ﷻ بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر:82]

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿فُصِّلَتْ﴾: الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، ومنه: فصل يفصل تفصيلًا، فهو مفصل، والفصل: هو الفصل بين الشيئين[2]، كفصل القضاء بين الحق والباطل[3]، مثل قوله ﷻ: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [الصّافات:21]، وقوله ﷻ:

(1) فتح القدير:ج4، ص404.
(2) مقاييس اللغة:ج4، ص505.
(3) العين:ج7، ص 126.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطَّارق:13]، وفصل بين المتخاصمين: حكم وقضى، ومنه فصل الأمر: بيَّنه وأوضحه، كقوله ﷻ: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصِّلت:3]، أي: بُينت بيانًا شافيًا[1].

- ﴿بَشِيرًا﴾: البشارة: ما بشرت به، والبشير: هو المبشر بالخير ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:11] ، والبشارة: حق ما يعطى على ذلك. وتباشر القوم بأمر، وبشرته فأبشر وتبشر واستبشره ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر:24]، وقال ربنا ﷻ: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾ [الشُّورى:23].

وإذا كانت البشارة للشر فهي على سبيل التحقير والتوبيخ نحو قوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:34]

- ﴿فَأَعْرَضَ﴾: أعرض يعرض إعراضًا، فهو معرض، والمفعول: معرض، وأعرض الطريق الجديد: جعله عريضًا متسعًا، وأعرض عن صديقه: أدار ظهره له غير مكترث أو مهتم به، صد عنه، تجاهله، جفاه، وعكس أعرض: أقبل، ومنه قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف:29][2]، "وأعرض عن الشيء: إذا ولاه ظهره وتظاهر بعدم ملاحظته"[3]، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه:124]

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصِّلت:1-2]. افتتحت السورة بالحروف المقطعة: ﴿حم﴾، للتنبيه ولفت النظر لما يُعرض فيها، وتحدي العرب بإعجاز القرآن المتكون من الحروف العربية الأبجدية أو الهجائية، وتقترن هذه الحروف عادة بالكلام عن القرآن، للدلالة على الصلة بينه وبين مكوناته العربية. وذكر هنا أن القرآن الكريم منزل من الله تعالى المتصف بالرحمة الواسعة والدقيقة، فقوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:3] هما صفتا رجاء ورحمة لله تعالى[4]، ومن أعظم رحمته إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به العلم والهدى والفوز والشفاء والرحمة والخير الكثير، وهو الطريق للسعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

---

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة: ج 29، ص 267.
(2) المرجع السابق: ج2، ص 1480.
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر:ج3،ص 215، لسان العرب:ج:7، ص 176.
(4) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي:ج3، ص2292.

والقرآن الكريم في الاصطلاح: "**هو كلام الله المعجز، المنزَّل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته**". ويُلاحظ أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي ﷺ والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة[1].

قوله ﷻ: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصّلت:3]. وهو كتاب بينت وفصلت آياته وأحكامه، وجعلت معانيه مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد، باللسان العربي ولغتهم ليفهموا منه المراد، ولو كان من غير لسانهم ما فهموه[2].

قوله ﷻ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصّلت:4]. بشيرًا ونذيرًا، بشيرًا لأهل الإيمان، مبشرًا لهم بالجنة، ونذيرًا للمشركين من عذاب النار، ومع وضوحه فقد أعرض كفار قريش عنه، ولم يلتفتوا إليه، فهم لا يسمعونه، ولا يريدون سماعه[3].

رابعًا: البلاغة

- في قوله ﷻ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: طباق[4].

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- احتوت هذه الآيات على وصف الله تعالى للقرآن الكريم بصفات عشر: هي كونه تنزيلًا، وهذا التنزيل من الرحمن الرحيم، وكونه كتابًا، قد فصلت آياته، وكونه قرآنًا، وعربيًا، ولقوم يعلمون ليفهموا منه المراد، وبشيرًا، ونذيرًا، وكونهم معرضين عنه لا يسمعون ولا يلتفتون إليه.
- كل مسلم يريد أن يفهم كلام الله ﷻ عليه تعلم اللغة العربية بإتقان.
- اشتمال القرآن على أسلوب الترغيب والترهيب، وهي البشارة والنذارة. قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ

(1) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (ص: 19).
(2) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل:ج4، ص82.
(3) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص560.
(4) التفسير المنير:ج24، ص184.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلاً﴾ [النساء:56-57].

- بيان عظم شدة عداوة المشركين واليهود على حدٍّ سواء للتوحيد والداعين إليه في كل زمان ومكان. قال ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ [المائدة:82].

- ألفاظ القرآن الكريم كلها عربية، ليس في القرآن الكريم لفظ غير عربي، وهذا رد على من قال: اشتمل القرآن على سائر اللغات، مثل: إستبرق، وسجيل من اللغة الفارسية، وكمشكاة من لغة الحبشة[1].

قال أبو عبيدة: [2] "من زعم أن في القرآن لساناً غير العربية فقد قال بغير الحق، وأعظم على الله القول، واحتج بهذه الآية﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:2] .

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، أن فيه من لسان غير العربية مثل: سجيل- المشكاة- اليمّ- إستبرق ولا خلاف بين القولين ويمكن الجمع بينهما، أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب، ودارت على ألسنتهم، صارت عربية فصيحة، وإن كانت غير عربية في الأصل وبهذا نجمع بين القولين، وفي علم أصول النحو قرر العلماء قاعدة مفادها بأنه إذا دخل كلمة أو أكثر إلى لغة قوم وتداولوها وصارت شائعة بينهم ومستعملة، فإنها تصبح من صميم لغتهم، ولا ضير في ذلك، فأمم الأرض يتأثر بعضها ببعض ويكتسب بعضها من بعض، وهذه ظاهرة عالمية، بل في جميع لغات الدنيا"[3]

ولقد ذكر المحققون من أهل الفقه بالقرآن على أن" القرآن الكريم جاء بأصفى ألفاظ اللغة العربية، وأعذبها، وأفصحها، مما لا يمكن أن يخدش عربية لغة القرآن؛ بحيث لا تجد لفظا واحدا فيه إلا وله أصالة في العربية.....

---

(1) التفسير المنير:ج24،ص 189، أيسر التفاسير:ج4، ص 561.

(2) معمر بن المثنى التيمي، البصري، أبو عبيد النحوي: وهو من أئمة العلم بالأدب ، مولده في البصرة (110هـ-728م) وتوفي فيها (209هـ-824م) استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة 188 هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، من حفاظ الحديث، وكان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتبا. ولما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه، له نحو 200 مؤلف، منها (نقائض جرير والفرزدق) و(مجاز القرآن) و(معاني القرآن) و(طبقات الفرسان) الأعلام للزركلي: ج7، ص272.

(3) الجدول في إعراب القرآن:ج12،ص377.

وقد علق على ذلك الدكتور محمد ابو شهبة [1] في كتابه المدخل لدراسة القرآن الكريم بقوله " ومثل هذه الكلمات التي جاءت في القرآن، وقيل إنها غير عربية في الأصل كالمشكاة والقسطاس، وإستبرق ونحوها، فإنها إمّا صارت عربية بالاستعمال أو أنها مما توافقت فيها لغة العرب وغيرهم، ولم يطعن وجودها في كون القرآن عربيّا مبينا"[2].

وقال الشاطبي في بيان ذلك: "إذا كانت العرب قد تكلمت به، وجرى في خطابها، وفهمت معناه؛ صار من كلامها" [3]

(1) العلامة الدكتور محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، ولد رحمه الله بقرية محافظة كفر الشيخ – في 25 شوال 1332هـ – 1914/9/15م، أتمَّ حفظ نصف القرآن الكريم بكتَّاب القرية إلى جانب تعلم القراءة والكتابة، وأصول الدين، ولما فتحت المدارس الأولية التحق بمدرسة قريته أتم بها حفظ القرآن الكريم، وأخذ الشهادة الأولية في سن الثانية عشرة، التحق بمعهد طنطا الثانوي، وفي عام 1935م التحق بكلية أصول الدين، ثم نال على درجة الماجستير،وفي ذي الحجة 1365هـ – نوفمبر عام 1946م نوقش في رسالة «الدكتوراة» أمام لجنة خماسية من كبار العلماء فنالها بدرجة الامتياز.

انتقل إلى جوار ربه في أيام مباركة – أيام عيد الفطر، بعد فريضة الصيام في صباح يوم الجمعة الموافق 5 شوال 1403هـ – 1983/7/15م.

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 182).

(3) علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات (ص: 34)

المطلب الثاني

سبب إعراض المشركين عن القرآن الكريم

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصّلت:5].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

ذكرت للآيات الكريمة في بداية السور بعض صفات القرآن الكريم ثم ذكرت في هذه الآيات موقف المشركين من القرآن الكريم وكيف أنهم هربوا مجرد سماعهم للقرآن الكريم وبذلك الموقف الضعيف يظهر انهزامهم أمام قوة القرآن الكريم ([1]).

ثانياً: معاني المفردات

- ﴿أَكِنَّةٍ﴾: الأكنة: جمع كنان، وهو الغطاء للشيء، ويقال: كننت الشيء أكنه وأكننته أكنه بمعنى: سترت وخبأت، وبعض أهل اللغة يقول: كننت الشيء: سترت وصنت، وأكننت القول في صدري: أخفيته، واحتج بقوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصَّافات:49]، من: كننت، وبقوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص:69]، من: أكننت[(2)].

- ﴿وَقْرٌ﴾: وقر يوقر وقرًا، فهو وقر، وقرت أذنه: وقرت؛ أي: ثقلت، وذهب سمعها كله. وذكر صاحب التفسير الوسيط: "أن الوقر هو الصمم الذى يحول بين الإنسان وبين سماع ما يقال له"[(3)].

- ﴿حِجَابٌ﴾: من الحجب بمعنى الستر، لأنه يمنع المشاهدة، ومنه قيل للبواب حاجب، لأنه يمنع من الدخول، وحجب الشيء يحجبه حجبًا وحجابًا، وحجبه: ستره. وقد احتجب وتحجب. والحجاب: ما احتجب به. كل ما حال بين شيئين: حجاب، والجمع: حجب لا غير. وقوله

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ج7، ص10.
(2) انظر: تفسير الوسيط لسيد طنطاوي : (ص: 3724)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار:ج1، ص 343.
(3) التفسير الوسيط:ج12، ص 326،معجم اللغة العربية المعاصرة :ج3، ص 2480، المحكم والمحيط الأعظم: ج 6، ص 355، لسان العرب: ج5، ص 289.

تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصّلت:5]، والحجاب هنا معناه: بيننا وبينك حاجز في الدين؛ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ [فصّلت:5][1].

ثالثاً: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصّلت:5]

في هذه الآيات يؤكّد الكفار على انهزامهم ومغالطتهم، فقالوا: إن قلوبهم عليها أغطية، وهي مغلقة بغلاف لا تخترقها حججك ولا بيناتك، ولا نريد أن نفتح عقولنا لما تدعونا إليه، وآذاننا لا تسمع منك شيئًا، لأنها ثقيلة، فالوقر ثقل يؤدي إلى الصمم، وبيننا وبينك حاجز سميك لا تخترقه أنت ولا نحن، وقولهم هذا دليل على أن المانع الحاجز الذي يستغرق المسافة التي بيننا، فإن هناك شيئًا عندك يدفعنا إلى الامتناع، وهناك شيء في نفوسنا يمنعنا من الإيمان بك.

وموقفهم هذا انهزامي مغالط، لأن الذي يعتقد أنه على حق يود لو يبين حقه لكل الناس ويستمع إلى ردودهم، لأنه يعتقد أنه حقه أقوى من حجتهم، فقولهم هذا يشير إلى أنهم يخافون من الاقتناع بصحة ما جاء به. وقد روي أن سعد بن معاذ حينما سمع بوجود مصعب بن عمير ﷺ في المدينة؛ ذهب إليه وتوعده، فقال له مصعب ﷺ: أو تستمع، فإن رأيت صوابًا فأنت وذاك، وإن رأيت خطأً فنفذ ما تتوعد به، فجلس إليه فأخذ يقرأ هذه السورة، فقال: والله إنه لحقٌّ، وأسلم ﷺ. فكان أهل مكة يحاربون الرسول ﷺ، ويمنعون كل أحد أن يستمع إليه، لأنهم يعلمون أن ما جاء به الرسول ﷺ لا يرده عاقل، ولا يعانده إلا مكابر مغالط.

وقوله: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾: فاعمل يا محمد على دينك وطريقتك، إننا عاملون على ديننا وطريقتنا، لا نتابعك، واعمل في هلاكنا وإبطال أمرنا، فإنا عاملون في هلاكك وإبطال أمرك وفضِّ الناس من حولك، ولقد جاء عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليعظم عليه أمر مخالفته لقومه، وليقبح عليه فيما بينه وبينه، وليبعد ما جاء به، فلما تكلم عتبة، قرأ رسول الله ﷺ (حم)، ومرَّ في صدرها حتى انتهى إلى قوله: (فإن أعرضوا فقل: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأرعد الشيخ، ووقف شعره، فأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده، وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: (والله لقد سمعت شيئًا ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي)[2].

(1) انظر: لسان العرب: ج1، ص 298، المحكم والمحيط الأعظم:ج3، ص92.
(2) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 186.

رابعاً: البلاغة

- قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ استعارة تصريحية: حيث شبهوا إعراضهم عن القرآن ونفرتهم ومباعدتهم عنه وشدة كراهيتهم بمن حجبت قلوبهم عن العلم، وأسماعهم عن الفهم والإدراك. والاستعارة هنا ليست على الحقيقة، وإنما أخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على استثقالهم ما يسمعونه من قوارع القرآن، وجوامع البيان، فكأنهم من شدة الكراهية له قد صُمَّت أسماعهم عن فهمه، وقلوبهم عن علمه[1].
- قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ في الآية ثلاث استعارات تمثيلية:

أ. ﴿بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: وهو الحجاب الحائل الخارج، حيث شبهوا قلوبهم بالشيء المحوى المحاط بالغطاء المحيط له.

ب. ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: وهو حجاب الصمم، فقد شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم، من حيث إنها تمج الحق، ولا تميل الى استماعه.

ت. ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: وهو الحجاب الذي أكن القلب والعياذ بالله، فقد شبهوا حال أنفسهم مع الرسول بحال شيئين بينهما حجاب عظيم، يمنع من وصول أحدهما الى الآخر[2].

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- إن من صفات المشركين في القرآن الكريم أنهم بمجرد سماعهم القرآن فإنهم يهربون من سماعه، وهذا موقف انهزامي، تدل عليه قوة القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصّلت:26].
- على الداعية أن يعلم أن المشركين يعارضونه لأنه مسلم لا غير، فلا يمنعهم من اتباعه الأصل ولا العرق ولا القومية، إنما هو الإيمان.
- دلت الآية على أن الكفار كانوا في غاية النفرة والمباعدة عن القرآن باختيارهم وتصريحهم وبعدهم عن الحق الذي ينبغي أن يتبع.

---

(1) صفوة التفاسير:ج3، ص 120، التفسير المنير:ج24،ص184.

(2) إعراب القرآن وبيانه:ج8،ص531.

المطلب الثالث
النبيُّ ﷺ يدعو إلى الحق

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصّلت:6-8].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن ذكر المشركون الأسباب التي تحول بينهم وبين قبول دعوته، أمر الله ﷻ رسوله أن يجيب عن كلامهم بأنه لا يقدر على جبرهم على الإيمان وحملهم عليه قسرًا؛ فإنه بشر مثلهم، ولا ميزة له عليهم إلا بأن الله أوحى إليه ولم يوحَ إليهم، ثم ذكر أن خلاصة الوحي علم وعمل، أما العلم فدعامته التوحيد، وأما العمل فأسُّه الاستغفار والتوبة مما فرط من الذنوب، ثم أردف ذلك التهديد لمن يشرك بالله ولا يزكي نفسه من دنس الشح والبخل، وينكر البعث والجزاء والحساب يوم القيامة، وينصرف إلى الدنيا ولذاتها، وبعد أن ذكر وعيد الكفار أعقبه بوعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن لهم عند ربهم أجرًا دائمًا غير مقطوع ولا ممنوع[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿**يُوحَى**﴾: الواو والحاء والياء (وحي): أصل يدل على إلقاء علم في خفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه، فهو وحي كيف كان، وأوحى الله إلى أنبيائه، وأوحى: أشار[2] قال الله ﷻ: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم:11].

- ﴿**اسْتَقِيمُوا**﴾: اسم الفاعل من استقام: مستقيم، لفظ مفرد، والجمع: مستقيمون، ومستقيمات (لغير العاقل)، الدين المستقيم: الدين الحقيقي أو الصحيح، الصراط المستقيم: الطريق المستقيم، لقوله ﷻ: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة:6]، والاستقامة في الدين: أن

(1) انظر: تفسير المراغي:ج24، ص 106.
(2) انظر: مقاييس اللغة:ج6،ص 93، مختار الصحاح: ص: 335.

يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي، وهي ضد الاعوجاج[1]. وتطلق مجازًا على كون الشيء حقًّا خالصًا، ليست فيه شائبة تمويه ولا باطل[2].

- ﴿وَيْلٌ﴾: كلمة مثل: ويحٍ، إلا أنَّها كلمةُ عذابٍ، وقيل: وادٍ في جهنم، واستعملت في الآية بمعنى العذاب الشديد الذي سيحل بهم بسبب كفرهم واتخاذهم آلهة من دون الله ﷻ[3].

- ﴿مَمْنُونٍ﴾: (المنّ): القطع. وقيل: النقص، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصّلت:8]، أي: غير مقطوع أو غير محسوب[4]، ومنّ الله تعالى على عباده، وهو المنّان، فهو اسم الله الأعظم، إلا أنه لم يرد ذكره في في القرآن الكريم، ولكنه ورد في السنة المطهرة مرادًا به العلمية، ودالاً على كمال الوصفية، كما في أسمائه الحسنى الثابتة، وقد ورد هذا الاسم في سنن أبي داود، من حديث أنس ﷺ، أنه كان مع رسول الله ﷺ رجل يصلي، ثم دعا، فقال هذا الرجل: (اللَّهمَّ إني أَسأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحمدَ، لا إلهَ إلا أنْتَ، المَنَّانُ، بَديعُ السَّمَواتِ والأرضِ، ذو الجَلالِ والإكْرَامِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، فقال رسولُ الله ﷺ لأصحَابِهِ: "أتَدرونَ بمَ دَعَا"؟ قالوا: "اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: "والذي نفسي بيده، لَقَدْ دَعا الله باسمه الأعظم، الذي إذَا دُعِيَ به أَجَابَ، وإذَا سُئِلَ بِهِ أعْطَى")[5].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصّلت:6-7].

الخطابُ في هذه الآيات موجَّه لسيدنا محمد ﷺ، لأنه صاحب الدعوة الحقيقة التي كفر بها المشركون، فهم يكذبونه ويكفرون به. وتقصد الآيات بالقول: يا محمد، قل لأولئك المشركين الكفار: لستُ إلا بشرًا مثلكم، خصّني الله بالرسالة والوحي، وأنا داعٍ لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم، الذي قامت الأدلة العقلية والشرعية على وحدانيته ووجوده، وأيده النقل عن الأنبياء جميعًا من آدم فمن

(1) التعريفات: (ص: 19)، موسوعة مصطلحات ابن خلدون الجرجاني:ج2، ص 29.
(2) التنوير والتحرير:ج16، ص 104.
(3) انظر: أيسر التفاسير:ج3، ص 470، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج5،ص 1846، معجم الفروق اللغوية: (ص: 579).
(4) مختار الصحاح: (ص: 209)، أساس البلاغة:ج2، ص 230.
(5) سنن أبي داود:ج2، ص79، باب الدعاء،(رقم الحديث:1495)،حكم الشيخ الألباني بصحته.

بعده، فلا داعي إلى تكذيبي: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصّلت:6]، أي: توجهوا إليه بالاستقامة على التوحيد والإيمان، والإخلاص في الأعمال، واسألوه المغفرة لسالف الذنوب، وأخلصوا له العبادة، وسلوه العفو عن ذنوبكم التي سلفت منكم، بالتوبة من شرككم، يتب عليكم ويغفر لكم: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصّلت:6-7].

والوَيْلٌ: كلمة تهديد لهم[1]، وقيل: اسم وادٍ في جهنم: وهي بمعنى الدمارٌ والهلاك للمشركين الذين لا يفعلون الخير، ولا يتصدقون، ولا ينفقون في طاعة الله، قال القرطبي: "قرَّعهم بالشح الذي يأنف منه الفضلاء"، وفي الآية دلالة على أن الكافر يُعذَّب بمنع الزكاة مع عذابه على كفره[2].

ونرى أن مانعي الزكاة مقرونٌ بالكفر، لأن أحبَّ شيء إلى الإنسان هو المال، وهو شقيق الروح، ولذلك شدّد الله تعالى في هذا الموضوع، وأمَرَ بالبذل والعطاء. والزكاة كانت معروفة قبل الهجرة، وهذه الآية مكية، ولم تكن محدَّدة، وانما فُرضت وحُددت في المدينة في السنة الثانية من الهجرة[3].

1) تعريف الزكاة لغةً واصطلاحًا

للزكاة في اللغة عدة معانٍ، منها:

1. الزيادة والنماء والبركة[4]: كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:276].
2. اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء[5]، وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات. فإنها مأخوذة من الزكاة، وهو النماء والطهارة والبركة، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:103].

(1) صفوة التفاسير:ج3،ص 108.
(2) انظر: صفوة التفاسير:ج3،ص 108.
(3) تيسير التفسير:ج3،ص 194.
(4) انظر: فقه العبادات: (ص: 171).
(5) فقه السنة :ج1،ص327.

3. المدح والثناء والشكر: كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النَّجم:32]، أي: لا تمدحوها ولا تشكروها، ولا تمنُّوا بأعمالكم[1].

ومعنى الزكاة في الاصطلاح: تمليك مالٍ مخصوص لمستحقه بشروط مخصوصة، وفي وقت مخصوص، بنيَّة التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء مرضاته، وطلبًا لثوابه[2].

2) حكم الزكاة وأدلة مشروعيتها

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة، وهي فرض عين على كل مسلم، بالغ عاقل حرٍّ مالك للنصاب ملكًا تامًّا خاليًا من الدَّين، حيث قرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية، وكانت فريضة الزكاة بمكة في أول الإسلام مطلقة لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه، ولا مقدار ما ينفق منه، وإنما ترك ذلك لشعور المسلمين وكرمهم.

وفي السنة الثانية من الهجرة على المشهور فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال، وبينت بيانًا مفصلاً، وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة نبيه وإجماع الأمة[3].

أ. دليل مشروعيتها من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:110]. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الرُّوم:39].

ب. مشروعيتها من السنة النبوية

1. أخرج البخاري: (أن هرقل ملك الروم قال لأبي سفيان: ماذا يأمركم رسول الله ﷺ؟ قال أبو سفيان: قلت: يقول: "اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة")[4].

---

(1) الموسوعة الفقهية الكويتيةج14،ص 134.
(2) الفقه على المذاهب الأربعة: ج1، ص 536.
(3) المرجع السابق:ج1، ص 946.
(4) صحيح البخاري:ج3، ص 18، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد (رقم الحديث: 2681.)

2. وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**"[1].

3) فضل إخراج الزكاة في القرآن والسنة

أ. فضل إخراج الزكاة في القرآن الكريم

1. لا خوف عليهم ولا هم يحزنون: قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:277].

2. الأجر العظيم في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:162].

3. الدخول في معية الله ﷻ وتكفير للسيئات: قال تعالى: ﴿**وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي ....**﴾ [المائدة:12].

4. يدخلهم الله ﷻ في رحمته: قال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [النور:56].

ب. فضل إيتاء الزكاة في السنة المطهرة

1. من أسباب دخول الجنة: أخرج البخاري عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ما له، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: (أربٌ ما له)[2]، فقال رسول الله ﷺ: "**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**"[3].

---

(1) صحيح البخاري :ج1، ص11، كتاب الايمان، باب قول النبيﷺ: "بني الإسلام على خمس"(رقم الحديث:8).

(2) (أَرَبٌ مَا لَه) بفتح الراء وضم الباء وتنوينها، وفسر ابن قتيبة الرواية بكسر الراء وفتح الباء، فقال: هو من الأراب مأخوذ، والأراب: الأعضاء، واحدها: أرب، ومنه قيل: قطعته أربًا أربًا، أى عضوًا عضوًا، قال: ومعنى قوله: (أرب ما له) أى سقطت أعضاؤه وأصيبت.(شرح صحيح البخارى :ج3، ص 396، كتاب الزكاة)

(3) صحيح البخاري :ج8، ص 5، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم،(رقم الحديث: 5983).

2. الزكاة شفاء من الأمراض: لقوله ﷺ: "**داووا مرضاكم بالصدقة**"[1].

3. من أدَّى الزكاة كان من الصديقين والشهداء: فعن عمرو بن مرة الجهني ﷺ قال: جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال: إني شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وقمته وأديت الزكاة، فقال رسول الله: "**من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء**" [2].

4. من أفضل درجات الإسلام: عن زر بن حبيش أن ابن مسعود ﷺ كان عنده غلام يقرأ في المصحف وعنده أصحابه، فجاء رجل يقال له حضرمة، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أي درجات الإسلام أفضل؟ قال: الصلاة، قال: ثم أي؟ قال: الزكاة)[3].

5. الزكاة تطفئ غضب الله ﷻ: عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء**[4].

والحديث الشريف بين كلماته معاني عظيمة وجليلة منها:

- أن صدقة السر أفضل وأسلم من العلانية [5] ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: "**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه** " [6]

- أن صلة الرحم تزيد في العمر، وكذلك بركة في الرزق، والزيادة في العمر قد تكون حقيقة بأن يعلق الله ﷻ زيادة العمر على بره وعلى صلته لرحمه، وقد تكون زيادة العمر البركة في العمر؛ فإنه من البركة في العمر أن الإنسان قد تراه يعيش قليلاً ولكن يترك آثارًا طيبة عظيمة.

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته:ج1،ص 634،رقم الحديث: 3358 ،قال عنه الألباني حديث حسن.

(2) رواه ابن حبان بإسناد حسن. انظر: صحيح ابن حبان:ج8، ص 224.

(3) المعجم الكبير للطبراني:ج10، ص 25.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان:ج5، ص 116، صححه الألباني في صحيح الجامع:ج2، ص 702، (رقم الحديث 3760).

(5) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير:ج4، ص 258.

(6) صحيح البخاري:ج2، ص 111، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (رقم الحديث 1423).

ويقول أبو محمد الدينوري[1] صاحب (كتاب تأويل مختلف الحديث) :"يكتب الله تعالى أجل عبده عنده مائة سنة، ويجعل بنيته وتركيبه وهيئته، لتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه، زاد الله تعالى في ذلك التركيب وفي تلك البنية، ووصل ذلك النقص، فعاش عشرين أخرى حتى يبلغ المائة، وهي الأجل الذي لا مستأخر عنه ولا متقدم" [2].

- أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء وهذا ما دل عليه قول السيدة خديجة رضي الله عنها وهي تصف الرسول ﷺ "إنك لا يصيبك مكروه" لما جعله الله ﷻ فيك من مكارم الأخلاق، وجميل الصفات، ومحاسن الشمائل[3].

4) عقاب مانع الزكاة

لمانعي الزكاة عقاب في الآخرة وعقاب في الدنيا:

- فعقاب الآخرة هو العذاب الأليم، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة:34-35]. ولقوله ﷺ: (من آتاه الله مالاً، فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّل له شجاعًا أقرع، له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه يعني (شدقيه)، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك). ثم تلا: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [آل عمران:180][4].

- أما العقاب الدنيوي للفرد بسبب التقصير والإهمال؛ فهو أخذها منه، والتعزير والتغريم المالي، وأخذ الحاكم شطر المال قهرًا عنه، قال رسول الله ﷺ: "**من أعطاها: أي الزكاة مؤتجرًا؛ فله**

---

(1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي. عالم وفقيه وأديب وناقد ولغوي، موسوعيُّ المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة. ولد بالكوفة،(213 هـ، 828 م). قدم بغداد وأقام بها وتولى تدريس العربية بالنظامية وروى بها كتاب الزجاجي في النحو رواه عنه أبو منصور ابن الجواليقي وحدث باليسير وكان من أهل الصلاح والدين وتوفي سنة (276هـ- 889م). الوافي بالوفيات: ج17،ص328.

(2) تأويل مختلف الحديث (ص: 293)

(3) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب:ج4، ص 192.

(4) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته:ج3، ص 157.

أجرها، ومن منعها؛ فإنا آخذوها وشطر إبله عَزْمة من عزمات ربنا"[1]. فإن كان مانع الزكاة جاحدًا لوجوبها؛ فقد كفر كما تبين، ويقتل كما يقتل المرتد؛ لأن وجوب الزكاة معلوم من دين الله ﷻ ضرورة (بداهة)، فمن جحد وجوبها فقد كذَّب الله تعالى، وكذَّب رسوله ﷺ، فحكم بكفره[2]. وقال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها). قال عمر: (فو الله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق)[3].

قوله ﷻ: ﴿**وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [فصِّلت]، أي: كفروا بالبعث والنشور، وكذَّبوا بالحساب والجزاء. وإنما خصَّ منع الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة في هذه الآية، لأن المال شقيق الروح، فإذا بذله الإنسان في سبيل الله كان دليلاً على قوته وثباته في الدين[4].

قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ [فصِّلت:8]، بيان حال المؤمنين، وما لهم من الوعد الكريم، والمعنى: الذين صدَّقوا الله ورسوله، وجمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، لهم في الآخرة أجرٌ غير مقطوع عند ربهم، بل هو دائم مستمر بدوام الجنة[5]. قال السّدّى: (نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة، كتب لهم من الأجر مثل ما كانوا يعملون في الصحة)، ونحو هذه الآية قوله ﷻ: ﴿**مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا**﴾ [الكهف:3]، وقوله ﷻ: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود:108][6].

خامسًا: البلاغة

- في قوله ﷻ: ﴿**وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [فصِّلت:7] تقديم وتأخير، حيث جاء الأسلوب البلاغي بهذه الصورة لغرض الاهتمام ورعاية الفاصلة.

---

(1) انظر: صحيح وضعيف سنن النسائي:ج6،ص 88، قال عنه الألباني :حسن.
(2) الفقه الإسلامي وأدلته:ج3، ص158.
(3) صحيح البخاري:ج9، ص 15، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض، وما نسبوا إلى الردة، (رقم الحديث:6925).
(4) انظر: صفوة التفاسير: ج3ص 161.
(5) انظر: المرجع السابق: ج3ص 161.
(6) انظر: تفسير المراغي: ج24،ص 108.

- في قوله ﷻ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصّلت:8] تقديم وتأخير، حيث جاء الأسلوب البلاغي بهذه الصورة لغرض الاهتمام بهم، والجزاء النافع عن العمل الصالح، وهو ما يعطونه من نعيم الجنة.

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- وجوب الاستقامة على شرع الله. لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:30].

- وجوب الاستغفار من كل ذنب صغيرًا كان أو كبيرًا. لقوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر:55].

- لا يختلف النبي ﷺ وغيره من الأنبياء عن سائر الناس، إلا بإنزال الوحي عليهم، فهم بشر عاديون كسائر البشر، لكن ربهم اصطفاهم للنبوة والرسالة وتبليغ وحيه إلى الناس.

- وجوب الزكاة في الأموال، ووجوب تزكية النفوس بالإيمان وصالح الأعمال[1].

- إن الدعوة لا تسير سيرًا حقيقيًا ثابتًا إلا بإنفاق أهلها عليها، أكثر ممن ينفقون على حاجتهم الشخصية حتى الضرورية منها، لأن الله ﷻ قرن الكفر بترك الزكاة وعدم الإنفاق.

- إن الإنسان عندما يعلم أن مصير الذين يؤمنون بالله ﷻ إلى الجنة خالدين فيها، يؤمن بالله ﷻ، ويستقر الإيمان في نفسه، ومن ثم يحافظ عليه.

- أخبر الله ﷻ المشركين بأن مصيرهم جهنم، خالدين فيها، ولا يخفف عنهم العذاب، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة:162].

- إن الذين آمنوا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وأدوا الفرائض والطاعات، واجتنبوا المنكرات والمحظورات، لهم عند ربهم أجر وثواب لا ينقطع أبدًا. لقوله ﷻ: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:179]، وقوله ﷻ: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:7].

(1) انظر: أيسر التفاسير: ج4،ص 562.

إذن، فالإيمان بالله ﷻ والالتزام بأقوال سيدنا محمد ﷺ وأفعاله سبب للنجاة من عذاب الدنيا، والفوز بجنةٍ عرضها السموات والأرض، كما أخبرنا ربنا ﷻ: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ [الحديد:21].

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة فصلت

الآيات: (9-29)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: آيات الله تدل على قدرته وحكمته.

المطلب الثاني: الكفر والمعاصي سبب العذاب في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: شهادة الجلود على أصحابها.

المطلب الرابع: قُرناء السوء وتأثيرهم في الصد عن سماع القرآن الكريم.

المطلب الأول
آيات اللّه تدلُّ على قدرته وحكمته

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [فصلت:9-12].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن أمر الله ﷻ بتوحيده في الألوهية والربوبية، أردف بعد ذلك بما يدل على وجوده: وهو خلق الخلق والتقدير للسموات والأرض في مدة وجيزة، وفي ذلك أيضًا ما يدل على كمال قدرته وحكمته، فمن كانت هذه صفته، فكيف يجعل الأصنام والأوثان شركاء له في الألوهية والعبودية، وهي عاجزة عن الخلق والتقدير؟![1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿أَنْدَادًا﴾: الند: ما كان مثل الشيء يضاده في أموره. والنديد والند سواء، وجمع الند: أنداد. قال الأخفش: "الند: الضد، والشبه". وقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم:30]، أي: أضدادًا وأشباهًا. ويقال: "ند فلان ونديده ونديدته أي: مثله، وشبهه..."[2].
- ﴿رَوَاسِيَ﴾: الجمع: رواس، ومفردها راسية وراس، وهي الجبال الثوابت الرواسخ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [المرسلات:27]. جبالًا شوامخَ، وسمَّاها رواسي لثبوتها[3]. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾ [فصّلت:10].

(1) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 193.
(2) لسان العرب:ج3،ص 420، العين:ج8، ص10.
(3) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة :ج2، ص 892، الكليات: ص: 484، تفسير السمعاني:ج5، ص 38.

- ﴿قَدَّرَ﴾: القدر: القضاء الموفق والحكم، وهو ما يقدره الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور، يقال: قدره الله تقديرًا، وإذا وافق الشيء شيئًا، وقدر الله الرزق يقدره، ويقدره: يضيقه. ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت:62]، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة:60]، أي: قضينا به بينكم، وكتبناه عليكم[1].

- ﴿أَقْوَاتَهَا﴾: القوت: مفرد، والجمع: أقوات، والقوت: ما يأكله الإنسان ويعيش به، أو هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، وعن ابن فارس والأزهري القوت: ما يؤكل ليمسك الرمق: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصّلت:10]، والصلاة قوت النفوس: أي غذاؤها. وكاسب القوت: من يكون دخله هو المصدر الرئيس لإعالة من يعتمدون عليه في معيشتهم. والمقيت: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المقتدر، الحفيظ، خالق الأقوات، المتكفل بإيصالها إلى الخلق: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء:85]. أي: أرزاقها[2].

- ﴿وَزَيَّنَّا﴾: الزين: الزاء والياء والنون أصل صحيح، يدل على حسن الشيء وتحسينه، والزينة: نقيض الشين. زانه الحُسنُ يزينه زَينًا. والزينة: جامعٌ لكل ما يتزين به، وازدانت الأرض بعشبها، وزينت المرأة وجهها: جملته وحسنته، ومنه النجوم والكواكب زينة: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك:5]، ويوم الزينة: العيد، لأن الناس يتزينون فيه بالملابس الفاخرة: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ [طه:59][3].

- ﴿بِمَصَابِيحَ﴾: المصباح: مفرد، والجمع: مصابيح، وهو السراج بالمسرجة، والمصباح: هو قرطه الذي تراه في القنديل وغيره، والمصابيح من النجوم: أعلام الكواكب، فسمي الكوكب مصباحًا، لإضاءته وحفظًا، قال الزجاج: معناه: "وحفظناها من استماع الشياطين بالكواكب حفظًا". واللفظ المفرد: مصباح: كل مصباح في القرآن فهو كوكب، إلا الذي في النور، فإن المراد هناك السراج: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:35][4].

---

(1) التفسير الوسيط:ج9، ص 1258، تاج العروس من جواهر القاموس:ج13، ص370.

(2) معجم اللغة العربية:ج3، ص 1868، مجمع البحرين:ج2، ص 215.

(3) أساس البلاغة:ج1، ص430، تاج العروس من جواهر القاموس:ج18،ص 268،مقاييس اللغة:ج3، ص41، العين:ج7، ص387، معجم اللغة العربية المعاصرة:ج2، ص 1017.

(4) تفسير الكشاف:ج4، 191،العين:ج3، 126، كتاب الكليات (ص: 802) زاد المسير:ج4، ص47.

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصّلت:9]. الآيات الكريمة توجه الخطاب لسيدنا محمد ﷺ: قل يا محمد لقومك المشركين: كيف تكفرون بالله الذي خلق الأرض في مقدار يومين، وتجعلون له شركاء من الملائكة والجن، والأصنام والأوثان، هو رب العالمين، الخالق المبدع للإنس والجن، وهو مالكهم وخالقهم ومدبّرهم؟

والحكمة في خلق هذه المخلوقات في مدة ممتدة، مع قدرته على إيجادها في لحظة واحدة: هي إظهار القدرة في ترتيب ذلك، حسب شرف الإيجاد أولًا فأولًا، وقال قوم: ليعلّم عباده التأني في الأمور والمهل[1].

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾. وجعل فيها جبالًا ثوابت مرتفعة عليها، أسسها في الأرض وهي الطبقة الصوانية، وهذه الطبقة هي التي برزت منها الجبال، فالجبال أساسها بعيدة الغور، ضاربة في جميع الطبقات، واصلة إلى أول طبقة، وهي الطبقة الصوانية التي لولاها لم تكن الأرض أرضًا، ولم نستقر عليها، فأرضنا كرة من النار، غطيت بطبقة صوّانية، فوقها طبقات ألطف منها تكوّن فيها الحيوان والنبات على مدى الزمان.

- قوله تعالى: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾. أي: وجعلها مباركة كثيرة الخيرات بما خلق فيها من المنافع، فجعل جبالها مبدأ لجريان الأنهار، ومخزنًا للمعادن كالذهب والفضة والحديد والنحاس.

- قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾. أي: قدر لأهلها من الأقوات ما يناسب حال كل إقليم من مطاعم وملابس ونبات، ليكون بعض الناس محتاجًا إلى بعض، فتروج المتاجر بينهم، وتنتقل المحصولات من بلد إلى آخر ومن قطر إلى قطر، وفي هذا عمار للأرض وانتظام أمور العالم[2].

- قوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾. أي: إن الله خلق الأرض وجعل الرواسي فيها، وأكثر من خيراتها، وقدَّر أقواتها في أربعة أيام، يعني في تتمة أربعة أيام باليومين المتقدمين. قاله الزجاج وغيره. قال ابن الأنباري: ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يومًا، أي: في تتمة خمسة عشر يومًا،

(1) انظر: التفسير الوسيط:ج3، ص 2294.
(2) تفسير المراغي:ج24، ص111.

فيكون المعنى: أن حصول جميع ما تقدم من خلق الأرض وما بعدها في أربعة أيام[1]. قوله تعالى: ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾، أي: في أربعة أيام كاملة، وفق مراد طالب القوت ومن له حاجة إليه، وهو كل حيوان على وجه الأرض، كما قال ﷻ: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمن:29]، فالناس والحيوان جميعًا كلهم سائلون ربهم ما يحتاجون إليه من طعام وشراب ولباس ورداء سؤالًا طبيعيًا مغروسًا في جبلّتهم[2].

- قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:11]. ذكر الطبري في تفسيره عن السدي: "استوى إلى السماء وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ففتقها، فجعلها سبع سموات في يومين: الخميس، والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة، لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض"[3].

يقول صاحب كتاب "أيسر التفاسير": "ثم اقتضت حكمته تعالى أن يخلق السماء، فوجه إرادته إلى خلقها، وهي مادة غازية أشبه بالدخان أو بالسديم، وقال للسماء والأرض: استجيبا لأمري كيف شئتما: طوعًا أو كرهًا، قالتا: أتينا طائعين"[4]. والله أعلم.

يقول سيد قطب في قوله ﷻ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾: "إنها إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس، وإلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته. فليس هنالك إذن إلا هذا الإنسان الذي يخضع للناموس كرهًا في أغلب الأحيان...، فليتنا نخضع طوعًا. ليتنا نلبي تلبية الأرض والسماء. في رضى وفي فرح باللقاء مع روح الوجود الخاضعة المطيعة الملبية المستسلمة لله رب العالمين...، ويا للرضى. ويا للسعادة. ويا للراحة. ويا للطمأنينة التي تغمر قلوبنا يومئذ في رحلتنا القصيرة، على هذا الكوكب الطائع الملبي، السائر معنا في رحلته الكبرى إلى ربه في نهاية المطاف...، ويا للسلام الذي يفيض في أرواحنا ونحن نعيش في كون صديق. كله مستسلم لربه، ونحن معه مستسلمون، لا تشذ خطانا عن خطاه، ولا يعادينا ولا نعاديه[5].

---

(1) انظر: فتح القدير: ج4ص، 581.
(2) انظر: تفسير المراغي: ج24، ص 111.
(3) تفسير الطبري:21، ص 440، زاد المسير في علم التفسير: ج 4، ص 47.
(4) أيسر التفاسير، أسعد حومد: (ص: 4108)
(5) في ظلال القرآن ج5، ص3114-3115.

- قوله ﷻ: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت:12]. أي: خلقهن في يومين[1]، وذلك مثل ما قال ﷻ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ [فصّلت:9]، ثم جعل فيها النظام الذي تجري عليه الأمور فيها، قال قتادة: "أي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها (مداراتها) وما فيها من الملائكة والبحار والبرد والثلوج"[2].

رابعًا: البلاغة

- في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾: وفي الآية (أئِنكم): استفهام إنكاري، ولام "لتكفرون" لتأكيد الإنكار، وقدمت الهمزة لصدارتها[3].
- في قوله ﷻ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا﴾: استعارة تمثيلية، وفي ذلك دلالة على مثل تأثير قدرته في السموات والأرض بأمر السلطان أحد رعيته بتنفيذ شيء، وامتثال الأمر بسرعة[4].
- في قوله ﷻ: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: طباق بينهما[5].
- في قوله ﷻ: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: الغرض البلاغي في هذه الآية متنوع، وهو الالتفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم، ثم إلى ضمير الغيبة. وهذا ما يسمى في علم البلاغة: الرجوع من الغيبة إلى خطاب النفس، فإنه قال: ﴿وَزَيَّنَّا﴾، بعد قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾، وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾، ﴿وَأَوْحَى﴾[6].
- في قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: إيجاز بالقصر.

---

(1) انظر: تفسير الماتريدي: ج9، ص67.
(2) انظر: التفسير المنير للزحيلي:ج24،ص 197.
(3) انظر: المرجع السابق: ج24، ص 192.
(4) انظر: المرجع السابق نفسه: ج24، ص 192.
(5) انظر: المرجع نفسه: ج24، ص 192.
(6) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :ج2،ص 139.

خامسًا: القراءات

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت:10]

- قرأ أبو جعفر: ﴿سَوَاءٌ﴾، مرفوعًا على الابتداء.
- قرأ يعقوب: ﴿سَوَاءٍ﴾، مجرورًا على الوصف لأيام.
- قرأ الباقون: ﴿سَوَاءً﴾، بالنصب على الحال من أيام، أي: كاملة لا نقص فيها ولا زيادة[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

كل قراءة من القراءات الثلاث أفادت معنىً آخر مغايرًا لمعنى القراءة الأخرى:

- فقراءة: ﴿سَوَاءٍ﴾، مجرورًا على الوصف لأيام، أفادت أنها خبر لمبتدأ محذوفٍ "في أربعة أيام مستويات تامَّاتٍ للسائلين"[2].
- وأما قراءة: ﴿سَوَاءٌ﴾، مرفوعًا على الابتداء، أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي سواءٌ. وجاء في مفاتيح الأغاني: "من رفع فعلى معنى: هي سواءٌ للسائلين. قال السُّدِّي وقتادة: سواء لا زيادة ولا نقصان، جوابًا لمن سأل: في كم خلقت الأرض؟"[3].
- وأما قراءة: ﴿سَوَاءً﴾، بالنصب على الحال، فقد أفادت أنها حال من ضمير (أقواتها)، أو من أيام، أو بالنصب على المصدر، فيكون المعنى: استوت سواءً واستواءً[4].

ويمكن الجمع بين القراءات؛ حيث يظهر من المعنى: أن الله ﷻ قدَّر فيها أقواتها سواءً، أي: كاملةً من غير زيادة ولا نقصان، لأجل الطالبين المحتاجين، الذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، ولمن سأل عن الأمر واستفهم عن حقيقة وقوعه، وأراد العبرة منه، فإنه يجده كما قال تعالى، كل ذلك في أربعة أيام كاملةٍ تامةٍ مستويةٍ بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ.

---

(1) التحرير والتنوير: ج 24، ص 245،النشر في القراءات العشر:ج2، ص366.
(2) نظم الدرر:ج6، ص566، انظر زاد المسير:(ص: 1253)، معالم التنزيل:ج4، ص96.
(3) مفاتيح الأغاني: (ص: 361).
(4) المرجع السابق: (ص: 361).

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- بينت الآيات أن الكفر بالله لا ذنب فوقه، فما بعد الكفر ذنب، وهو عجيب وأعجب منه اتخاذ أصنام وأحجار وأوثان تعبد مع الله الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام، فقد قال ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:36]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:33].
- بيان الأيام التي خلق الله فيها العوالم العلوية والسفلية، وهي ستة أيام، أي على قدر ستة أيام من أيام الدنيا هذه، مبدوءة بالأحد، ومنتهية بالجمعة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾ [يونس:3] وقال القرطبي: ومعنى (في ستة أيام) "أي ستة أيام من أيام الآخرة، كل يوم ألف سنة" ([1]).
- إن الخلق والتكوين والإبداع هو دليل قاطع على وجود الله وكمال قدرته وحكمته وعلمه الشامل. فقد قال ربنا ﷻ في أكثر من مقام في القرآن الكريم من الآيات الجليلة في هذا المعنى، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14]، وقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:64]، وهذه الآيات كلها تدل على الإعجاز في بيان عظمة الله، كما تدل على قدرته ووحدانيته، فتبارك الله أحسن الخالقين.
- قدرة الله صالحة لخلق السموات والأرض وبكل ما فيهما بكلمة التكوين "كن"، ولكن لحكم عالية أرادها الله تعالى منها: تعليم عباده الأناة والتدرج في إيجاد الأشياء شيئًا فشيئًا. قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117]، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ...﴾ [الأنعام:73]، ومن المعلوم أن خلق الكون وتكوينه بهذا النظام الدقيق فيه دلالة على أن هذا الأمر على الله ليس غريبًا أو عسيرًا، بل يكون بهذه الكلمة كما يظهر بهذه الآيات التي استشهدتُ بها.
- لا تعارض بين قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصّلت:11] المشعر بأن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، وبين قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النَّازعات:30] المفهم أن دَحْوَ الأرض كان بعد خلق السماء، إذ فسر تعالى دحو الأرض بإخراج

(1) انظر: تفسير القرطبي،ج7، ص 219.

مائها ومرعاها، وهو ما ترعاه الحيوانات التي سيخلقها عليها، ثم قوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصّلت:9]، على صورة يعلمها هو ولا نعلمها نحن.

- الله ﷻ خلق السموات بنظام كامل، فخلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وأوجد في كل سماء ملائكة، وأودع فيها خزائن المطر، وجعل لها نظامًا بديعًا تسير عليه دون توقف ولا تعثر ولا تصادم مع غيرها، وجعل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا، وحفظها من كل اضطراب ومن الشياطين الذين يسترقون السمع.
- بيان الفوائد العظيمة للنجوم: الأولى: أنها زينة السماء، بها تضاء وتشرق، وتذهب الوحشة منها، والثانية: أن ترمي الشياطين بالشهب من النجوم ذات التأجج الناري، والثالثة: الاهتداء بها في معرفة البلاد والقبلة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:97]"[1].
- في الآية دلالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النَّازعات:27-30]، وهذا يدل على خلق السماء أولًا[2].
- في الآيات دلالة على أن الإيمان وعدم الكفر بالله سببه التفكر في قدرة الله ﷻ ومخلوقاته، حيث إن التفكر في قدرة الله من أعلى مراتب التفكر وأكملها، وهي عبادة يتقرب بها العبد إلى الله ﷻ ويثاب عليها، وهجر كثير من الناس مثل هذه العبادة سبّب خللًا في الوعي الإسلامي، إذ أصبحت الناس تهتم بأمور هي دون عبادة التفكر بالله ﷻ.

(1) أيسر التفاسير:ج4، ص 565.
(2) التفسير المنير:ج24، ص199.

المطلب الثاني

الكفر والمعاصي سبب العذاب في الدنيا والآخرة

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت:13-18].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد بيان إعراض عبدة الأوثان عن الإيمان بالله، بالرغم من الأدلة الدالة على وجوده وتوحيده وقدرته من خلق السموات والأرض، أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن ينذرهم بعذاب شديد مماثل للعذاب الذي نزل بعاد وثمود من قبلهم، مع بيان سبب العذاب النازل بكل قبيلة على حدة[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿صَاعِقَةً﴾: صعق الإنسان صعقًا، فهو صعق: بمعنى غشي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة، أو مات، مثل قوله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة:55]، فأما قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ موسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف:143]، فإنما هو غشي لا موت، وقوله ﷻ: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر:68]، فقال ثعلب: الصعق: يكون الموت، ويكون ذهاب العقل. والصعق: الشديد الصوت، والصاعقة: العذاب. وقيل هي قطعة من نار، تسقط بإثر الرعد، لا تأتى على شيء إلا أحرقته. وصعق الرجل فهو صعق،

(1) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 202.

وصعق: أصابته صاعقة. وصعقتهم السماء وأصعقتهم: ألقت عليهم صاعقة [1]، وقال الزمخشري:" الصاعقة: وهي نار لا تمر بشيء إلا أحرقته مع وقع شديد. ومنه صوت الرعد فهو صاعق"[2].

- ﴿يَجْحَدُونَ﴾: جحد يجحد جحدًا وجحودًا، فهو جاحد، والمفعول: مجحود، جحد الحق أي: أنكره مع علمه به، وجحد دينه: أنكره علنًا، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل:71]، وقوله: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [هود:59]، وجحده حقه: أنكره ولم يعترف به، وهو "الجاحد للمعروف". والجحود: ضد الإقرار، كالإنكار والمعرفة. والجحد: من الضيق والشح. ورجل جحد: قليل الخير، ومنه إذا أنكر الرجل ما عليه من حق[3].

- ﴿صَرْصَرًا﴾: الصر: الجندب صريرًا، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير إذا امتد، ومنه: صرصر الأخطب صرصرة. وريح صرصر: ذات صرّ، ويقال: ذات صوت، والصرصر: نعت لها من البرد[4]، ومنه قوله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران:117]، والصِر والصِرة: البرد الشديد[5]، وقال الفارابي: "أصلها: صَرَّرٌ من الصَرّ"[6].

- ﴿الْهُونِ﴾: مصدر الهين، من السكينة والوقار، تقول: رجل هين: لين. والهون: هوان الشيء الحقير، قال ابن بري: "الهون: هوان الشيء الحقير الهين الذي لا كرامة له"، وتقول: "أهنت فلانًا وتهاونت به"[7].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصّلت:13].

أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عن الإيمان بالله وبرسالتي، ولم تتدبروا وتتفكـروا فـي هـذه المخلوقـات الكونيـة العظيمة، فإني أخوفكم

(1) المحكم والمحيط الأعظم:ج1، ص 148.
(2) أساس البلاغة: ج1، ص 548، مختار الصحاح: (ص: 176).
(3) جمهرة اللغة:ج1، ص435، العين:ج3، ص72، المحكم والمحيط: ج3 ، ص63، المصباح المنير:ج1، ص91. ومعجم اللغة العربية المعاصرة :ج1، ص346.
(4) العين:ج7، ص81.
(5) تهذيب اللغة:ج12، ص75، تاج العروس:ج12، ص 302، المعجم الوسيط:ج1، ص512.
(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج2، ص712.
(7) لسان العرب:ج13، ص 439. العين:ج4، ص92.

بعذاب شديد قاتل في الحال، مشابه لعذاب الأمم الماضية المكذبين بالرسل، كعاد وثمود[1].

- قوله ﷻ: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصّلت:14]. وقوله: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ وهم هود وصالح من بين أيديهم ومن خلفهم، حيث إن الرسول بلغهم دعوة الله لهم إلى الإيمان والتوحيد بعناية فائقة، فكان يأتيهم من أمامهم ومن خلفهم يدعوهم، قائلاً لهم: لا تعبدوا إلا الله، فإنه الإله الحق، وما عداه فباطل؛ فكان جوابهم لهم: لا نؤمن لكم، ولا نقبل منكم، ولو شاء الله ما تقولون لنا لأنزل به ملائكة يدعوننا إليه، لا أن يرسل مثلكم من البشر. وأخيرًا قالوا لهم: فإننا بما أرسلتم به كافرون، فأيَّأسوا الرسل من إجابتهم[2].
- قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصّلت:15]. في الآية يبيّن ﷻ حال قوم عاد، استكبروا في الأرض بغير الحق، فحملهم الكبر الناجم عن القوة المادية على رفض دعوة نبيهم، وقالوا فيه وفي دعوته الكثير، وكان قواهم هذا: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، أي: إن استكبارهم لا حق لهم فيه أولاً لضعفهم أمام قوة الله ﷻ، وثانيًا: لم يأذن الله تعالى لهم بالاستكبار، فهو بغير حق إذًا.
- وقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ تحدٍّ منهم صريح وعلو وعتوٌّ واضحان، ولذا تحداهم الله تعالى بالقوة فقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، أي: أُعموا ولم يروا أن الله الذي خلقهم قطعًا هو أشد منهم قوة. إذ كل قوة لهم مصدرها الله، فهو خالقهم وواهب القوة لهم، فقوتهم ليست ذاتية ولكنها موهوبة، إذ يُخلق أحدهم وهو لا يقدر على دفع أدنى شيء عن نفسه[3].
- وقوله: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، هذا تسجيل عليهم أكبر ذنب، وهو جحودهم بآيات الله التي جاء بها رسول الله هود عليه السلام، كما جحدت قريش آيات الله[4].

(1) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 203.
(2) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص 567.
(3) انظر: المرجع السابق:ج4، ص 567.
(4) انظر: المرجع السابق نفسه:ج4، ص 567.

- قوله ﷻ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصّلت:16]. معنى هذه الآيات أن الله أرسل على قوم عاد ريحًا باردة شديدة البرد، وشديدة الصوت والهبوب، تُهلك بشدة صوتها وبردها في أيامٍ مشئومات غير مباركات، وذلك: ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، لكي نذيقهم العذاب المخزي المذل في الدنيا، قال الرازي: ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ "عذاب الهوان والذل، والسبب أنهم استكبروا عن الإيمان، فقابل الله ذلك الاستكبار بإيصال الذلّ والهوان إليهم". ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾، معنى ذلك أن عذابهم في الآخرة أعظم وأشد إهانةً وخزيًا من عذاب الدنيا، وليس لهم ناصر يدفع عنهم ذلك العذاب.
- قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصّلت:17-18]. يبيِّن الله ﷻ في هذه الآيات سُبل الهداية لقوم ثمود، وييسر لهم سبيل السعادة، لكن اختاروا الضلالة على الهداية، والكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾، ومعنى ذلك أن الله ﷻ أوقع عليهم العذاب الذي يستحقونه الموقع فيهم الإهانة والذل. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وذلك بسبب إجرامهم وطغيانهم وتكذيبهم لنبيهم، قال ابن كثير: "بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلًّا وهوانًا، وعذابًا ونكالًا، بتكذيبهم صالح وعقرهم الناقة"، ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، أي: ونجينا صالحًا ومن آمن به من ذلك العذاب[1].

رابعًا: البلاغة

- في قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾، التفات من الخطاب إلى الغيبة إظهارًا لعدم المبالاة بهم والاستخفاف بشأنهم، ففي دعوتهم للإيمان خوطبوا اجتذابًا لهم، وفي حال إعراضهم عن الإيمان بعد البيان، أهملوا.
- في قوله ﷻ: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: طباق[2].

(1) انظر: صفوة التفاسير:ج3، ص 109.
(2) انظر: التفسير المنير للزحيلي:ج24، ص201.

خامسًا: القراءات

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصّلت:16].

- قرأ ابن جعفر وابن عامر والكوفيون: بكسر الحاء: ﴿نَحِسَاتٍ﴾.
- وقرأ الباقون: بإسكانها: ﴿نَحْسَاتٍ﴾[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

العلاقة بين القراءتين: (نَحِسَات بكسر الحاء، ونَحْسَاتٍ بتسكين الحاء) علاقة لغوية فقط، والمعنى واحد على رأي أكثر المفسرين، قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان، يقال: هذا يوم نحِسٍ، ويوم نحْسٍ، بكسر الحاء وسكونها. فمن كان في لغته: "يومُ نَحْسٍ"، قال: "في أيامٍ نَحْسَات"، ومن كان في لغته: (يوم نَحِسٍ)، قال: (في أيام نَحِسَاتٍ)[2]. وقال ابن زنجلة: "قال الكسائي والفراء: هما لغتان بمعنى واحد، يقال: يوم نحْس ونحِس، وأيام نحْسات ونحِسات، أي: مشائيم"[3]، قال أبو منصور: من قرأ (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء فالواحد: نَحْس، يقال: يوم نَحْسٌ، وأيامٌ نَحْسَات جمع الجمع. ومن قرأ: نحِسَات، فالواحد: نَحِس وأيام نَحِسَةٌ، ثم نَحِسَات جمع الجمع، ومعنى النَحِسَات، والنَحْسَات: المشئومات[4].

وأما حجة من قرأ: (نَحْسَات) بإسكان الحاء، قوله ﷻ: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ {القمر:19}، أي: يوم شئومٍ وبلاءٍ وهُلك، وحجة من قرأ: (نَحِسَات) بكسر الحاء، أنَّ النَحِسَات صفة لليوم، قال الطبري: "وقد قال بعضهم: النحس بسكون الحاء: هو الشؤم نفسه، وإن إضافة اليوم إلى النحس، إنما هو إضافة إلى الشؤم، وإن النحس بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشئوم، ولذلك قيل: (في أيام نحسات)، لأنها أيام مشائيم"[5].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير:ج24،ص 259، النشر في القراءات العشر:ج2، ص 366.
(2) انظر: تفسير الطبري:ج21،ص 448.
(3) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: (ص: 635).
(4) انظر: معاني القراءات:ج2، ص 351.
(5) انظر: جامع البيان ج21، ص 448.

وعلى هذا تكون قراءة: (نَحْساتٍ) بإسكان الحاء فيها مبالغة وصف للشؤم، أكثر مما تحمله قراءة: (نَحِساتٍ) مصدر، والتعبير بالمصدر أقوى دلالة وأبلغ من التعبير بالوصف، لما فيه من معنى الملاصقة بينه وبين المضاف وهو (الأيام)، مما يدل على ثبوت الحالة التي عليها، ويؤيد ذلك ما ذكره الألوسي حيث قال: "أَيَّامٍ نَحِساتٍ جمع نحسة بكسر الحاء: صفةُ مشبهة من نحس نحسًا كعلم علمًا نقيض سعد سعدًا، وقرأ الحرميان وأبو عمرو والنخعي وعيسى والأعرج: (نَحساتٍ) بسكون الحاء، فاحتمل أن يكون مصدرًا وصف به مبالغة"[1].

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- التحذير من الإعراض عن إجابة دعوة الحق، والاستمرار في التمرد والعصيان، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد:14]، فهذه الآيات تدل دلالة كبيرة أن دعوة الحق لله وحده فهو المعبود بحق لا إله غيره ولا رب سواه[2].
- إن الإصرار على الكفر سبب لعذاب الدنيا والآخرة، لقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:4]، وفي حديث الذي رواه أنس بن مالك عن خير البشرية فيه يبيّن حال الكفار في الآخرة بعد لقائهم الحساب والعذاب، يقول النبي ﷺ: "**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ[3] في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا ربِّ...**"[4].
- تقرير التوحيد، وهو أن الله لا إله إلا هو. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163]، حيث يخبر ربنا ﷻ بتفرده بالألوهية، وأنه لا شريك له، بل هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا إله إلا هو، وأنه الرحمن الرحيم. ولقد اهتم القرآن الكريم منذ بدء نزول الوحي على صدر النبي ﷺ بأمر التوحيد أعظم اهتمام، واهتمت به السنة النبوية، وذلك لمكانته العظيمة في دين الله ﷻ، فهو الذي أمر ﷻ به، وأقام على دينه، ومن أجله أنزل

(1) انظر: روح المعاني:ج12، ص 365.
(2) انظر: أيسر التفاسير ج2،ص 244.
(3) (فيصبغ في النار صبغة) أي يغمس غمسة.
(4) صحيح مسلم:ج4،ص 2162،، كتاب صفة القيامة والجنة والنار،(باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسًا في الجنة) (رقم الحديث: 2807).

الله ﷻ الكتب وبعث الرسل. فعقيدة التوحيد هي قلب الإسلام، وهي روح الوجود الإسلامي، وعلى أساسها يترتب خيرا الدنيا والآخرة، وجعل الجنة لأهله وأنصاره، والنار لأعدائه وجاحديه.

وأمام آيات التوحيد في القرآن الكريم يجب علينا أن نحقق التوحيد الخالص، وأن نحذر الشرك والوقوع فيه، والبعد عن كل مداخله وأبوابه، فإن أعظم الظلم الشرك بالله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، فلا معبود بحق سوى الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾ [الحج:62].

والتوحيد المتبع في الإسلام يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة:

- توحيد الربوبية: هو أن يقر المسلم بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر لهذا الكون سوى الله ﷻ.
- توحيد الألوهية: هو صرف أنواع العبادة كلها لله ﷻ، فلا يجوز تأليه غيره، ولا يجوز صرف شيء من لزوم ذلك لسواه.
- توحيد الأسماء والصفات: فالله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال، منزه عن جميع صفات النقص، فلا شبيه له في صفاته وأفعاله[1].
- دعوة الرسل واحدة وهي الأمر بالكفر بالطاغوت، والإيمان بالله وعبادته وحده بما شرع للناس من عبادات: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:165].
- الإيمان والتقوى هما سبيل النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، وهما ركنا ولاية الله تعالى، لقوله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:62]، تدل الآية على إثبات القدرة والقوة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:58].

فالإيمان هو التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته تعالى، الذي لم يسبق بضد ولم يعقب به، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، حيٌّ قيوم، أحد صمد[2]، قال ﷻ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ

(1) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة :ج1، ص 27.
(2) انظر: الإيمان لابن أبي شيبة(ص: 235).

﴿لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:3-4]، وتوحيده بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر:24].

والتقوى: "عمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله، والتقوى: ترك معصية الله مخافة الله على نور من الله"[1]، ولقد عرفها عبد الرحمن التميمي في كتابه: التقوى "أن يتقي سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي وإخلاص العبادة لله، واتباع أمره على ما شرعه"، وقد فسرها ابن مسعود ﷺ: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله"[2]. وقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن زيد عن النبي ﷺ قال: "**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يَدَع ما لا بأس به حَذَرًا مما به بأس**"[3].

- جرت سنة الله عدلًا وفضلًا ورحمةً على إنجاء المؤمنين، فقد نجى الله تعالى صالحًا عليه السلام ومن آمن به، وميزهم عن الكفار، فلم يحل بهم ما حل بالكفار[4]: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصّلت:18]. أي: ونجينا صالحًا ومن آمن به من ذلك العذاب[5].

(1) انظر: الإيمان لابن أبي شيبة(ص 235).
(2) انظر: المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجية)، (ج4، ق1، ص:300).
(3) انظر: سنن الترمذي:ج4،ص 215،(رقم الحديث:2451) قال عنه (حديث حسن غريب).
(4) انظر: التفسير المنير:ج24،ص 207.
(5) انظر: صفوة التفاسير:ج3،ص 109.

المطلب الثالث

شهادة الجلود على أصحابها

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصّلت:19-24].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ذكر تعالى قصة عاد وثمود، وما أصابهم من العقوبة في الدنيا بطغيانهم وإجرامهم، ذكر هنا ما يصيب الكفار عامة في الآخرة من العذاب والدمار، ليحصل منه تمام الاعتبار، في الزجر والتحذير عن ارتكاب المعاصي والكفر بنعم الله[1].

ثانيًا: أسباب النزول

قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصّلت:22]. أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "اجتمع عند البيت قُرَشِيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، كثيرة شحمُ بطونهم، قليلة فِقهُ قلوبهم"، فقال أحدهم: "أترون أن الله يسمع ما نقول"؟ "قال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا". "وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﷻ الآية[2].

(1) انظر: صفوة التفاسير:ج3، ص 111.

(2) المحرر في أسباب نزول القرآن:ج2، ص 853، تفسير المنير:ج24، ص210، صحيح البخاري:ج6، ص 161، كتاب تفسير القرآن باب: قوله ﷻ: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ} [فصّلت:23]، (رقم الحديث: 4817).

ثالثًا: معاني المفردات

- ﴿شَهِدَ﴾: الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، ومنه الخبَرُ القاطع. تقول منه: شَهِد الرجل على كذا، وربما قالوا: شَهْدَ الرَجُلُ، بسكون الهاء للتخفيف، عن الأخفش. وقولهم: اشهد بكذا، أي: احلف، و"شهدت عليهم" أي: شهدت عليهم جوارحهم وأجسادهم[1].
- ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾ من الستر، "ستر الشيء يستره أو غطَّاه وبالغ في تغطيته وإخفائه، واستتر في الظلام: أي استتر عن الأنظار[2]، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ. . .﴾ [فصّلت:22]، تستخفون من أنفسكم عند ارتكابكم الفواحش والذنوب[3].
- ﴿أَرْدَاكُمْ﴾: الردى: الهلاك، ردي رديّ، فهو ردّ. وأرداه الله، وفي التنزيل: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ [الصّفات:56]، وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه:16]، والإرداء: الإهلاك، يقال: ردي كرضي، إذا هلك، أي مات، والإرداء: مستعار للإيقاع في سوء الحالة، بحيث أصارهم مثل الأموات[4].
- ﴿مَثْوًى﴾: المثوى: المنزل، من ثوى بالمكان يثوي إذا أقام فيه، وعن عمر ﷺ: «أصلحوا مثاويكم»، أي: منازلكم، وهي جمع المثوى: أي المنزل. وهو الموضع الذي يقام ويستقر به[5].

رابعًا: المعنى الإجمالي

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصّلت:19-21].

---

(1) مقاييس اللغة:ج3، ص221، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج2، ص494. التحرير والتنوير:ج24، ص266.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة :ج2، ص1033، المحكم والمحيط الأعظم :ج8، ص465.

(3) انظر: أيسر التفاسير للجزائري :ج4، ص570، أوضح التفاسير:ج1، ص 585.

(4) انظر: والتنوير:ج24، ص 272، المحكم والمحيط الأعظم:ج9، ص 394.

(5) انظر: لسان العرب:ج14، ص125. النهاية في غريب الحديث والأثر:ج1، ص230.

أي: واذكر أيها الرسول لقومك قريش حال الكفار يوم القيامة عندما يساقون إلى النار بعنف، وبعد أن تجمعهم الزبانية أولهم على آخرهم، كما قال ﷻ: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:86][1]، حتى إذا وردوا النار واقتربوا منها، أنكروا ما عملوا من المعاصي، فيشهد عليهم كل عضو من أعضائهم، وفي هذه الآيات خص الله ﷻ ذكر السمع والبصر والجلد، لأن أكثر الذنوب تقع بها أو بسببها[2].

وفي الآية سؤال توبيخي أو تعجب، وقالوا: ما نطقنا باختيارنا؛ إنما أنطقنا الذي أنطق كل شيء، وإن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله ﷻ الذي قدر على إنطاق كل حيوان، وهو قادر على إنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجوعكم إلى جزائه[3].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصّلت:22-23].

أي: ما كنتم تستخفون فتتركوا محارم الله ﷻ، بل كنتم تجاهرون بذلك، لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء[4]، فالقادر على إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياءً قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم[5]، والمعنى في ذلك "إثبات أنهم يستترون عند الإقدام على الأعمال القبيحة، إلا أن استتارهم ما كان لأجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، ولكن ذلك الاستتار لأجل أنهم كانوا يظنون أن الله ﷻ لا يعلم الأعمال التي كانوا يقدمون عليها على سبيل الخفية والاستتار[6]"، "وإن ظنكم بأن الله ﷻ لا يعلم كثيرًا مما تعملون، اجترأتم على المعاصي والتمادي فيها، فأهلككم وطرحكم في النار، فجعلتم سبب السعادة سببًا للشقاوة؛ فصرتم من الخاسرين"[7].

(1) التفسير المنير :ج24، ص211. (بتصرف يسير)
(2) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص717.(باختصار)
(3) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص1073.
(4) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص470.
(5) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل:ج6، ص109.
(6) مفاتيح الغيب :ج27، ص115.
(7) التفسير المنير:ج24، ص 209.

موقف الإسلام من الظنّ

الظّنّ في اللّغة: مصدر من قولهم: ظنّ يظنّ ظنًّا، وهو مأخوذ من مادّة (ظ ن ن) الّتي تدلّ على معنيين: أحدهما اليقين، والآخر الشّكّ. فأمّا اليقين فقول القائل: ظننت ظنًّا، أي: أيقنت، قال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ**﴾ [البقرة:249]. أما الشّكّ: يقال: ظننت الشّيء، إذا لم تتيقّنه، والظّنون: الّذي لا يدرى أيقضى أم لا. وقال الرّاغب: الظّنّ: اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا لم تتجاوز حدّ التّوهّم[1]. والظّنين: الرّجل المتّهم. والظّنّة: التّهمة، والجمع: الظّنن، ومظنّة الشّيء: موضعه ومألفه الّذي يظنّ كونه فيه. والجمع: المظانّ[2]، والظّنون: الرّجل السّيّء الظّنّ[3].

أما الظنُّ اصطلاحًا

قال الكفويّ: الظّنّ: "أخذ طرفي الشّكّ بصفة الرّجحان، وقال أيضًا: والرّاجح إن قاربه إمكان المرجوح يسمّى ظنًّا، أو هو التّردّد الرّاجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم"[4]. وقال ابن العربيّ: "الظّنّ تجويز أمرين في النّفس، لأحدهما ترجيح على الآخر"[5]، وعلى هذا فحسن الظّنّ ترجيح جانب الخير على جانب الشّرّ.

ومن معاني كلمة "الظّنّ" في القرآن الكريم

ورد الظّنُّ في القرآن مجملًا على أوجه: جاء (بمعنى اليقين، وبمعنى الشّكّ، وبمعنى التّهمة، وبمعنى الحسبان). وللظّنُّ الذي بمعنى اليقين والظّنُّ بمعنى الشّكّ ضابطان في القرآن:

أحدهما: أنّه حيث وجد الظّنّ محمودًا مثابًا عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذمومًا متوعّدًا عليه بالعذاب فهو الشّكّ.

والثّاني: أنّ كلّ ظنّ يتّصل به أن المخفّفة فهو شكّ، نحو قوله تعالى: ﴿**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ**﴾ [الفتح:12]. وكلّ ظنّ يتّصل به أنّ المشدّدة فهو يقين، كقوله تعالى: ﴿**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾ [الحاقّة:20]، والمعنى في ذلك أنّ: "أنّ" المشدّدة للتّأكيد، فدخلت في اليقين، والمخفّفة بخلافها، فدخلت في الشّكّ[6].

---

(1) مقاييس اللغة: ج3، ص461.
(2) انظر: الصحاح للجوهري:ج6، ص2260.
(3) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم:ج5ص، 1597، الكليات (ص: 588)
(4) الكليات (ص: 588).
(5) أحكام القرآن لابن العربي:ج4، ص 1712.
(6) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم:ج5ص 1598.

وقال العلماء: الظن قسمان:

أ- الظن الحسن: وهو أن يظن بالله ﷻ الرحمة والفضل والإحسان، قال الله تعالى في الحديث القدسي فيما أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: **(يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)**[1].

ب-الظن القبيح: وهو أن يظن أن الله لا يعلم بعض الأفعال. قال الحسن البصري: إن قومًا ألهتهم الأماني، حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وقد كذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل[2]. وتلا قول الله ﷻ: ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [فصّلت:23].

آفات سوء الظن

التجسس: فإن القلب لا يقنع بالظن، ويطلب التحقيق، فيشتغل بالتجسس، وهو أيضًا منهي عنه، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾ [الحجرات:12]، فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة. ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر، حتى ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه. وقد مضى في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته[3].

قَالَ ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ: "ولا ريب أن حُسْن الظَّنِ بِاللهِ إنما يكون مَعَ الإحسان، فَإِنَّ المحسن حَسَنُ الظَّنِ بربه أنه يجازيه على إحسانه، ولا يخلف وعده، ويقبل توبته، وأما المسيء المصرُّ على الكبائر والظلم والمخالفات، فَإِنَّ المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حُسْن الظَّنِ بربه"[4]. وقال الحسن البصري: "إن المؤمن أحسن الظن بربه؛ فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه؛ فأساء العمل"[5]. ﴿**فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**﴾ [فصّلت:24].

---

(1) صحيح مسلم: ج4، ص 2061، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، (رقم الحديث:2675) .
(2) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: 200).
(3) موارد الظمآن لدروس الزمان:ج2، ص 461.
(4) المرجع السابق: ج2، ص 461.
(5) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم:ج5 ص 1596.

خامسًا: القراءات

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصّلت:19].

- قرأ نافع ويعقوب: ﴿نَحْشُرُ﴾، بالنون وفتحها وضم الشين، (وأعداءَ) بالنصب.
- وقرأ الباقون: ﴿يُحْشَرُ﴾، بالياء وضمها وفتح الشين، ورفع (أعداءُ)[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة: ﴿نَحْشُرُ أَعْدَاءَ﴾ بالنون وضم الشين وكسرها، إسناد فعل الحشر من الله تعالى إلى نفسه، ويخبر عن نفسه، والمعنى: "يحشر الله ﷻ أَعْداءَ اللهِ الكفارَ من الأوّلين والآخرين"[2]. قال مكي بن أبي طالب: "قرأ نافع بالنون ونصب (الأعداء)،على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، رده على قوله: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فعطف مخبرًا عن نفسه على مخبرٍ عن نفسه، وهو هو، فذلك أحسن في مطابقة الكلام وبناء آخره على أوله، ونصب (أعداء) بوقوع الفعل عليهم"[3].

وأما القراءة الثانية بياء الغيبة، فإن الفعل مبنى للمجهول، ولم يسم فاعله على سبيل الإخبار عنهم، على أن الملائكة هم حاشرون لهم بأمر من الله تعالى، قال الرازي: وأيضًا الحاشرون لهم هم المأمورون بقوله: ﴿احْشُرُوا﴾ [الصّفات:22]، وهم الملائكة، وأيضًا إن هذه القراءة موافقة لقوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾"[4]، كما أن هذه القراءة تدل على سهولة الحدث ويسره، قال البقاعي: "﴿يُحْشَرُ﴾ أي يجمع بكثرة بأمرٍ قاهرٍ لا كلفة علينا فيه، هذه على قراءة الجماعة بالبناء للمفعول"[5].

وللجمع بين هذه القراءات؛ فقراءة: ﴿يُحْشَرُ﴾ على أنَّ الله تعالى يأمر الملائكة يوم القيامة بحشر أولئك الكفرة الظالمين، لينالوا عقابهم الأليم، بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم، ويتم هذا الأمر بسهولة ويسر دون جهد أو مشقة، ولم يذكر الله الفاعل هنا، إما من أجل العلم به، لأنَّ الأمر يتم بأمر الله تعالى مقابل تحقير أعداء الله تعالى.

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر:ج2، ص 366.
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:ج4، ص 195.
(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع:ج2، ص248.
(4) مفاتيح الغيب:ج27، ص 555.
(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:ج17، ص 168.

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- تقرر الآيات الكريمة عقيدة البعث والجزاء بعرض حال أهل النار فيها.
- بينت الآيات بجمع الكافرين جمعًا واحدًا يوم القيامة، فيحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ثم يساقون ويدفعون جميعًا إلى جهنم[1]. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزُّمر:71].
- التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب، فإن جوارح المرء تشهد عليه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:24]، وفي ذلك دلالة على قدرة ربنا ﷻ، حيث يخلق الفهم والقدرة والنطق في الجلود، فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه، أو يظهر الله ﷻ عليها أمارات تدل على صدور تلك الأعمال من الإنسان، ثم بعد هذه الصورة يتعجب الكفار من شهادة أعضائهم عليهم، نحو قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصِّلت:21].
- التحذير من سوء الظن بالله تعالى، ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه، أو لا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه، أو لا يجزيه. فوجوب حسن الظن بالله تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلَّها، قال ﷺ: **(يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)**[2].
- إذا عجز العبد عن الطاعات عند المرض والضعف كالكبر ونحوه؛ فله أن يرجو رحمته وعفوه، فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف[3].

---

(1) التفسير المنير:ج24، ص 214.

(2) صحيح مسلم: ج4، ص 2061 ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، (رقم الحديث 2675).

(3) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص 571.

المطلب الرابع

قُرناء السوء وتأثيرهم في الصدِّ عن سماع القرآن الكريم

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:25-29].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد بيان الوعيد الشديد للكفار في الدنيا والآخرة في الآيات السابقة، وبيان سببه الذي أوقعهم في الكفر وأبقاهم فيه، في هذه الآيات بيّن الله ﷻ كيف قيضتهم قلوبهم إلى العذاب، ثم ذكر الله تعالى موقفًا معاديًا آخر لهم، وهو صد الناس عن سماع القرآن والتشويش عند قراءته، لينصرفوا عنه، وهم أنفسهم عند الوقوع في العذاب الشديد يطلبون الانتقام ممن صيرهم إلى هذا المصير المشؤوم[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿**وَقَيَّضْنَا**﴾: أتحنا وهيَّأنا، وفي التنوير بعثنا، وأرسلنا لهم قرناء، أي: شياطين يلازمونهم، قد يكونون من الجن أو من الإنس، وقيض الله له قرينًا: هيَّأه وسببه من حيث لا يحتسبه[2]، وفي التنزيل: ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ**﴾ [فصّلت:25]، قُرَنَاءَ: جمع قرين، وهو الصاحب الملازم أو الجليس، وتأتي بمعنى الصاحب والشريك في الأمر، والمقرون بالإنسان الشيطان الذي لا

(1) انظر: التفسير المنير:ج24ص 218.

(2) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص275، أيسر التفاسير:ج4، ص572، المحكم والمحيط الأعظم: ج6، ص484.

يفارقه، فهو قرين[1]. وفيه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزُخرف:36]. قال ابن عاشور: "القرناء: هم الملازمون لهم في الضلالة: إما في الظاهر مثل دعاة الكفر، وإما في باطن النفوس مثل الشيطان الذي يوسوس"[2].

- ﴿وَالْغَوْا﴾: من اللغو واللغا، واللغو في اللغة: سقط القول الذي لا معنى له، وهو من الخساسة والبطول في حكم لا معنى له. واللغو: الكلام الذي لا فائدة فيه، ولا يُعتدّ به، يقال: لغا يلغو لغوًا. قال ابن الأنباري[3]: اللغو: ما يطرح من الكلام استغناءً عنه، ولا يُفتقَر إليه. وقال الزجاج: وكل ما لا خير فيه مما يؤثم فيه، أو يكون غير محتاج إليه من الكلام، فهو لغو ولغا[4].
- ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾: جمع أسفل، وأسفل الشيء: وهو الجزء المنخفض، والأسفلون: هم الأذلون المقهورون في الدرك الأسفل مِنَ النار، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:145]، والدرك الأسفل: هو أقصى قعر الشيء[5]، قال الأبياري[6]: "هم الأسفلون مكانًا ومكانةً"[7].

(1) القاموس المحيط:(ص:1224)، التفسير الحديث:ج4، ص215، المعجم الوسيط:ج2، ص731، التفسير القرآني للقرآن:ج12، ص 1309.

(2) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص274.

(3) ابن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظًا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد، وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم. ومن كتبه (الزاهر) [ثم طُبع] و(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) و(إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ)(عجائب علوم القرآن). الأعلام للزركلي:ج6، ص 215.

(4) المفردات في غريب القرآن: (ص: 451)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:ج5ص13، تفسير الوسيط للواحدي:ج1، ص330، لسان العرب:ج15،ص250.

(5) التفسير الوسيط: ج8، ص434، تفسير بحر العلوم،ج3، ص420، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج2ص، 1075.

(6) إبراهيم بن إسماعيل الأبياري: مؤرخ باحث من مشاهير المحققين المصريين، ت 1415 هـ، الوفيات والأحداث (ص: 214)

(7) الموسوعة القرآنية:ج11، ص 121.

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت:25].

بعدما ذكر الله ﷻ حال الكافرين وعقابهم في النار، يوجّه كلامه هنا ويبين ماذا جرى لهم في هذا العذاب، حيث يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: "فلينظروا كيف هم في قبضة الله، وكيف أن قلوبهم التي بين جنوبهم تقودهم إلى العذاب والخسارة، وذلك بأن أحضر لهم قرناء مثلهم يوسوسون لهم، ويزينون لهم كل ما حولهم من السوء، ويحسنون لهم أعمالهم، فلا يشعرون بما فيها من قبح". وأشد ما يصيب الإنسان أن يفقد إحساسه بقبح فعله وانحرافه، وأن يرى كل شيء من شخصه حسنًا ومن فعله! فهذه هي المهلكة، وهذا هو المنحدر الذي ينتهي دائمًا بالبوار[1].

- قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:26].

ورغم أنهم في العذاب الذي يستحقونه؛ يذكر السياق الكريم دعوة كفار قريش وهم يقولون لبعضهم بعضًا: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأه محمد ﷺ، حتى لا تتأثروا به، والغوا فيه وصفقوا وصفروا، حتى لا يتأثر به من يسمعه من الناس، لعلكم تغلبون، رجاء أن تغلبوا محمدًا على دينه، فتبطلوه ويبقى دينكم. وهذا منتهى الكيد والمكر من أولئك المعرضين عن دعوة الإسلام.

- قوله ﷻ: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:27-28].

وفي خضم هذه الأحداث يقول ربنا ﷻ مخبرًا ومؤكدًا الخبر بأنه سيُذيق الذين كفروا عذابًا شديدًا، وذلك يوم القيامة، فسوف يُجزيهم الله بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون. وهذا هو الجزاء المتوعد به الذين كفروا، وجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ودعوته.

- قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:25-29].

وبعد عرض الصورة الكبيرة من العذاب التي عرضها ربنا ﷻ؛ يخبر ربنا ﷻ في هذه الآيات

(1) انظر: في ظلال القرآن:ج5، ص 3119.

موقف الكفار من قرناء السوء، فيطلبون من الله ﷻ: ﴿أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾، الذين كانوا السبب في ضلالهم، وذلك بتزيينهم الباطل، وتقبيحهم للحق، حتى يجعلوهم تحت أقدامهم في النار[1].

رابعًا: البلاغة

- قوله ﷻ: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الوجه البلاغي في الآية طباق.

خامسًا: القراءات

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا . . .﴾ [فصّلت:29].

- قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا﴾ بإسكان الراء.
- قرأ الدوري باختلاس كسرة الراء.
- قرأ الباقون بإشباعها: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا﴾[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة (أرِنا) بكسر الراء أن الكفار يسألون الله ﷻ يوم القيامة وهم في النار أن يريهم ويبصرهم الذين أضلاهم عن سبيل الله في الحياة الدنيا، ليتيسر لهم الانتقام منهم بسبب ضلالهم إياهم.

وأما قراءة (أرْنا) بسكون الراء؛ فقد أفادت معنًى آخر إضافيًا إلى معنى الرؤيا والتبصير، حيث إن معنى (أرْنا) أطلانا، وهو التمكين، فيكون المعنى: أنهم يسألون الله تعالى أن يمكّنهم من الذين أضلاهم حتى ينتقموا منهما شر انتقام، بدوسهما تحت أقدامهم، زيادةً في الإهانة والإذلال، و"عن الخليل[3]: إذا قلت: أرني ثوبك بكسر الراء فالمعنى: بصرنيه، وإذا قلته بالسكون، فهو

(1) انظر: أيسر التفاسير: ج(4، ص 572)

(2) انظر: تحبير التيسير في القراءات العشر: (ص: 542)

(3) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفًا بها. وهو أستاذ سيبويه النحويّ. ولد ومات في البصرة، (100هـ-170هـ)، عاش فقيرًا صابرًا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لا يعرف. قال النَّضْر بن شُمَيْل: "ما رأى الراؤون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه". له كتاب (العين) في اللغة و(معاني الحروف) و(جملة آلات العرب) و(تفسير حروف اللغة) وكتاب (العروض) و(النقط والشكل) و(النغم). الأعلام للزركلي:ج2ص 314.

استعطاء، ومعناه: أعطني ثوبك، وعلى هذا تكون قراءة ابن كثير وابن عامر ومن وافقهما: مكِّنَّا من الَّذين أضلانا كي نجعلهما تحت أقدامنا، أي: ائذن لنا بإهانتهما وخزيهما"[1].

وبالجمع بين القراءتين؛ يظهر لنا أنَّ الكفار يسألون الله ﷻ يوم القيامة أن يمكنهم من الَّذين أضلاهم، ولا يكون التمكين إلا بعد الرؤية والإبصار، وذلك من أجل الانتقام منهما ودوسهما بأقدامهم، وفي ذلك شدة الانتقام والإذلال لهما وبغضهم إياهما، ويؤيده قول الطبرسي[2]: "تمنوا الشدة لشدة عداوتهم لهم وبغضهم إياهم بما أضلوهم وأغووهم أن يجعلوهما تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار"[3].

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- بيان سنة الله تعالى في العبد إذا أعرض عن الحق، يبعث الله تعالى عليه شيطانًا يكون قرينًا له، فيزين له كل قبيح، ويقبح له كل حسن: ﴿**فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النحل:63].

- بيان ما كان المشركون يكيدون به للإسلام ويحاربونه به، حتى باللغو عند قراءة القرآن، لكي لا يُسمع ولا يُهتدى به، فالتصفيق والتصفير عند سماع القرآن شأن الجهلة والسفلة أمام صيحة الحق في كل زمان، يستخدمون أسلوب اللغو في طمس الحقائق: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [فصّلت:26].

- إن اللغو والعبث والسخرية والاستهزاء بآيات الله أسلوب من أساليب الصدِّ عن تبليغ دعوة الله، وقد توعد الله من يستخدم هذا الأسلوب في مواجهة دعوته بالعذاب الأليم، ووعد الله من سمع بهذه الدعوة وبلغها واستقام عليها بأن يتولاه في الدنيا والآخرة.

- بيان جزاء الكفار، بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول الله ﷺ هو أن يذوقوا في الآخرة العذاب الشديد الذي يتوالى فلا ينقطع، ويحيط بهم في جميع أجزائهم، وأن يجزوا في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وأسوأ الأعمال: الشرك، ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا**

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:ج17،ص 181، التحرير والتنوير:ج24،ص 281.

(2) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسر محقق لغويّ. من أجلاء الإمامية. نسبته إلى طبرستان. له " مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان، و جوامع الجامع في التفسير أيضا، ومن كتبه تاج المواليد، وغنية العابد، ومختصر الكشاف توفي في سبزوار، (548 هـ = 1153 م). الأعلام: ج5 ص148.

(3) مجمع البيان: ج9، ص17.

أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة:120].

- تقرير البعث والجزاء، لقوله ﷻ: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** [يس:78،79].
والبعث هو إحياء الله الموتى ليلقى كل منهم جزاءه، الذي قدر له من نعيم أو عذاب[1]. قال ﷻ: **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون:15،16].

- بيان نقمة أهل النار على من كان سببًا في إضلالهم وإغوائهم، ومن سن لهم سنة شر يعملون بها كإبليس، وقابيل بن آدم عليهما السلام؛ إذ الأول سن كل شر، والثاني سن سنة القتل ظلمًا وعدوانًا.
﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:167].

- ذم قرناء السوء لما يأمرون به ويدعون إليه قرناءهم[2]، حتى قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي[3]

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى [4]

وإذا كان الشيطان لهم قرينًا؛ فبئس القرين لهم الشيطان[5]، قال ﷻ: **﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾** [النساء:38]، ولقد كان لهدي النبوة في هذه الآيات مثل مقام جميل، منه ما قال سيدنا محمد ﷺ: عن أبي موسى رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة**[6]".
والشاهد في الحديث الذي يناسب لفظ (القرين) هو (الكير). يقول ابن منظور: الكير: "هو كير

(1) انظر: تبسيط العقائد الإسلامية: (ص: 219).
(2) انظر: أيسر التفاسير:ج1، ص 479.
(3) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص: 164).
(4) تفسير الثعالبي:ج4، ص132.
(5) أيسر التفاسير :ج1، ص 478.
(6) صحيح البخاري:ج7، ص96، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك (رقم الحديث:5534)

الحداد، وهو زق أو جلد غليظ ذو حافات، وهو الزق الذي ينفخ فيه الحداد"[1]، وفي الحديث فوائد جليلة وعظيمة:

الفائدة الأولى: وهي أن على الإنسان أن يختار جُلساءهُ ورِفاقه بحذر؛ حيث يجب أن يكونوا من أهل الصلاح والأخلاق والعلم، لأنَّ العلم يتدفّق بين الجُلساء كما يتدفّق الماء من الشلال، فإمّا أن تشرب من هذا العلم، أو أن تغترف منهُ على قدر حاجتك، وأيًّا كان؛ فالجليس الصالح لا يأتيك منهُ إلّا الخير، ويقولون دائمًا: قل لي من تُصاحب؛ أقل لكَ من أنت، فالصاحب هو الذي يصحبك إلى طريق الخير وإلى طريق الجنة، أو يهوي بكَ في مهالِك الردى.

الفائدة الثانية: فإن النبي ﷺ بيَّن بأنَّ المجالس للرجل السيء لا ينالهُ منهُ إلاّ الأذى، ولا يُحيطُ بهِ إلاّ ما يؤذيه ويضرُّه، وبالمقابل فإنَّ الّذي يُجالس أهل الخير وأهل الإيمان والأخلاق الحميدة كأنّهُ عند صاحبه عطرٌ جميل كالمسك، فأنت حين تُجالس الطيّب من البشر كأنّك تتنسّم الطيّب من شذى العطور وأريجها، فلابُدَّ أن يعلق بثوبك هذا الطيب وهذا العطر أو تتنفسّه فينشرح لك به صدرك، وكذلك قرناء السوء.

(1) انظر: لسان العرب:ج5، ص157. (باختصار).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت الآيات (30-46)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات(30-39)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات (40-46)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات (30-39)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الله ولي المؤمنين في الدنيا والآخرة

المطلب الثاني: آداب الدعاة إلى الله ﷻ

المطلب الثالث: الآيات الدالة على وجود الله موجبة للإيمان

المطلب الأول

الله ولي المؤمنين في الدنيا والآخرة

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصّلت:30-32].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

هذه الآيات شرعت في بيان أحوال المؤمنين ومصيرهم، بعد بيان أحوال المشركين وعاقبتهم، ليتبين الفرق بين المؤمن والكافر، وبين الطيب والخبيث.

فبعد أن أطنب الله ﷻ في وعيد الكفار، أردفه بهذا الوعد الشريف للمؤمنين، كما هي سنة القرآن في إقران وإتباع أحدهما بالآخر، مثل قوله ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر:49-50][1].

كما تحدث الله ﷻ في الآيات السابقة عن قرناء السوء وهم المشركون، أما في هذه الآيات ذكر ﷻ قرناء من نوع آخر، وهم قرناء المؤمنين، فشتان بين قرناء السوء وقرناء المؤمنين، فقرناء المؤمنين ملائكة صالحون يهدونهم إلى ما يرضي الله ﷻ، ويعينوهم على الطاعة وفعل الخير، فهم أولياؤهم وناصروهم، يحبونهم ويرجون لهم كل خير؛ فهم رفاقهم في الدنيا والآخرة، يبشرونهم بمصيرهم السعيد[2].

أسباب النزول

قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:30]. قال ابن عباس: "نزلت هذه الآية

(1) التفسير المنير: ج24،ص222.

(2) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:ج7، ص28.

في أبي بكر الصديق ﷺ"، وذلك أن المشركين قالوا: "ربنا الله، والملائكة بناته، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا". وقال أبو بكر: "ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد ﷺ عبده ورسوله، فاستقام"[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا﴾: الذين وحدوا الله، وقالوا بكل صدق وإخلاص: ربنا الله ﷻ وحده، لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته[2].
- ﴿اسْتَقَامُوا﴾: يقال: قام يقوم قيامًا، فهو قائم، وجمعه: قيام، وأقامه غيره. وأقام بالمكان إقامة، والقيام على أضرب: قيام بالشخص؛ إما بتسخير أو اختيار، وقيام للشيء هو المراعاة للشيء والحفظ له، وقيام هو على العزم على الشيء، فمن القيام بالتسخير قوله تعالى: ﴿قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود:100]، وقوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ [الحشر:5]، ومن القيام الذي هو بالاختيار قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِمًا﴾ [الزمر:9]. استقام الشيء: اعتدل، واستوى، يقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصّلت:6]، أي في التوجه إليه دون الآلهة. وقومت الشيء فهو قويم، أي مستقيم. وقولهم: ما أقومه، شاذّ. وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:5][3]. وقوله ﷻ: ﴿اسْتَقَامُوا﴾ أي: استقاموا على الحقّ اعتقادًا وعملاً وإخلاصًا، وثبتوا فلم يبدلوا ولم يغيروا.
- ﴿تَشْتَهِي﴾: (اشتهى) الشيء: اشتدت رغبته فيه، و(ش ه ي): فعل خماسي متعدٍّ، اِشْتَهَى، يَشْتَهِي، مصدر اِشْتِهاءٌ، يقال: اِشْتَهَيْتُ عَصيرَ بُرْتُقالٍ، أي: اِشْتَدَّتِ الرَّغْبَةُ[4]. والمعنى في الآية إشارة إلى ما انطبع عليه الناس من اشتهاء ما تشتهى حيازته من نساء وبنين وكميات كبيرة من الذهب والفضة والخيول المحببة الصفات والأنعام والزروع[5].

---

(1) انظر: أسباب النزول (ص: 373)، التفسير المنير:ج24، ص 222.
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم للطبراني: ج، 7ص 260، الوسيط لسيد طنطاوي (ص: 3739)
(3) المعجم الوسيط:ج2، ص768، القاموس الفقهي: (ص: 309)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج5 ، ص2017)
(4) معجم الغني:ج1، ص 560، المعجم الوسيط :ج1، ص 498.
(5) انظر: التفسير الحديث:ج7، ص 126.

- ﴿نُزُلاً﴾: وهو ما يكون من حقّ الضيف النزيل على الناس من ضيافة وإكرام. والمعنى يحمل بين طياته، نزلاً إكرامًا وتحيةً من غفور رحيم، من ربٍّ واسع المغفرة والرحمة[1].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:30].

هذه الآية شرعت في بيان حسن أَحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة، بعد بيان سوء أحوال الكافرين فيهما. والمعنى: إن الذين اعترفوا بربوبية الله، فقالوا: ربنا الله تعالى، وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تتنزل عليهم الملائكة عند الموت، قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها، على ألسنة المرسلين، ولعل هذه البشارة عند الموت أو البعث من القبور، ولا مانع من أَن يكون إلهامًا في الحياة الدنيا[2]، وفقًا لقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:112]، روى الإمام أَحمد بسنده، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: "**قلت: يا رسول الله، حدثني بأَمر أَعتصم به، قال: "قل ربي الله، ثم استقِمْ"، قلت: يا رسول الله، ما أَكْثَر ما تخاف عليَّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه، ثم قال: "هذا" أَي: عليك لسانَك**"[3].

يقول إبراهيم القطان [4]: "هذه الآيات الكريمة دستورٌ عظيم في الأخلاق، وحسن المعاشرة، وكيفية الدعوة الى الله، والتحلّي بالصبر والأناة، ولو أننا اتبعناها حقًّا، ولو أن وعّاظنا وأئمة مساجدنا تحلَّوا بها وساروا على هديها؛ لنفع الله بهم الناس، وهدى الكثيرَ الكثير منهم على أيديهم، ولاستقامة الأمور، وارتقت أحوالنا، هدانا الله إلى التحلّي بكل مكرمة"[5].

---

(1) انظر: الموسوعة القرآنية:ج11، ص 121، التفسير الحديث:ج4، ص 417.

(2) التفسير الوسيط – مجمع البحوث:ج8، ص 704، التفسير الميسر (ص:480)

(3) مسند أحمد:ج24، ص 145.

(4) إبراهيم القطان (1335 – 1404 هـ = 1916 – 1984 م) قاض أديب. مولده ووفاته في عمان الأردن، دخل الأزهر، وتخرج فيه، وعمل بالقضاء 1942– 1947، ومنه انتقل إلى وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) مفتشاً للغة العربية والتربية الإسلامية، وظل فيها إلى عام 1961.
وفي العام الذي يليه عُين قاضياً للقضاة، ووزيراً للتربية والتعليم، فسفيراً لبلاده بالمغرب فالكويت، فباكستان، فقاضياً للقضاة مرة أخرى عام 1977 حتى وفاته، وكان من أعضاء مجمعي اللغة العربية بعمان والقاهرة. وكان دمث الخلق، طلق المحيا.(تكملة معجم المؤلفين (ص: 22

(5) انظر: تيسير التفسير للقطان:ج3، ص 199.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصّلت:31-32].

هذه الآية من تتمة بشارتهم في الدنيا، يقولون لهم: نحن أَعوانكم في أموركم في الحياة الدنيا، نلهمكم الحق، ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم، وأولياؤكم في الآخرة نمدكم بالشفاعة، ونتلقاكم بالكرامة، ويقولون لهم أيضًا: لكم في الآخرة ما تشتهى أَنفسكم من أنواع المتع والملذات، ولكم ما تطلبون وتتمنون من الأُمور الروحانية وسواها. وهذا التنزيل وهذا النعيم جعله الله ثوابًا لهم من غفور لما فرط من ذنوبهم، رحيم بعباده حيث يعطي الجزيل في مقابل العمل القليل[1].

رابعًا: البلاغة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصّلت:30]. إيجاز بليغ، لأن الاستقامة كلمة شملت جميع صفات التقوى، قال عمر: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب، وأنت تعلم ما ينطوي تحت الأمر والنهي من أوامر ومناهٍ. وأقل انحراف عن الطريق المستقيم يخرجه عن استقامته، ذلك لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، فهو لا يحتمل الانجراف ولو كان أدنى من اليسير[2].

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- إن الإيمان والاستقامة سببان لدخول الجنة، لأن الجزاء منوط بالعمل، فمن أقرَّ بالربوبية والوحدانية والألوهية لله ﷻ، واستقام على أوامر الله وطاعته، واجتنب معاصيه وسخطه وغضبه، له الجزاء المفضل في الدنيا والآخرة.
- الاستقامة على منهاج الحق والخير وطاعة الله تعالى، دليل على توافر العقل والوعي والرجولة والشجاعة والعزة والكرامة، والانحراف عن ذلك المنهاج أمارة واضحة على الجهالة، وقلة الوعي وضعف الإدراك، والجبن والمهانة، والانصياع للذّات والأهواء والشهوات، فما استقام أحد إلا نجا وأفلح، وكان متماسك الشخصية، قوي العزيمة والإرادة، وما ضل أحد إلا هلك ودمّر نفسه، وكان خائر العزيمة، ضعيف الإرادة. لذا كان الدين سبيلًا لخير الإنسان، وإبعاده عن الشرور والآثام[3].

(1) انظر: التفسير الوسيط – مجمع البحوث:ج8، ص 704، التفسير الميسر (ص: 480)
(2) إعراب القرآن وبيانه:ج8، ص 563.
(3) التفسير الوسيط للزحيلي:ج3، ص2304.

وقد عرف ابن القيم الاستقامة[1] بأنها: "كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله"[2]. وقال ابن عاشور: "الاستقامة: عدم الاعوجاج والميل...، وتطلق الاستقامة بوجه الاستعارة على ما يجمع معنى حسن العمل والسيرة على الحق والصدق، قال تعالى: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ [فصّلت:6]، وقال: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [هود:112]"[3].

والباحثة قد عرفت الاستقامة على أنها: "لفظة جامعة شاملة لمجامع الدين ومقاصده، وهي التوحيد والطاعة والاستواء والمداومة على لزوم الصراط المستقيم بإرشاد الشّرع؛ كتابًا وسنةً، ليستقيم الإنسان قولاً وعملاً، عقيدةً وفكرًا، سلوكًا وخلقًا".

أما جزاء أهل الاستقامة

فقد وعد الله ﷻ هؤلاء بجزاء الآخروى والدنيوي، أما الآخروي فهو كما قال ﷻ في محكم تنزيله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ [فصّلت:30-32]، أما جزاؤهم الدنيوي فهو السعي في الرزق والخير العميم، وهذا ما أظهره قوله ﷻ: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ [الجنّ:16]. وخير جزاء للاستقامة هو الثبات على الإيمان وحماية الإنسان من الشرك ودنسه.

---

(1) ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. (691 - 751هـ) تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبًا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبًا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددًا عظيمًا، وكتب بخطه الحسن شيئًا كثيرًا. وألّف تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين) و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل). و(كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء)(الأعلام للزركلي:ج6ص 56.)

(2) مدارج السالكين بين منازل: {إياك نعبد وإياك نستعين} ،ج2، ص 106.

(3) التحرير والتنوير: ج 24، ص 282.

من ثمرات الاستقامة

من تأمل الآيات السابقة عرف أن للاستقامة ثمرات عديدة، منها:

1. تتنزل السكينة على أهل الاستقامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:30]، فالملائكة تتنزل عليهم بالسرور والحبور والبشرى في مواطن عصيبة، قال وكيع بن الجراح [1]: "البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث"[2].

2. تتنزل الطمأنينة على أهل الاستقامة. حيث قال تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصّلت:30]، أي: لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا، وقال عطاء –رحمه الله: "لا تخافوا ردَّ ثوابكم، فإنه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإني أغفرها لكم"[3]. هذا هو التجلي، هذا هو السرور، هذا هو البشر، هذه هي الطمأنينة، هذا هو الاطمئنان، هذه هي الثقة برضاء الله ﷻ هذه هي السعادة، هذه هي سعادة الدنيا، أن تحس أنك تعرف الله أنك مطمئن إلى عدالته، مطمئن إلى قدرته، مطمئن إلى تسييره، مطمئن إلى ربوبيته.

3. البشرى بالجنة. قال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:30]، وهذا هو الهدف الذي ينشده كل مسلم، نسأل الله من واسع فضله، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ولأحدهم كل ما يطلبه ويدعيه، وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم وتلقي التحية منه والتسليم[4].

4. سعة الرزق في الدنيا. قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجنّ:16]، أي كثيرًا، والمراد بذلك سعة الرزق، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: "أينما كان الماء كان المال"[5].

---

(1) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان: حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره. ولد بالكوفة،(129هـ – 746م) وأبوه ناظر على بيت المال فيها. وتفقه وحفظ الحديث، توفي بفيد راجعا من الحج (197 هـ = – 812 م). الأعلام للزركلي ج8، ص 117.

(2) تفسير فتح القدير:ج4، ص 515.

(3) المرجع السابق.

(4) أيسر التفاسير: ج4، ص 576.

(5) انظر: تفسير القرطبي: ج19، ص 18.

5. الانشراح في الصدر والحياة الطيبة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].
ومن جاء بالاستقامة؛ فقد عمل أحسن العمل، فاستحق الحياة الطيبة الهنية.

سبل تحقيق الاستقامة والمحافظة عليها

للاستقامة والثبات عليها عدة مقويات ومغذيات، منها:

1. فعل الطاعات والاجتهاد فيها ومجاهدة النفس عليها، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69].

2. الاشتغال بالعلم الشرعي وطلبه. قال ابن القيم –رحمه الله: "به يُعرَف اللهُ و يُعبد، ويُذكر، ويُوحَّد، ويُحمد، ويُمجَّد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل القاصرون..."[(1)].

3. الإخلاص في العلم والعمل. فلابد من مجاهدة النفس على الإخلاص، فهو روح كل عبادة، وبه تستقيم النفس، وتصدق مع الله في الأقوال والأعمال، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الرُّوم:30].

4. الدعاء. من مقويات الإيمان دعاء الله تعالى لتحقيق الاستقامة والثبات عليها، كما كان النبي ﷺ يسأل ربه الثبات على الدين، وقد أمرنا بقراءة الفاتحة في كل ركعة، وفيها نسأل الله تعالى فنقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:6-7]. فندعو الله تعالى؛ لأن الاستقامة والثبات عليها بيد الله ﷻ، حيث قال: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:39].

5. الإكثار من قراءة القرآن. وكذلك تدبره والعمل به من أهم الأمور في تحقيق الاستقامة، فقد جعله الله تعالى سبيلًا لمن أراد الاستقامة، فقال ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التَّكوير:27-28]، وعلى العبد ألا يترك ملازمة القرآن، سواء حفظه أو تلاوته تلاوة نظر، فمع تدبره ينال العبد نصيبًا من زيادة الإيمان الذي هو سبب كل استقامة.

(1) انظر: تهذيب مدارج السالكين: (ص:484).

المطلب الثاني

آداب الدعوة إلى الله ﷻ

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصّلت:33-36].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد بيان ما يفعله قرناء السوء من الدعوة إلى المعاصي، ذكر الله تعالى حال أضدادهم الذين يدعون الناس إلى توحيد ربهم وطاعته، وأبان آدابهم وأوصافهم من مقابلة السيئة بالحسنة، والاستعادة من شر الشيطان، واللجوء إلى الله إذا حاول الشيطان صرف الإنسان عن حكم شرع الله تعالى[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿دَعَا﴾: الدعوة عند العرب: الدعوة إلى الطعام بالفتح. يقال: كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان، وهو في الأصل مصدر، يريدون الدعاء إلى الطعام. والدعوة بالكسر في النسب، يقال: فلان دعيّ بين الدعوة والدعوى في النسب[2]. والدعاء: الرغبة إلى الله ﷻ. دعاه دعاء ودعوى[3]، والدعاءة: الأنملة، التي يدعى بها، كقولهم: السبابة، كأنها هي التي تدعو، كما أن السبابة هي التي كأنها تسب، وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد:14]، قال الزجاج: جاء في التفسير أنها شهادة أن لا اله إلا الله. وجائز أن تكون -والله أعلم- دعوة الحق، أنه: من دعا إلى توحيد الله وطاعته، استجيب له دعاؤه[4].

(1) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 228.
(2) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج6،ص 2336.
(3) المحكم والمحيط الأعظم:ج2، ص 325."بتصرف"
(4) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص 576.

- ﴿ادْفَعْ﴾: الدفع: الإزالة بقوة. يقال: دفعه يدفعه دفعًا ودفاعًا، وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، وتدافع القوم: أي دفع بعضهم بعضًا، ومن كلامهم: ادفع الشر ولو إصبعًا. ودافع عنه بمعنى دفع، تقول: دفع الله عنك المكروه دفعًا، ودافع الله عنك السوء دفاعًا[1]. قال الزجاج: "معناه: ادفع السيئة بالتي هي أحسن، كدفع الغضب بالصبر، ودفع الجهل بالحلم، والإساءة بالعفو[2].

- ﴿حَمِيمٌ﴾: جمع أحماء وحمائم، القريب الذي توده ويودك، ويهتم لأمرك "وهو الصديق الحميم[3]، مثل قوله ﷻ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقَّة:35]، والحميم: القريب، من قولهم: أَحَمَّ الأمر، وأَحَمَّ، إذا قَرُب، ودنا[4]، والمعنى: ولا قريب أو صديق شفيع لنا، خالص الود ينقذنا من عذاب الله[5].

- ﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾: النزغ والنسغ بمعنى، وهو شبه النخس، والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي، والمراد: الوسوسة، وفي معاجم اللغة: نزغ ينزغ، من باب: ضرب نزغًا بين القوم: أفسد، ويقال: نزغ الشيطان بينهم، أي: أغرى بعضهم ببعض، ونزغه الشيطان إلى المعاصي، أي: حثه، ونزغ الشيطان وساوسه وما يحمل الإنسان على المعاصي[6].

ثالثًا: أسباب النزول

- قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصّلت:33]. وقد روي أنها نزلت في محمد ﷺ، وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله ﷺ، هذا حبيب الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله[7].

- قال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصّلت:34]. روي أنها نزلت في أبي جهل؛ كان يؤذي النبي ﷺ،

(1) انظر: لسان العرب:ج8، ص 87.
(2) انظر: التفسير الواضح:ج3، ص 341.
(3) معجم اللغة العربية المعاصرة :ج1، ص 567. الكليات (ص: 412)
(4) انظر تهذيب اللغة :ج4ص14، لسان العرب:ج12، ص152.
(5) صفوة التفاسير ج2، ص353.
(6) انظر: إعراب القرآن وبيانه:ج8 ص 559.
(7) انظر: أحكام القرآن لابن العربي:ج4، ص 84.

فأمر ﷺ بالعفو عنه. وقيل له: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1] [فصلت:34].

رابعًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصّلت:33].

في الآية دلالات قويه تثبت حسن إسلام المرء، ولا يكون ذلك إلا إذا جمع بين خصال ثلاث:

أ. الدعاء إلى توحيد الله وطاعته.

ب. العمل الصالح بعمل الطاعات، واجتناب المحرمات.

ت. أن يتخذ الإسلام دينًا، ويخلص إلى ربه، من قولهم: "هذا قول فلان، أي: مذهبه ومعتقده"[2].

- قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصّلت:34-35].

الحسنة هي التي يرضى بها الله ويثيب عليها، كما أنها لا تستوي مع السيئة التي كرهها الله ويعاقب عليها[3]، وفي الآيات تعليم قرآني جليل مستمر، فمقابلة السيئة بالسيئة يورث العداء والأحقاد، بعكس مقابلة السيئة بالحسنة التي تقلب العدو صديقًا، وتدل على نبل النفس وكرم الخلق. وقد يندفع المرء أحيانًا إلى مقابلة السيئة بالسيئة؛ ففي هذا الموقف يجب على المسلم أن ينتبه إلى أن هذا إنما يكون من نزعات الشيطان ووساوسه، وألا يندفع فيه، وأن يجنح إلى الأفضل الذي يليق بإسلامه، وهو الصبر، ودفع السيئة بالحسنة[4].

ولقد مرَّ في سورة الأعراف آيتان مماثلتان لهذه الآيات بعض الشيء في العبارة والهدف وهما: قوله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا

(1) أحكام القرآن لابن العربي:ج4، ص 85.
(2) فتح البيان في مقاصد القرآن: ج2،1ص 252.
(3) انظر: التفسير الحديث: ج4، ص 420.
(4) التفسير الحديث :ج4، ص 420.

﴿يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف199-200]. حيث يبدو من ذلك اهتمام القرآن العظيم في بث روح الخير والتسامح وضبط النفس والبعد عن النزق والغضب ومقابلة السوء بمثله في نفس المسلم.

بل إن القرآن لم يكتفِ بهذا، حيث احتوى آيات أوجبت على المسلم أن تكون صلاته ومعاملاته مع جميع الفئات من أقارب وأجانب وأغنياء وفقراء وعبيد على أساس الإحسان، وحثته على ألا يكتفي بما يجب عليه من العدل وتقوى الله، بل يتجاوزهما إلى ما هو خير منهما، وهو الإحسان كما ترى في هذه الآيات[1]:

- قوله ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:36].
- قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:93].
- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90].

وفي خضم الآيات التي نقوم بدراستها يقول ابن عباس في معناها: يا محمد، ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك، فإذا فعلت ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة كالصديق القريب. قال ابن عباس: "في هذه الآية أمر الله ﷻ محمدًا ﷺ بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، وبذلك قد نلت الحظ العظيم، وهو الجنة الذي وعدك الله بها، والحظ العظيم، كما قال قتادة: "الحظ العظيم: الجنة[2].

قال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [فصّلت36]. والنزغ: الإغراء. أي: فإن أغراك الشيطان على ما لا ينبغي؛ من عدم الدفع بالتي هي أحسن، ومقابلة الإساءة بأسوأ منها: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ [فصّلت:36]، الجأ إليه، واطلب منه تعالى

(1) انظر: التفسير الحديث :ج4، ص 421.
(2) انظر: تفسير القرطبي:ج15ص 361، زاد المسير في علم التفسير ج4،ص 53.

إنجاءك من كيد الشيطان وشره، فرُبَّ شرارة أذكت نارًا، وكلمة أشعلت حربًا؛ وكم رأينا من مجازر بشرية؛ ضاع فيها كثير من الأنفس البريئة؛ بسبب كلمة بسيطة؛ كان علاجها شيء من الحلم، وقليل من الكظم. وذلك من عمل الشيطان[1].

رابعًا: البلاغة

- قال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: الغرض البلاغي في هذه الآية الطباق بين: (الحسنة، والسيئة)[2].
- قال ﷻ: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: الغرض البلاغي في هذه الآية تشبيه مرسل مجمل، أي: ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه[3].
- قال ﷻ: ﴿يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: استعارة، حيث شبه وسوسة الشيطان وإغراء الناس على المعاصي بالنزغ[4].
- قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: ختم بهذه الآية، للدلالة على أن الاستعاذة باللسان لا تفيد، إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالى قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك، فإني سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك، فإني عليم بما في ضميرك[5].

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف الدعاة العاملين، حيث إن تبليغ الدعوة إلى توحيد الله وطاعته واجب في الإسلام، والإرشاد إلى الخير والسلامة والأمان منهاج أهل الحق المحبين للإنسانية، السالكين مع غيرهم ما يحبونه لأنفسهم، فإن أهل الإيمان يصلحون أنفسهم أولًا، ثم يحاولون إصلاح غيرهم، وتكون مرتبة تربية النفس وإعدادها معروفة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت:30]، ثم تأتي مرتبة دعوة الآخرين إلى الهدى والخير[6].

---

(1) انظر: أوضح التفاسير: (ص: 587).
(2) انظر: التفسير المنير: ج24، ص 226.
(3) انظر: المرجع السابق: ج24، ص 226.
(4) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن:ج5، ص 109.
(5) انظر: تفسير الرازي:ج15، ص 436.
(6) التفسير الوسيط :ج3، ص 2306، أيسر التفاسير: ج 4، ص 578.

- **ويقصد بالدعوة لغةً:** الدال والعين والواو أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت الله، أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، والجمع: دعاة، وداعون، والنبي داعي الخلق إلى التوحيد، ودعاه إلى المذهب: "حثه على اعتقاده وساقه إليه"[1].

- **ويقصد بالدعوة اصطلاحًا:** الرغبة إلى الله والعبادة، وهي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل[2].

وترى الباحثة أن الدعوة إلى الله: دعوة الناس جميعًا إلى دين الله ﷻ، وهو دين الحق، بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، دون إكراه.

حكم الدعوة إلى الله ﷻ

دلت الآيات والأحاديث من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله ﷻ، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها: قوله سبحانه: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:104].

بيان فضل الاسلام

لقد امتن الله تعالى علينا –أمة الإسلام– بهذا الدين العظيم، دين الإسلام الذي رضيه لنا دينًا، وفضله على سائر الأديان، وجعله خاتمًا لها ومهيمنًا عليها، واختصه بفضائل عظيمة عما سواه، فقد جعله دينًا كاملاً، وأتمَّ به النعمة على هذه الأمة، وجعله سببًا لمغفرة الذنوب وحصول التقوى والخشية لله، ولن يقبل الله تعالى من أحد دينًا سواه. قال ﷻ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:3].

وأهم ما يميز هذا الدين من فضل:

- كمال هذا الدين، حيث لا يحتاج الناس إلى مصادر أخرى ولا إلى ابتداع أمور ليثبتوها من عند أنفسهم؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة:3].

- أن الله ﷻ أتم بهذا الدين النعمة على العباد، وهذا من أبرز فضائل الدين، فتحقق بالإسلام تمام النعمة من الله ﷻ على هذه الأمة: ﴿**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ [المائدة:3].

---

(1) مقاييس اللغة: ج2،ص279، المصباح المنير :ج1، ص194.
(2) الكليات (ص:447).

- أنه يحقق رضا الله ﷻ، فالله رضيه لعباده، وأي شيء أعظم من دين رضيه الله لعباده؟ قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

- أن الله تعالى لا يقبل من الناس دينًا سواه، قال ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس:104]، دلَّ على أن هذا الدين هو الذي يقبله الله، وأنه الذي لا شك فيه، ولا يمكن أن يتطرق الشك إلى شيء من هذا الدين.

- أنه يحقق التوحيد الخالص، قال الله تعالى: ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [يونس:104]، فهو يحقق التوحيد الخالص، وينفي الشرك، ويحقق العبادة الحقة والتوحيد والدين الذي رضيه الله للعباد، وهذا كله من فضائل هذا الدين.

- كذلك يتحقق بالإسلام التقوى، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ [الحديد:28]، ويتحقق به الإيمان بالرسول ﷺ، وهذه من غايات الدين ومن أسباب السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة، فهي فضائل لهذا الدين.

- الإسلام بذاته فاضل؛ لأن الله ﷻ جعله خيار الأديان وخاتم الأديان وأفضل الأديان، وناسخًا للأديان ومهيمنًا عليها.

- فضل الإسلام بفضائل هذه الأمة؛ بما منحه الله ﷻ لهذه الأمة من الفضائل، ثم فضل الإسلام على الأفراد أيضًا، فالإسلام هو طريق النجاة، وهو طريق السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

- كل الخصائص والسمات والميزات التي تميز الاسلام عن غيره، ثم الفضائل والأجور والخصائص التي يتميز بها أتباعه، ثم النتائج التي وعدها الله للمستمسكين بالإسلام في الدنيا والآخرة، ففضله في نفسه، وفضله على غيره، والفضل الذي يحصل به للعباد. كل ذلك يدخل في معنى فضل الإسلام.

- سماحة الإسلام ويسر الدين، فالإسلام أسمح الأديان في دفع المشقة عن العباد، وفي مضاعفة الأجور لهم، ومغفرة الذنوب، وفي جلب التيسير لجميع أحكام الدين، حتى عند غير الضرورات والحاجات، وحتى عند وجود مجرد المشقة، فإن الدين يسر[1].

(1) شرح فضل الإسلام: لمحمد بن عبد الوهاب – ناصر العقل (ص:3).

- تقرير أن الحسنة لا تتساوى مع السيئة. كما أن الحسنات تتفاوت والسيئات تتفاوت، لذلك وجب دفع السيئة من الأخ المسلم بالحسنة من القول والفعل، وبذلك يكون قد نال الفضل الذي يكمل في نفسه وخلقه، فيصبح يدفع السيئة بالحسنة.
- وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، إذا وسوس أو ألقى بخاطره سوء؛ إذ لا يقي منه ولا يحفظ إلا الله السميع العليم[1].

في هذه الآيات يرشد الرب تعالى عبده ورسوله وكل فرد من أفراد أمته؛ إن نزغه من الشيطان نزغ بأن وسوس له بفعل شر أو ترك خير، أو خطر له خاطر سوء أن يفزع إلى الله تعالى، يستجير به، فإن الله تعالى هو السميع العليم، فالاستجارة به من الشيطان تحمي العبد وتقيه من وسواس الشيطان وما يلقيه في النفس من خواطر سيئة، ولله الحمد والمنة على هذا الإرشاد الرباني الذي لا يستغني عنه أحد من عباده: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأعراف:200].

(1) أيسر التفاسير: ج4، ص 578.

المطلب الثالث

الآيات الدالة على وجود الله موجبة للإيمان

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصّلت:37-39].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد بيان أن أحسن الأعمال والأقوال هو الدعوة إلى الله تعالى، ذكر الله تعالى الدلائل الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته، كمادة للدعوة إلى الله، وتنبيهًا على أن الدعوة إليه تعالى هي تقرير الدلائل الدالة على ذات الله وصفاته. وقد ذكر هنا الدلائل الكونية الفلكية الأربعة، وهي: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ثم أتبعها بآية أرضية على مرأى العين، وهي إنبات النباتات بالمطر في الأرض[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿لَا تَسْجُدُوا﴾: سجد يسجد سجودًا: أي وضع جبهته على الأرض خضوعًا وتعبدًا[2]، والمعنى: لا تعبدوا الشمس ولا القمر؛ فإنهما من جملة مخلوقات الله ﷻ.
- ﴿يَسْأَمُونَ﴾: السآمة: الضجر والملل، سئم الشخص: ملَّ وضجر، وسئم من الحديث: ملَّه وأحسَّ نحوه بفتور[3]، والملائكة لا يسأمون: أي لا يملون من عبادته ولا يكلون[4].

(1) انظر: التفسير المنير: ج24، ص 234.
(2) معجم اللغة العربية المعاصرة:ج2، ص 1034، المحكم والمحيط الأعظم:ج7، ص261.
(3) معجم اللغة العربية المعاصرة:ج2، ص1020.
(4) انظر: أيسر التفاسير: ج3، ص482، التحرير والتنوير :ج24، ص301.

- ﴿خَاشِعَةً﴾: "الخشوع: الخضوع: كالاختشاع، يقال: خشع يخشع خشوعًا، والخشوع: قريب المعنى من الخضوع"[1]، هو أثر الخوف والسكون والخضوع لله، وأصله النظر إلى الأرض وخفض الصوت، وهو مأخوذ من: خشعت الأرض، إذا سكنت واطمأنت[2].
- ﴿اهْتَزَّتْ﴾: الهزّ: تحريك الشيء، تقول: هززت فلانًا فاهتزَّ للخير، واهتزَّ النبات: إذا طال، وهزته الريح، واهتزت الأرض: إذا نبتت[3].
- ﴿وَرَبَتْ﴾: من الزيادة والنماء والعلو، ربا الجرح والأرض والمال، وكل شيء يربو ربوًا، إذا زاد، والرابية: ما ارتفع من الأرض، والربوة: أرض مرتفعة[4].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصّلت:37].

هذه الآيات تدل على أن الليل والنهار والشمس والقمر وهي من خلق الله والعلامات الدالة على قدرته ﷻ، وعظمته وحكمته، ووجود الليل والنهار وتعاقبهما، وخلق الشمس المضيئة والقمر المنير، وتقدير منازلهما في فلكيهما، واختلاف سيرهما في مداريهما في السماء، ليعرف بذلك مقادير الليل والنهار والأسابيع والشهور والأعوام، وتعرف أوقات العبادة، وآجال الحقوق والديون والمعاملات.

ولما كانت الشمس والقمر أنفع وأحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبَّه الله تعالى إلى أنهما مخلوقان خاضعان لسلطان الله وتسخيره، فلا يعظمان وإنما يعظم خالقهما، لذلك قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، أي: إياكم من السجود للشمس والقمر، لأنهما مخلوقان من مخلوقات الله، فلا يصح أن تكونا شريكين له في ربوبيته، ولا تصح عبادتهما، فهي لا تنفع مع عبادة الله، وتكون عبادتهما

(1) تاج العروس:ج20، ص 506.
(2) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج1، ص170، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ج1، ص247.
(3) انظر: تهذيب اللغة:ج5، ص230.
(4) انظر: العين: ج8، ص283، معجم مقاييس اللغة :ج2، ص483.

شركًا. وإنما الواجب السجود لمن خلق هذه الآيات الأربع وغيرها، إن كنتم تريدون العبادة الصحيحة الخالصة لله تعالى.

- قوله ﷻ: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصّلت:38].

فإن تكبر هؤلاء المشركون عبدة الكواكب عن الامتثال وإفراد العبادة لله، وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره، فلا يهم أمرهم، فالملائكة عند ربك[1] –الذين هم خير منهم– لا يستكبرون عن عبادته تعالى، بل يواظبون على تسبيح الله سبحانه بالليل والنهار، وهم لا يملون ولا يفترون، كقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:89]. وهذا دليل واضح على أن الملائكة أفضل من البشر[2].

- قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصّلت:39].

ومن آيات دلائل قدرته تعالى على البعث وإعادة الموتى أحياء أنك ترى الأرض هامدة لا نبات فيها، بل هي ميتة، فإذا أنزل الله عليها المطر تحركت بالنبات، وانتفخت وعلت، وأخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار. إن الذي أحيا هذه الأرض الجدبة بالنبات والزرع، قادر على أن يحيي الأموات، فإنه الرب القدير الذي لا يعجزه شيء كائنًا ما كان[3].

رابعًا: البلاغة

- قوله ﷻ: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: طباق السلب[4].

- قوله ﷻ: ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: استعارة مكنية، فقد استعير الخشوع وهو التذلل والتقاصر لحال الأرض عند قحطها وجفافها، كما استعير الهمود لها في قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾، وكذلك يسري القول على الاهتزاز والربو، يقال: اهتز الإنسان أي تحرك، وربت أي: انتفخت وعلت، قبل أن تنبت، وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير،

(1) (العندية): عندية مكان لا قرب مكان.
(2) التفسير المنير: ج24، ص 236.
(3) المرجع السابق: ج24، ص237.
(4) انظر: إعراب القرآن وبيانه:ج8، ص 565.

وتقديره: ربت واهتزت، والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض فربوها ارتفاعها، وقيل: اهتزت أي تحركت حركة عظيمة، فكان كمن يعالج ذلك بنفسه، وربت أي تشققت، فارتفع ترابها وخرج منها النبات، وسما في الجو مغطيًّا وجهها، وتزخرفت بذلك النبات كأنها بمنزلة المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل.

- قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً...﴾: هذه الآية في قمة البلاغة والبيان وجمال الأسلوب والتناسق الفني في التعبير والأداء، فكأن الحركة ولمس معالم القدرة الإلهية وبعث الحياة تتمثل في جنباتها[1].

- قوله ﷻ: ﴿تَرَى﴾: تنوع الخطاب من خطاب جماعة إلى خطاب واحد، لأنه قال في المقطع السابق: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾.

- كما أن صيغة المضارع في الآية دلالة على التجدد والاستمرار.

- ومن اللطائف أنه قال هنا: ﴿خَاشِعَةً﴾، وفي موضع آخر قال ﷻ: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [الحج:5]، والفارق أن سياق سورة فصلت يتحدث عن العبادة والخشوع، والخضوع لله ربِّ العالمين، فناسب أن يقول خاشعة، والآية في سياق سورة الحج تتكلم عن مراحل خلق الإنسان، وتطوره، وإحيائه وإماتته، وبعثه، فناسب أن يقول هامدة، ثم تدبُّ فيها الحياة.

خامسًا: القراءات

قال ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصّلت:39].

- قرأ أبو جعفر: ﴿وَرَبَأَتْ﴾، بهمزة قبل التاء.

- قرأ الباقون: ﴿وَرَبَتْ﴾، بدون همزة قبل التاء[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة ﴿رَبَتْ﴾ بدون همزة أن هذه الأرض الميتة اليابسة والمغبرة إذا ما نزل عليها المطر اهتزت بالنبات وانتفخت وعظمت.

---

(1) التفسير المنير: ج24، ص 234.

(2) انظر: اتحاف فضلاء البشر (ص:489).

وأما قراءة ﴿رَبَأَتْ﴾ بهمزة قبل التاء، فقد أضافت معنى الارتفاع إلى الأرض بعد الانتفاخ، والمعنى واحد، لأن الأرض إذا ارتوت بالماء تحركت بالنبات، وإذا أراد النبات أن يظهر انتفخت الأرض وارتفعت.

قال الزمخشري: "والربو، وهو الانتفاخ: إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات، كأنها بمنزلة المختال في زيه، وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة، وقرئ ﴿وَرَبَأَتْ﴾، أي: ارتفعت، لأن النبت إذا هم أن يظهر؛ ارتفعت له الأرض"[1]. وقال أبو حيان: "﴿وَرَبَتْ﴾، أي: زادت وانتفخت...، ﴿وَرَبَأَتْ﴾، بالهمز هنا، وفي فصلت أي: ارتفعت وأشرقت، يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا: أي يرتفع بها عنه"[2]. وقال ابن عيطة: "ووجهها أن يكون من ربأت القوم إذا علوت شرفًا من الأرض طليعة، فكأن الأرض بالماء تتطاول وتعلو"[3]. وقال: "وربأت بألف مهموزة أيضًا بمعنى: علت وارتفعت، ومنه الربيئة، وهو الذي يرتفع حتي يرصد للقوم، ثم ذكر تعالى الأمر الذي ينبغي أن يقاس علي هذه الآية والعبرة، وذلك إحياء الموتى"[4].

الجمع بين القراءات

وبالجمع بين القراءتين يتبين: أن الأرض الميتة اليابسة، إذا ما أنزل عليها الماء دبت بها الحياة فاهتزت بالنبات وانتفخت ثم ارتفعت بعد ذلك وعلت، حتى ظهر هذا التحول في الأرض للناظرين، وفي ذلك دلالة أقوى وزيادة عبرة على إحياء الموتى.

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- خلق الله الليل والنهار والشمس والقمر، من الآيات الواضحة والعلامات الظاهرة على وحدانية وقدرته.
- المستحق للعبادة هو الله ﷻ وحده، لأنه خالق ومدبر هذه المخلوقات، فهو المستحق للعبادة: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:102].

(1) انظر: الكشاف ج3، ص455.
(2) البحر المحيط ج6، ص328، عند تفسيره للآية (5) من سورة الحج.
(3) المحرر الوجيز ج4، ص109.
(4) المرجع السابق ج4، ص109.

- تشير الآيات أن الملائكة لا تفتر عن تسبيح الله تعالى، ولا يملون، فقد قال ﷻ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزُّمر:75].

- تشير الآيات إلى أن جميع مخلوقات الله وتسبحه وتنزهه عن الشريك في الذات وفي الصفات وفي الأفعال، ولقد ذكر ربنا ﷻ في محكم تنزيله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:19].

- تقرير عقيدة البعث والجزاء على الأعمال يوم القيامة[1].

- جاء الخطاب في قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصّلت:39] لكل عاقل. وهذا دليل حسي متكرر في القرآن، يقرب للأذهان صورة الإحياء بعد الإماتة، والمعول عليه هو قدرة الله الخالق ابتداء وانتهاء وكل وقت[2].

- تضمنت هذه الآية صلاة كسوف القمر والشمس، لأن العرب كانت تقول: إن الشمس والقمر لا يكسفان إلا لموت عظيم، فصلَّى النبي ﷺ صلاة الكسوف، وهي ثابتة في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما.

- خلق الإنسان والنبات حاصل بالله، وهو السبب في حصوله، ولولاه لم يتصور في وجوده[3].

(1) انظر: أيسر التفاسير ج3، ص455.
(2) انظر: التفسير المنير: ج24، ص237.
(3) انظر: المرجع السابق: ج17، ص 164.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة

فصلت الآيات (40-46)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جزاء الملحدين في آيات الله

المطلب الثاني: القرآن الكريم كتابٌ حقٌ لا يأتيه الباطل

المطلب الثالث: اختلاف قوم موسى في الكتاب

المطلب الأول

جزاء الملحدين في آيات الله

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصّلت:40].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد الأمر بالدعوة إلى دين الله تعالى، وبيان أسلوب الدعوة بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة، وبعد بيان البراهين الساطعة والحجج القوية في هذه الآية؛ هدد الله تعالى من ينازع في تلك الآيات والدلائل، ويحاول إلقاء الشبهات فيها[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿يُلْحِدُونَ﴾: بضم الياء، وألحد في دين الله: أي جار وعدل[2]، وحقيقته الإلحاد: الميل عن الاستقامة[3]، وقال صاحب الكشاف: "يقال: ألحد الحافر، ولحد إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة"[4]. ومن قبيل هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]، أي: الذين يجادلون فيها ويميلون بها، فيؤولونها على غير تأويلها، لإبطال حق أو إحقاق باطل[5].
- ﴿بَصِيرٌ﴾: هو البصير بالشيء: أي عالم به، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:11]، أي: العالِم. وهما من صفات الله ﷻ الأزلية، يقال: لم يزل الله تعالى سميعًا بصيرًا.

---

(1) انظر: التفسير المنير: ج24، ص 240.
(2) انظر: إعراب القرآن وبيانه:ج8، ص 568.
(3) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص 304.
(4) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:ج4، ص201.
(5) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص 581.

والبصير: المبصر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾ [فاطر:19]، والبصير أيضًا: الأعمى. وهو من الأضداد[1].

ثالثًا: سبب النزول

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصّلت:40].

أخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ [فصّلت:40][2].

رابعًا: البلاغة

- قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصّلت:40]. الغرض البلاغي في الآية: الانتقال من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.
- قال ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾: بينهما مقابلة. والهمزة هنا للاستفهام: ومعناه الإقرار بأن الملحدين يلقون في النار، وأن المؤمنين يأتون آمنين.
- قال ﷻ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾: أمر، يراد به التهديد والوعيد[3].
- قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: في الآية تقديم وتأخير، حيث قدم العلم على البصر، وذلك لأن السياق في الآية عمل؛ فناسب تقديم العمل على الصفة (البصر)، ومثل ذلك في القرآن الكريم كثير، نحو قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:110]، قدم العمل على البصر، لأن سياق الآية عمل، فناسب ذلك.

(1) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ج1، ص 542.
(2) انظر: أسباب النزول القرآني (ص: 336).
(3) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 239.

رابعًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا...﴾.

علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات، أن الآيات التي سبقت تشمل دلائل كونية في قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصّلت:9]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾ [فصّلت:37]، وتشمل الآيات القولية المتقدمة في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصّلت:26]. فالإلحاد في الآيات مستعار للعدول والانصراف عن دلالة الآيات الكونية على ما دلت عليه. والإلحاد في الآيات القولية مستعار للعدول عن سماعها، وللطعن في صحتها، وصرف الناس عن سماعها[1].

ومعنى الإلحاد في الآية: الميل عن الحق، قال مقاتل: "الإلحاد يعني: يميلون عن الإيمان بالقرآن". وقال الكلبي: يعني: "يميلون في آياتنا بالتكذيب"[2]. وقال قتادة: "الإلحاد الكفر والعناد"، وقال ابن عباس: "هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه"[3].

وهذه الآية تتكلم عن عقاب الذين يطعنون في آيات الله ﷻ بالتحريف والتكذيب والإنكار، فأمرهم لا يغيب عن الله ﷻ، فهو لهم بالمرصاد[4].

- قوله ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أي: أفمن يطرح في جهنم مع الخوف والفزع أفضل، أم من يكون في الجنة آمنًا من عذاب الله يوم، يقول الزحيلي[5]: "هذا تهديد لأولئك الضالين الذي يهجرون القرآن العظيم، الذين يتركون الحق إلى غيره، ويميلون عن الاستقامة على منهج آيات القرآن بالطعن فيها وتحريفها، وتأويلها تأويلًا باطلًا. وهل أدرك هؤلاء هذا المصير، وهل غفلوا عن الفرق الشاسع بين المؤمن المستقر

(1) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص 304.
(2) تفسير بحر العلوم ج3، ص 228.
(3) صفوة التفاسير:ج3، ص 15.
(4) انظر: المرجع السابق:ج3، ص 115.
(5) خير الدين بن محمود بن محمد الزِّركلي، ولد ليلة 9 ذي الحجة 1310، في بيروت، نشأ بدمشق، وتعلم في إحدى مدارسها الأهلية، ولقد تولى عدة مناصب مختلفة في بلدان مختلفة، توفي (3 ذي الحجة 1396). الأعلام: ج8، ص 267.

الآمن في الدنيا والآخرة، وبين الكافر الجبار المتكبر في الدنيا، والذي يلقى به في الآخرة في دركات النار؟"[1].

سبق أن ذكرتُ أن نزول هذه الآية كانت في أبي جهل، وعمار بن ياسر ﷺ، وهي صورة جميلة من صور المقارنة، لأن أبا جهل سيجرُّ في النار، وأن الذين ءامنوا جزائهم جنات تجري تحتها الانهار وسيدخلونها ءامنين.

رابعًا: القراءات

قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا...﴾ [فصّلت:40].

- قرأ حمزة: ﴿يَلْحَدُونَ﴾، بفتح الياء والحاء.
- قرأ الباقون: ﴿يُلْحِدُونَ﴾، بضم الياء وكسر الحاء[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

ذهب بعض العلماء إلى أن معنى القراءتين واحد، قال السمرقندي: "قرأ حمزة: ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بنصب الحاء والياء، والباقون: بضم الياء وكسر الحاء: ﴿يُلْحِدُونَ﴾، ومعناهما واحد، لحد وألحد: بمعنى واحد"[3]. وقال الزجاج: "﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء، وتفسير ﴿يَلْحَدُونَ﴾: يجعلون الكلام علي غير جهته، ومن هذا اللحد، لأنه الحفر في جانب القبر، يقال: لحد وألحد، في معنى واحد"[4].

إلا أن للفراء رأيًا آخر ذكره ابن منظور في معجمه، فقال: "قال الفراء: قرئ ﴿يَلْحَدُونَ﴾، فمن قرأ ﴿يَلْحَدُونَ﴾، أراد: يميلون إليه، و﴿يُلْحِدُونَ﴾: يعترضون، قال: وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:25]، أي: باعتراض"[5].

وعلى هذا يكون معنى قراءة: ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء مجرد الميل عن الحق، بحرف الكلم عن مواضعه وتصريفه عن معناه الحقيقي، وربما يناسب هذا المعنى الفتحة، حيث إنها أخفُّ

(1) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي:ج3، ص 2312.
(2) انظر: اتحاف فضلاء البشر (ص:489)
(3) بحر العلوم ج3، ص185.
(4) معاني القرآن وإعرابه ج4، ص 388.
(5) لسان العرب ج3، ص389.

من الضم في النطق، مما لها أثر الخفة في الإلحاد على المعنى. وأما قراءة: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء: فإنها تفيد الاعتراض على آيات الله بالتكذيب والإنكار والمعاداة، ويناسبها الضم؛ لما في الضم من ثقل النطق، إشارة إلى ثقل حالة الإلحاد التي هم فيها[1]، ويحتمل أنهم يحملون غيرهم على الإلحاد في آيات الله، فيزداد بذلك إلحادًا إلى إلحاده ،على معنى: ألحد الميت، أي: جعله في القبر، وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزُّمر:8]، قال العلماء: أي: ليضل غيره.

الجمع بين القراءات

وبالجمع بين القراءتين؛ يتبين أن الله تعالى توعد كل من يميل عن الحق إلى الباطل، سواء كان بتحريف آيات الله عن مواضعها وصرفها عن معناها الحقيقي، أو بإنكارها وجحودها، وتكذيب ما جاء بها، والاعتراض عليها، كل بحسب عمله، سيجازيه الله وينتقم منه يوم القيامة، ولذلك قال ﷻ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصّلت:40].

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- أورد تعالى في هذه الآية عدة تهديدات متعاقبة. فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ...﴾، وقال: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ...﴾، وقال: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.
- هدَّد الله تعالى المُلحِد في آيات القرآن، وهو المنحرف عن الحق إلى الباطل، فقال: ليس القرآن من عند الله، أو هو شعر أو سحر، وحاول الصد عن سماعه بالتصفيق والتصفير واللغو والغناء، وبدَّل الكلام، ووضعه في غير موضعه. فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا...﴾.
- التنبيه في قوله ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ...﴾ على أن الذين يلحدون في آيات الله يلقون في النار، والذين يؤمنون بآيات الله يأتون آمنين يوم القيامة[2].
- حرمة الإلحاد في آيات الله، بالميل بها عن القصد والخروج بها إلى الباطل[3].

(1) انظر: كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، موضوع الحركة غير الإعرابية (ص:102 _108).
(2) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 243.
(3) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص 583.

الإلحاد في اللغة

الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر: انحرافه إلى جهة القبلة[1].

الإلحاد في الاصطلاح

هو الميل عما يجب اعتقاده أو عمله[2]. وهو إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، أو أن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت[3].

الإلحاد في القرآن الكريم

- ورد الإلحاد في القرآن الكريم بصيغ متنوعة، فقد ورد بلفظة (إلحاد) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:25].
- وورد بلفظ: (يُلحدون) ثلاث مرات، في أسماء الله، وفي القرآن الكريم، وفي الآيات. ففي أسماء الله عدلوا بها عما هي عليه، وسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها. وفي القرآن زعموا أن الذي يعلم محمدًا عبدٌ روميٌّ، وهذا إلحاد وكذب، لأن لسان الرومي أعجمي، والقرآن عربي مبين، وفي الآيات كذبوا بها وعاندوا وكفروا وأشركوا وألغوا[4].
- وورد أيضًا بلفظ: (ملتحدًا)، بمعنى موئلاً، تؤول إليه ومهربًا تهرب من الله إليه، ولعل هذا الموضع يشير إلى أن الإلحاد لا يصلح ملاذًا من الله، ولا ملجأً من غضبه، ولا منجاةً من عقابه ﷻ[5].

أقسام الإلحاد

الإلحاد على قسمين: إلحاد في أسماء الله، وإلحاد في آياته.

القسم الأول: الإلحاد في أسمائه. وهو العدول عن الحق الواجب فيها، وهو أربعة أنواع:

1. أن ينكر شيئًا منها، أو مما دلت عليه الصفات، كما فعلت المعطلة.
2. أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه، كما فعل المشبهة.

---

(1) انظر: الصحيح المسبور من التفسير المأثور: ج2، ص366.
(2) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: ج 3، ص45.(بتصرف)
(3) مذاهب فكرية معاصرة: (ص: 605).
(4) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ج 3، ص345.
(5) مذاهب فكرية معاصرة: (ص: 605).

3. أن يسمي الله بما لم يسمِّ به نفسه، لأن أسماء الله توقيفية، كتسمية النصارى له (أبًا)، وتسمية الفلاسفة له (علّة فاعلة).

4. أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق اللات من الله، والعزَّى من العزيز.

القسم الثاني: الإلحاد في آياته. فيكون في الآيات الشرعية، وهو ما جاءت به الرسل من الأحكام والأخبار، وفي الآيات الكونية، وهي ما خلقه الله من السموات والأرض وما –ومن– فيهن، ويكون الإلحاد بتكذيب الآيات الشرعية أو تحريفها أو عصيانها، وبنسبة الآيات الكونية لغير الله، أو اعتقاد شريك أو معين له فيها[1].

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، (البصر): صفة من صفات الله تعالى، القديمة القائمة بذاته تعالى، تتكشف بها جميع المبصرات. وبصر الله تعالى لا يشبه في شيء بصر مخلوقاته، وإنما له بصر يليق بذاته، ويستحيل عليه تعالى ضده وهو العمى، لأنه نقص، والنقص في حقه تعالى محال. ومن شرط الخالق المبدع الحكيم أن يكون مدركًا لما يخلقه ويصنعه بكل نوع من أنواع الإدراك[2].

قال أبو حامد الطوسي[3]: البصير "هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى"[4]. وقال محمد الهراس[5]: البصير "المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان، مهما لطفت أو بعدت، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار"[6]، و(البصر) صفةٌ من صفات الله ﷻ الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، و(البصير): اسم من أسمائه تعالى[7]، والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:11]

---

(1) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ج 3، ص345.

(2) انظر: تبسيط العقائد الإسلامية (ص: 91)

(3) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف ومتصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران، (450 – 505 هـ)، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل.(الأعلام للزركلي:ج7 ،ص 22).

(4) انظر: المقصد الأسنى (ص: 91).

(5) الدكتور محمد بن خليل حسن هرّاس ، هو إمام كبير وعلاَّمة ومحقِّق، ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ، من محافظة الغربيَّة بجمهورية مصر العربية، ولد (1916م) بقرية الشين _مصر.

(6) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: 97).

(7) انظر: الدرر السنية:ج2، ص71.

ويدلل على ذلك من السنة النبوية حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على واد، هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال ﷺ:"يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تَدْعُون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده"[1].

المطلب الثاني
القرآن الكريم كتابٌ حقٌ لا يأتيه الباطل

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصّلت:41-44].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة عقاب وحال الملحدين في آياته فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ...﴾، أما هذه الآيات والدلائل؛ فقد أوردها القرآن الكريم دليلاً على صحة توجهه وصواب دعواه، وتحداهم هذا الدستور العظيم الذي عجز البشر أن يعارضوه أن يجدوا فيه خللاً أو نقصًا أو خطأً. ألم يكن الأولى بالعقلاء أن يتبعوه ويسيروا وفق ما جاء به. وفي النهاية: من عمل صالحًا فلنفسه، فينقذها من العذاب، ومن أصرَّ على الكفر أورد نفسه سوء المصير.

والبرهان الآخر: هل يستطيع أحد أن يعلم متى تقوم الساعة، أو يعلم ساعة موته وسببه، فإذا كان هذا الأمر مستحيلاً؛ ألم يكن الأولى أن يذعن للحق[2].

---

(1) صحيح البخاري: ج4، ص57، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (رقم الحديث، ص: 2992).

(2) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (ص:42).

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿بِالذِّكْرِ﴾: هو القرآن الكريم: وسُمِّي ذكرًا، لأنه يذكّر بالله، ويكشف طريق الهدى إليه[1].
- ﴿عَزِيزٌ﴾: العزيز: النفيس، وأصله من العزة، وهي: المنعة، وهو الذي يَغلِب ولا يُغلَب[2]، وهو المنيع الذي لا يقْدَر على الزيادة فيه ولا النقص منه[3]. ومعناه في كلام العرب: القاهر الغالب. من ذلك قولهم: "قد عزّ فلانٌ فلانًا، يعزّه عزًّا: إذا غلبه[4]".
- ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾: العُجمُ بالضمِّ: خِلافُ العرب من أيِّ جنسٍ كان من: (تُرْك، ورُومٍ، وهنْدٍ، وبربَرٍ، وَزنْجٍ)[5]. والعجمي: الذي من جنس العجم، أفصح أو لم يفصح، ورجل أعجمي وأعجم: إذا كان في لسانه عجمة، وإن أفصح بالعجمية[6].

ثالثًا: أسباب النزول

قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصّلت:44]. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: «قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميًا وعربيًا، فأنزل الله: ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾. الآية[7]، وكان ذلك بسبب تعنت الكفار وعنادهم.

رابعًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

---

(1) انظر: المدهش (ص: 29) التفسير القرآني للقرآن:ج12، ص 1326)
(2) انظر: التحرير والتنوير:ج24، ص 308.
(3) انظر: أيسر التفاسير: ج3، ص 483.
(4) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ج 1، ص 78.
(5) انظر: مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص:1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:ج7، ص 4381.
(6) انظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية :ج2، ص 478.
(7) انظر: أسباب النزول القرآني (ص: 336).

يقول سيد قطب: "يتحدث النص عن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، ولا يذكر ماذا هم ولا ماذا سيقع لهم. فلا يذكر الخبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾. كأنما ليقال: إن فعلتهم لا يوجد وصف ينطبق عليها ويكافئها لشدة بشاعتها! لذلك يترك النص خبر "إنَّ"، ولا يأتي به، ويمضي في وصف الذكر الذي كفروا به لتفظيع الفعلة وتبشيعها"[1].

والذين كفروا بالذكر سيحشرون على وجوههم إلى جهنم، لهم مقامع من حديد، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق، ويمكن أن يقال هنا، كلّ ما جاء في القرآن من صور العذاب والنكال لأهل الكفر، والإلحاد[2].

ثم يقول ربنا ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾. واصفاً كتابه بأن الباطل لن يدخل على هذا الكتاب. وهو صادر من الله الحق. يصدع بالحق. ويتصل بالحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض؟[3]، وأنى يأتيه الباطل وهو عزيز. محفوظ بأمر الله الذي تكفل بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]، والمتدبر لهذا القرآن يجد فيه ذلك الحق الذي نزل به، والذي نزل ليقرَّه. يجده في روحه ويجده في نصه. يجده في بساطة ويسر. حقًّا مطمئنًا فطريًا، يخاطب أعماق الفطرة، ويطبعها ويؤثر فيها التأثير العجيب.

- قوله ﷻ: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

والحكمة ظاهرة في بنائه، وفي توجيهه، وفي طريقة نزوله، وفي علاجه للقلب البشري من أقصر طريق. والله الذي نزله خليق بالحمد. وفي القرآن ما يستجيش القلب لحمده الكثير[4].

إذن كيف يلمّ به الباطل من أية جهة، وهو: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾؟ فالحكيم لا يدخل على عمل من أعماله دخل أو فساد، فكيف بأحكم الحاكمين ربِّ العالمين؟ والحميد المستحق لأن يحمد ويمجد، لا يكون حمده وتمجيده إلا لما هو قائم على الحكمة والسداد. فكيف بمن هو المحمود وحده، حمدًا مطلقًا في السراء والضراء[5]؟.

(1) انظر: في ظلال القرآن :ج5، ص 3126.
(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن:ج12، ص 1326.
(3) انظر: في ظلال القرآن :ج5، ص 3126.
(4) انظر: المرجع السابق :ج5، ص 3126.
(5) انظر: التفسير القرآني للقرآن:ج12، ص 1327.

- قوله ﷻ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

في هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ وحمله على الثبات والصبر والتصميم، والشعور بالأنس، والقوة. توجيه هذه الحقيقة لأصحاب الدعوة، السالكين في طريق سار فيها من قبل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وإخوانهم جميعًا –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

وأي شعور بالكرامة والاعتزاز والاستعلاء على مصاعب الطريق وعثرتها وأشواكها وعقباتها، وصاحب الدعوة يمضي وهو يشعر أن أسلافه في هذا الطريق هم تلك العصبة المختارة من بني البشر أجمعين؟[1].

يقول عبد الرحمن السعدي: "الخطاب هنا للرسول ﷺ: يا محمد، إن من الأقوال الصادرة، ممن كذبك وعاندك من جنس: ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرون عليه، ومثل ذلك قولهم: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء:186]، وقوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:52]. كذلك اقتراحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك.

ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة، وحذرهم من الاستمرار على الغيّ، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقلع وتاب، فلذا لا يتعجل بإهلاك المكذبين رجاء أن يتوبوا ويؤمنوا ويوحدوا، ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن: أصرَّ واستكبر ومات على كفره[2].

- قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

(1) انظر: في ظلال القرآن :ج 5، ص 3127.

(2) تفسير تيسير الكريم الرحمن (ص: 751)(بتصرف)، أيسر التفاسير:ج3، ص484.

والدلالة في هذه الآيات اقتراح اقترحه بعض المشركين، فقالوا: لولا فصلت آياته وبُينت لنا حتى نفهمها، وقولهم: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ مُسْتَنكِرِينَ ذلك متعجبين منه، وكل هذا من أجل الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم والنبي الكريم وتوحيد الرب الكريم.

ولما علم تعالى ذلك منهم؛ أمر رسوله أن يقول لهم: قل هو هدًى، يهتدي به إلى سبل السعادة والكمال والنجاح، وشفاء من أمراض الشك والشرك والنفاق والعجب والرياء والحسد والكبر، والذين لا يؤمنون بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً؛ هو –أي القرآن– في آذانهم وقرٌ، أي: حمل ثقيل، أولئك ينادون من مكان بعيد، ولذا فهم لا يسمعون ولا يفهمون[1]. فينادون إلى الإيمان، ويدعون إليه، فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادى وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيًا، ولا يجيب مناديًا، والمقصود: إن الذين لا يؤمنون بالقرآن لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيرًا؛ لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم[2]. قال الفراء: تقول العرب للرجل الذي لا يفهم كلامك: أنت تنادى من مكان بعيد، ولثاقب الرأي: إنك لتأخذ الأمور من مكان قريب، شبّهت حال هؤلاء المكذبين في عدم فهمهم وانتفاعهم بما دعوا إليه، بحال من ينادى من مسافة نائية، لا يسمع الصوت، ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه[3].

رابعًا: البلاغة

- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصّلت:41]. التنبيه على أمر عظيم، وهو أن القرآن الكريم كتاب عزيز.
- قوله ﷻ: ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: في الآية طباق بين: مغفرة، وعقاب[4].
- قوله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ...]: في الآية:
  - طباق السلب[5].
  - تشبيه بليغ: جعل القرآن نفس الهدى ونفس الشفاء يهديهم إلى سبل الرشاد، ويشفيهم من أوصاب الجنون[6].

(1) انظر: أيسر التفاسير:ج3، ص484.(بتصرف).
(2) انظر: تفسير غريب القرآن – الكواري:ج41، ص 44.
(3) انظر: تفسير المراغي: ج24، ص141.
(4) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 239.
(5) انظر: المرجع السابق: ج24، ص 239.
(6) انظر: إعراب القرآن وبيانه:ج8، ص 572.

- قوله ﷻ: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: طباق بديع يحتمل معنيين: أولهما: أن الإنكار واقع على كون القرآن أعجميًا والرسول عربيًا، وثانيهما: أن القرآن أعجمي والمرسل إليهم أو إليه عربي. وإنما جاء مفردًا والمرسل إليهم هم أمة العرب، لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة، فوجب أن يجرد لما سبق إليه من الغرض ولا يوصل به ما يخلّ غرضًا آخر.

- قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: استعارة تمثيلية شبهت حالهم في عدم قبول مواعظ القرآن ودلائله، بحال من ينادى من مكان بعيد، فكما أنه لا يفهم ولا يقبل قول المنادي، فكذلك هؤلاء لا يقبلون دعوة من دعاهم إلى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم[1].

خامسًا: القراءات

قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ [فصّلت:44].

- قرأ هشام: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾، بهمزة واحدة على الخبر.

- قرأ الباقون: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾، بهمزتين على الاستفهام.

وسهل الهمزتين من غير إدخال ألف الفصل: ورش، وابن كثير، وابن ذكوان، وحفص، ورويس، ولورش أيضًا إبدالها ألفًا مع المد المشبع. وقالون، وأبو عمرو، وأبو جعفر، بتسهيل الثانية مع إدخال ألف الفصل، وحققها الباقون[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

أفادت قراءة هشام: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزة واحدة بدون مدٍّ، أن الكلام كله خبر عنهم، حكاية على قول الكفار: "بأن القرآن أعجمي، والرسول أو المرسل إليه عربي"[3]. ويجوز أن يكون المراد: هلا فصلت آياته، فجعل بعضها أعجميًا لإفهام العجم، وبعضها عربيًا لإفهام العرب"[4]، قال مكي ابن أبي طالب: "قراءة هشام هنا بهمزة على الخبر، فإنه جعل الكلام كله خبرًا، حكاية عن قول

(1) انظر: إعراب القرآن وبيانه:ج8، ص 572.
(2) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج2، ص248، تحبير التيسير (ص:201).
(3) بحر العلوم ج24، ص130
(4) روح المعاني ج 24، ص130.

الكفار أنهم قالوا: لولا فصلت آيات القرآن بعضه أعجمي وبعضه عربي، فيعرف العربي ما فيه من العربي، ويعرف العجمي ما فيه من العجمي"[1].

وأما قراءة: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾؛ فقد أفادت الاستفهام منهم على الإنكار لذلك، فالهمزة الأولى همزة إنكار وتوبيخ على لفظ الاستفهام، والثانية ألف القطع[2]، قال الرازي: "وأما القراءة بهمزتين: فالهمزة الأولى همزة إنكار، والمراد: أنكروا، وقالوا: قرآن أعجمي، ورسول عربي، أو مرسل إليه عربي"[3]. وقال مكي بن أبي طالب: "القراءة بالاستفهام أنه على الإنكار منهم لذلك، لأنه قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا﴾ منكرين: أقرآن أعجمي ونبي عربي، كيف يكون هذا؟ فأخبره: عما لم يكن لو كان كيف يكون، فبين أنه لو أنزل القرآن بلسان العجم لقالت قريش: أقرآن أعجمي ونبي عربي: إنكار منهم لذلك"[4].

وأما قراءة: ﴿ءَاعْجَمِيٌّ﴾ بهمزة واحدة مع المد على الاستفهام؛ أفادت ما أفادته قراءة: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين، إلا أن فيها المبالغة والشدة في الإنكار مع الاستهجان منهم لحدوث ذلك إن وقع، وحركة المد الطويلة في {ءَاعْجَمِيٌّ} تدل على ذلك.

الجمع بين القراءات

وبالجمع بين القراءات يتبين من المعنى: أنه تعالى لو أنزل القرآن بلسان العجم، ففي كل الأحوال سيعترض المشركون ويمارون ويجادلون، سواء كان القرآن عربيًا أم أعجميًا، وأقلهم اعتراضًا سيطلبون تفصيل الآيات بعضها أعجمي حتى يفهمه العجم، وبعضها عربي حتى يفهمه العرب، وذلك علي قراءة: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزة واحدة، وستجد من هؤلاء المشركين من ينكر ذلك ويقول: أقرآن أعجمي ونبي عربي، كيف يكون هذا؟ وذلك على قراءة: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين، ومنهم من يبالغ في الإنكار ويستهجن حدوث ذلك، وهذا على قراءة: ﴿ءَاعْجَمِيٌّ﴾ بهمزة المد، فالقراءات جميعها: تبين أنهم في كل الأحوال سيعترضون، ويجادلون، مع اختلاف درجة اعتراضهم وإنكارهم. قال السمرقندي: "والغرض أنهم لعنادهم لا ينفكون عن المراء والاعتراض، سواء كان

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج2، ص248.
(2) انظر إعراب القراءات السبع وعللها ج4، ص278.
(3) التفسير الكبير م 14 ج 27، ص134.
(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج2، ص248.

القرآن عربيًا أو أعجميًا"[1]. وقال ابن عطية: "أخبر الله تعالى عنهم، أنه لو كان على أي وجه تخيل؛ لكان لهم قول واعتراض فاسد"[2].

سادسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- أورد الله ﷻ في هذه الآية تهديدًا، وهو جزاء للذين كفروا بالذكر لما جاءهم، وهم الذين جحدوا بالقرآن كونه منزلًا من عند الله تعالى، فهم بذلك يجازون بكفرهم.
- ذكر الله تعالى هنا للقرآن الكريم أوصافًا ثلاثة: هي:

أ. إنه كتاب عزيز منيع الجانب، لا نظير له، ولا يطعن فيه، ولا يعارضه أحد، كريم على الله تعالى، محفوظ من الله سبحانه. قال رسول الله ﷺ: "إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي (أهل بيتي)، وإنهما لم يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض"[3].

ب. بينت الآيات أن القرآن الكريم من أعظم الكتب على الإطلاق، فهو لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، ولا يكذبه شيء مما أنزل الله من قبل من الكتب المتقدمة، كالتوراة، والإنجيل، والزبور، ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه، ولا يستطيع أحد أن يزيد فيه أو ينقص منه.

لذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت:41-42]، والتحريف من أظهر مصاديق الباطل المذكور في الآية، وعليه فالقرآن مصونٌ عن التحريف، وعن أن تناله يد التغيير منذ نزوله وإلى يوم القيامة، لأنّه تنزيلٌ من لدن حكيم حميد، ويشهد لدخول التحريف في الباطل الذي نفته الآية عن الكتاب، أنّ الآية وصفت الكتاب بالعِزّة، وعزّة الشيء تقتضي المحافظة عليه من التغيير والضياع والتلاعب، ومن التصرف فيه بما يشينه ويحطّ من كرامته وإلى الأبد.

ج. تنزيل من حكيم في جميع أحواله وأفعاله، حميد: أي محمود على ما أسدى لجميع خلقه، بسبب كثرة نعمه[4].

---

(1) بحر العلوم ج3، ص 186.
(2) المحرر الوجيز ج5، ص20.
(3) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ج1، ص482، (رقم الحديث:245).
(4) انظر: التفسير المنير:ج24، ص 243.

- بينت الآيات أن القرآن الكريم عربي، إذن فلم لا يفهمونه ولا يعملون به، ولو نزل بلسان أعجمي لأنكروا ذلك، وقالوا لو بينت آياته باللغة التي نفهمها، وفي ذلك دلالة على أن موقفهم هذا هو نتيجة كفرهم وعنادهم وتعنتهم. ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:8].
- إذا علم الإنسان أن هذا الكتاب بجميع صفاته هو كلام الله ﷻ الخالق البارئ، وأنه كتاب لا يوجد فيه باطل، فإنه بذلك يصلح نفسه، ويؤمن بربه، ويعبده حقَّ عبادته، فتتغير حاله، وينفع في دنياه، ويصبح إنسانًا صالحًا، فإذا أصلح كل فرد من المجتمع نفسه، فإن المجتمع يصبح بذلك مجتمعًا صالحًا نافعًا.
- بينت هذه الآيات ما يتعرض له الرسول ﷺ من الأذى والتكذيب، قد تعرض له الأنبياء والرسل السابقون عليه، فبذلك جاءت الآيات تسلية للرسول ﷺ وحملًا له على الصبر والسلوان، ليواصل دعوته إلى نهايتها، فلابد من الصبر على الأذى[1].
- كذلك بينت الآيات أن الله تعالى تامُّ العدل، فهو ذو مغفرة للمؤمنين التائبين، وذو عقاب مؤلم وجيع لأعدائه الكفار الذين كذبوا رسله.
- التهديد الشديد لكل من يحرِّف آيات الله أو يؤولها على غير مراد الله منها.

التحريف في اللغة

لغة: مصدر حرف الشيء: إذا جعله على جانب، أو أخذ من جانبه شيئًا، وتحريف الكلام: تبديله أو صرفه عن معناه، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء:46]، أي: يغيرونه، والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه حرفًا، من باب ضرب؛ إذا أملته وغيرته[2].

والتحريف في الاصطلاح: قال الجرجاني: "هو تغيير اللفظ دون المعنى"[3]، وقال محمد هراس: "إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر، لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح"[4].

والتحريف يكون في اللفظ والمعنى، أما في اللفظ؛ فمثاله نصب اسم الجلالة بدل رفعه في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164]، وأما في المعنى؛ فمثاله قولهم:

(1) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص 586.
(2) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس: (ص: 66)، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية:ج1، ص 436.
(3) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهرّاس: (ص: 67).
(4) انظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية:ج1، ص 436.

(استوى) في قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]؛ أي: استولى، وقولهم في قول الله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:10]، أي: قدرته.

والتحريف يختلف عن التعطيل؛ فالتعطيل: مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ [الحج:45]، أي: أهملها أهلها، وتركوا وردها[1].

والفرق بين التعطيل والتحريف: أن التعطيل هو "نفي للمعنى الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة"، وأما التحريف؛ فهو: "تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها"[2].

موقف الإسلام اتجاه ممن يحرفون كلام الله ﷻ

- قال ابن عبد البر: "وأجمع العلماء أن ما في مصحف عثمان بن عفان –وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا– هو القرآن المحفوظ، الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه، ولا تحل الصلاة لمسلم إلا بما فيه، وإن كل ما روي من القراءات في الآثار عن النبي ﷺ أو عن أبي بكر أو عمر بن الخطاب أو عائشة أو ابن مسعود أو ابن عباس أو غيرهم من الصحابة مما يخالف مصحف عثمان المذكور لا يقطع بشيء من ذلك على الله ﷻ، ولكن ذلك في الأحكام يجري في العمل مجرى خبر الواحد، وإنما حل مصحف عثمان ﷺ هذا المحل لإجماع الصحابة وسائر الأمة عليه، ولم يجمعوا على ما سواه، وبالله التوفيق. ويبين لك هذا إن من دفع شيئًا مما في مصحف عثمان كفر"[3].
- قال ابن قدامة: "واتفق المسلمون على عدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر)[4].
- قال ابن تيمية: "من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك –وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية– وهؤلاء لا خلاف في كفرهم"[5].

(1) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية:ج1، ص 436.
(2) المرجعالسابق:ج1، ص 436.
(3) ج التمهيد:ج4، ص 278 – 279.
(4) انظر: لمعة الاعتقاد: (ص:21).
(5) الصارم المسلول: (ص :586).

المطلب الثالث

اختلاف قوم موسى في الكتاب

ويدل على هذا المقصد قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت:45-46].

دراسة الهدف والمقصد دراسة تحليلية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

في الآيات السابقة بيّن الله ﷻ تسلّيته لرسوله الكريم ﷺ على ما يصيبه من أذى المشركين وطعنهم في كتابه، وحثه على الصبر، وألا يضيق صدره بما حكاه عنهم، وكذلك بين حال القرآن لدى المؤمنين والكافرين، وفي هذه الآيات بين الله ﷻ أن هؤلاء المكذبين ليسوا بدعًا بين الأمم في تكذيبهم بالقرآن، فقد اختلف من قبلهم قوم موسى عليه السلام في التوراة الذي نزل عليه[1].

ثانيًا: معاني المفردات

- ﴿كَلِمَةٌ﴾: هي وعد الله بجمع الناس يوم القيامة وحسابهم ومجازاتهم[2]، قال الألوسي: "العدة بتأخير عذابهم"[3]، وذلك مثل قوله ﷻ: ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر:45].
- ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: عجل العذاب بينهم[4].
- ﴿بِظَلَّامٍ﴾: أصل الظلم: وضعك الشيء في غير موضعه، ثم سُمِّي كل متعسف ظلمًا[5].
- ﴿لِلْعَبِيدِ﴾: العبد: الإنسان حرًّا أو رقيقًا. هو عبد الله الذي وحد وأطاع الله ﷻ، والعبد يجمع على: عباد وعبيد[6].وشتان بين الجمعين، حيث جرى استعمال الناس كلمة عبيد للمملوكين

(1) تفسير المراغي: 24، ص 141."بتصرف"
(2) انظر: أيسر التفاسير:ج4، ص 584.
(3) انظر: تفسير روح المعاني:ج12، ص 382.
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن:ج15، ص241.
(5) انظر جمهرة اللغة ج2، ص934، القاموس المحيط (ص:1134)
(6) انظر:العين:ج2، ص 48، معجم اللغة العربية المعاصرة:ج2ص 1448.

وكلمة عباد لعباد الله [1] فكلمة عباد التي تضاف إلى لفظ الجلالة لأن الذين يعبدون الله يضافون للفظ الجلالة فيزدادون تشريفا فيقال "عباد الله" كما ورد في سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:63]، أما كلمة عبيد فهي تطلق على عبيد الناس والله معا وعادةً تضاف إلى الناس والعبيد فهي تشمل الكل محسنهم ومسيئهم كما ورد في سورة ق ﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق:29] [2]

ثالثًا: المعنى الإجمالي

- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ...﴾.

الكتاب هنا (التوراة)، والمعنى أن ربنا ﷻ قد أعطى موسى التوراة، فاختلف فيها قومه ما بين مصدق لها ومكذب، هكذا هو حال قومك يا محمد بالنسبة للقرآن. قال القرطبي: وهذا تسلية للنبي ﷺ، أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم، فآمن به قوم، وكذب به قوم[3].

- قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ...﴾.

والخطاب هنا للرسول الكريم، وفيه: لولا أن الله حكم بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة؛ لعذبهم وأهلكهم في الدنيا. وقال الكلبي: "لولا أن الله أخّر عذاب هذه الأمة إلى يوم القيامة؛ لأتاهم العذاب، كما فعل بغيرهم من الأمم"[4]، كما أن الله ﷻ خلق الخلق ليرحمهم وليسعدهم، لا ليعذِّبهم، ولو كان القصد أن يعذِّبهم لأهلكهم فور ارتكابهم المعاصي، فمن ارتكب معصية قصمه، وانتهى الأمر، ولو كان القصد أن الله خلقهم ليعذِّبهم، أو ليقمعهم إذا عصوا فالقضيَّة صارت سهلة، إلا أن الله ﷻ خلق الخلق ليرحمهم، خلق الخلق ليسعدهم، خلق الخلق ليدلَّهم عليه، خلق الخلق ليهديهم إليه، لذلك الإنسان يخطئ مرَّة، ومرَّتين، وثلاثًا، وخمسًا، وعشرًا، ومائةً، والله ﷻ يغفر له، ويرحمه، ويقبله.

الشيء الذي يؤكِّد هذا المعنى أن النبيَّ ﷺ –وهو سيِّد الخلق وحبيب الحق، ومعه صحابته وهم أحبُّ الخلق إلى الله– منعهم من العمرة عام الحُديبيَّة، لماذا؟ لأن هناك رجالًا مؤمنين ونساءً

(1) انظر: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم (ص: 34)
(2) انظر: المرجع السابق (ص: 69)
(3) تفسير القرطبي:ج15، ص 370، صفوة التفاسير: ج3، ص 117.
(4) انظر: تفسير القرطبي:ج15، ص 370.

مؤمنات لا يعلمونهم، فلو فتحوا مكَّة، وحاربوا قريشًا لقتلوهم، والله ﷻ يعلم فيهم الخير، فهذه الآية تؤكِّد هذا المعنى، ليس القصد أن يعذِّب الله ﷻ عباده، أو أن يقيم عليهم ميزان العدالة فقط، ربنا ﷻ يحب أن يرحمهم، يحب أن يهديهم إلى سواء السبيل، وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لما قضى الله الخلق؛ كتب في كتابه على نفسه، فهو موضوع عنده: إن رحمتي تغلب غضبي**"[1].

- قوله ﷻ: ﴿**وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**...﴾.

هؤلاء الكفار في شك من القرآن، لتبلد عقولهم وعمى بصائرهم، فهم بذلك في أشد الريبة والاضطراب، وفي ذلك دلالة على أنهم في قولهم هذا لم يكونوا صادقين به، فهم مضطربون، غير واثقين بما يقولون. قال ابن كثير: "ما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم، بل كانوا شاكين، غير محققين لشيء كانوا فيه"[2].

- قوله ﷻ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾.

حدَّد الله ﷻ في هذه الآيات قانون جزاء العمل، فهي تسلية ثانية للنبي ﷺ ولكل من أراد أن يتسلى ويصبر، فإن من عمل صالحًا في حياته بعد الإيمان؛ فإن جزاءه قاصر عليه ينتفع به دون سواه، ومن أساء أي: من عمل عمل سوء؛ فعلى نفسه عائد سوؤه الذي عمله ولا يعود على غيره، كما أن الله ﷻ ليس ﴿**بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾، حتى يعذب بغير إساءة، فهو تعالى لا يعاقب أحدًا إلا بذنبه، ولا يعاقبه إلا بجرمه، قال المفسرون: ليست صيغة "ظلام" هنا للمبالغة، وإنما هي صيغة نسبة، مثل: عطار، ونجار، ولو كانت للمبالغة لأوهم أنه تعالى ليس كثير الظلم ولكنه يظلم أحيانًا، وهذا المعنى فاسد، لأنه يستحيل عليه الظلم جل وعلا[3].

رابعًا: البلاغة

- قوله ﷻ: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ التعبير بذلك عن نفي الظلم: لبيان تنزهه سبحانه عن ذلك، ولفظ ظلَّام المشعر بالكثرة: يفيد ثبوت أصل الظلم، وَأُجِيبُ عن ذلك: أن العذاب الذي توعد أن يفعله بهم لو كما ظلمًا لكان عظيمًا، فنفاه على حد عظمه عظمه لو كان ثابتًا[4]، فنفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء[5].

---

(1) انظر: صحيح مسلم: ج8، ص95، (رقم الحديث: 7147)، "باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه".
(2) انظر: تفسير ابن كثير: ج7، ص185.(باختصار)
(3) انظر: تفسير القرطبي: ج15، ص 370، أيسر التفاسير: ج4، ص585.(بتصرف).
(4) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج3،ص 457.
(5) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج2، ص، 52.

- عبَّر بصيغة (العبيد)، ليدل على مسكنتهم وقلة حيلتهم وانتهاء قدرتهم في ذلك الموقف[1].

خامسًا: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

- بيان أن الاختلاف في أمر الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل ليس بدعًا، فهو قديم في الأمم، وكذلك تكذيب الأمم للرسل عادة قديمة غير جديدة في عهد النبي ﷺ، فلقد أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام، وسمع نخبة من قومه كلام الله له، فمنهم من آمن به، ومنهم من كذب به، إذن فلا يحزنك يا محمد اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم، ولقد قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:46]، وهذا من أسباب صدودهم عن الحق الذي ينبغي أن يتبعوه، وهو ما على قلوبهم من أكنةٍ تحجب عن الحق، وما في آذانهم من وقر يحول دون سماعه وتدبره.
- نفي صفة الظلم عنه سبحانه قليلة وكثيرة[2]، لقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق:29]، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال:51]، فربُّنا ﷻ منزَّه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح، والتي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب.

وروى عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ قال: "ما أنا بمعذب من لم يجرم عندي أن أعذبه"[3]، وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: "**يقول الله تعالى: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا؛ فلا تظالموا**"[4]، والله ﷻ قد حرم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرمًا، ووعد الظالمين الوعيد الأكيد[5]، وفي الحديث: "**إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته**"[6].

- بيان كمال عدل الله ﷻ، لأنه جعل الجزاء من جنس العمل، فمن أطاع الله فالثواب له، لأن الله ﷻ مستغنٍ عن طاعة العباد، ومن أساء فالعقاب عليه[7].

---

(1) انظر: المحرر الوجيز:ج4، ص459.
(2) انظر: تيسير التفسير: ج3، ص201 ، التفسير المنير: ج 24، ص246.
(3) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:ج3، ص 830.
(4) انظر: صحيح مسلم ، باب تحريم الظلم،ج4، ص 1994، (رقم الحديث:2577).
(5) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول:ج1، ص 49.
(6) انظر: صحيح البخاري:ج6ص، 74، كتاب فضائل القرآن، باب قوله ﷻ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:102]،(رقم الحديث: 4686)
(7) شرح الأربعين النووية (ص: 362) (باختصار)

- إن الله لا يعاقب أحدًا دون جرم اقترفه، فهو جل وعلاه لا يعاقب أحدًا إلا بذنب، ويجزي كل واحد بما يستحق[1]، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:124]، فالمؤمنون مطمئنون إلى عدل الله ﷻ، فلا خافون ظلمًا ولا هضمًا، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:112].

- تأخير العذاب لهذه الأمة لحكمة أرادها الله ﷻ، ولولا قضاء الله القديم المحكم، وحكمه المبرم في إمهال الكفار وتأخير عذاب الاستئصال عنهم إلى يوم القيامة، لقضي بينهم بتعجيل العذاب، لأنهم في شك من القرآن شديد الريبة. قال الكلبي في هذه الآية: لولا أن الله أخَّر عذاب هذه الأمة إلى يوم القيامة، لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم[2].

- تناولت الآيات أن الله ﷻ هو الحكيم، وحده المالك المتصرف، الوحيد في ملكه، وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه، إذ له التصرف في ملكه بما يريد. ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:26]، وفي الآية نفس الدلالة، وهي أن الله ﷻ لا يعطي الملك إلا لمن يستحق، وأخذ بالأسباب العادلة في طلبه، ويقصد به رفعة قومه، ولا ينزعه إلا ممن يسيء ويطغى، وكل بحكمة وقدرة الله ﷻ[3].

- وفيما يُرى أن الواقع الحاضر مليءٌ بالشواهد، فالأنظمة الحاكمة في الدول العربية على استحكام قبضتها على شعوبها، ونشرها لروح الخذلان بين الأفراد، جاءتها الرياح العاتية، رياح التغيير، فاهتزت عروش الظالمين، فالباكورة كانت في تونس، وتلتها مصرُ، فأسقطت طاغوتها، والتحق بصف الخزي زعيم ليبيا بعد أن أذاق أهلها مذاقات العذاب، فقتله الله شر قتلة، والفرج للشامُ سوريا وأهلها قريبٌ إن شاء الله تعالى.

وكل هذه الأمور لا تكون إلا بقدرة الله، وحكمته، وتصرفه.

اللَّهُمَّ وفقنا للعمل الصالح، واختم لنا بخير، واسترنا يا ربَّ العالمين

(1) انظر: التفسير الوجيز: (ص:729).
(2) انظر: المرجع السابق:(ص:729).
(3) انظر زهرة التفاسير:ج3، ص1168-1169.

الـخـاتـمـة

الحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً، الحمد لله على آلائه، الحمد لله على نعمائه، وأصلي وأسلم على أفضل أوليائه محمد ﷺ، والرضا على أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول الله سبحانه وتعالى:﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس:58]

وأي فضل وأي رحمة خير من القرآن الكريم كتاب ربنا فهو أفضل ما نطق به البشر، فأحمد الله ﷻ أن شرفني واصطفاني فجعلني من الذين يكتبون في هذه السلسلة العطرة في مقاصد وأهداف القرآن الكريم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة:

أولاً: الـنـتـائـج

1. أهمية علم مقاصد السور في فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً.
2. معرفة المقصد القرآني، رسالة للمغالي بالقرآن، والجافي عنه.
3. أن القرآن الكريم محكم ومتشابه فلا خلل فيه ولا باطل، يرتبط بعضه ببعض، من أوله إلى آخره.
4. علم مقاصد السور علم جديد، يحتاج إلى دراسة شاملة ومعمَّقة للآيات والسور، وهو علم شريف لتعلُّقه بالقرآن الكريم.
5. إن علم مقاصد السور أيضا يعين على فهم كتاب اللهﷻ فهما صحيحا، ويعين على استخراج دقائق معانيها وتدبرها، ويوصل إلى معرفة الحق في تفسير كلام اللهﷻ ، فمقصد السورة هو معانيها التي ترجع إليه ،ومن خلاله يظهر بيان إعجاز القرآن وبلاغته.
6. اهتمت سور الدراسة بالجانب العقدي، فقضية توحيد الالوهية والبعث والجزاء من الأسس الايمانية القوية للإنسان المسلم.
7. القرآن الكريم يدعو إلى أدب الحوار، والمجادلة بالتي هي أحسن مع المخالف في الاعتقاد.
8. بينت الدراسة الترغيب في دعوة الكفار إلى التوحيد، وإقامة الحجة عليهم وإثبات ضلالهم.

9. عدم الاستعجال في رؤية ثمرات الجهد الدعوى، لأن النصر حليف الرسل والمؤمنين لامحالة.

10. من فقه الدعوة التلطف واللين والتودد في مخاطبة المدعو بالعبارات التي تقرب المسافة بين الداع والمدعو فقد ابتدأ الرجل المؤمن في خطابه مع قومه بلفظ قوله ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر:41]

11. بينت الدراسة أن دين الكفار والمشركين ومعارضتهم للقرآن قائم على الهوى والعناد، والكبر، والإتباع الاعمى لمن تقدم من الآباء والأجداد.

12. الثبات على الحق في وجه الكفار والمشركين، وعدم الانخداع بعقائدهم الباطلة.

13. دعوة القرآن الكريم للتأمل في آيات الله ومخلوقاته في الكون.

14. النصر بعد الأخذ بالأسباب الشرعية يكون بيد الله.

15. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا....﴾ [فصِّلت:46] أكدت الدراسة أن جزاء الانسان عند الله عز وجل يوم القيامة سيكون من جنس ما عمل في الدنيا.

16. سنن الله في ملكوته، وبين الشر ينصرها إن حققت التوحيد، ويهلكها في حالة الاشراك به.

17. القرآن الكريم كتاب معجز بعربيته وفصاحته وبيانه، وهو كتاب تشريع كافة للناس.

18. شدة تمسك كفار العرب بعقيدتهم الباطلة جعلهم يصدوا عن الايمان بما أنزل الله على رسوله ﷺ والعمل بالغوا فيه.

19. التنويه بهدى القرآن الحكيم ليعلم الناس أنه كتاب هدى وإرشاد للخير.

20. لا بد من فهم أساليب القرآن الكريم المتنوعة في الدعوة إلى التوحيد مثل المجادلة والمناظرة والحوار.

21. النصر حليف الأنبياء والرسل في مطاف الأمر.

22. أظهرت الآيات صورة من صور الجدل المذموم الباطل، وهو جدال الاتباع مع رؤسائهم في النار، فلا ينفعهم ذلك ولن ينفعهم دعائهم على الاطلاق.

23. بينت الآيات أن الكفر والمعاصي سبب العذاب في الدنيا والآخرة.

24. الشرك والكفر في كل زمان ومكان أمام دعوة التوحيد والايمان بينهما ترابط، حيث أن المعركة بين الحق والباطل سنة الله إلى يوم الدين حيث أن المؤمنين إخوة فالكافرين بعضهم أولياء بعض، لذلك على المؤمنين أن يدركوا طبيعة المعركة، وحقيقة القضية فلا تلهيهم عنها تلك الاعلام الزائفة التي تتستر بها أحزاب الشرك والكفر، فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة، مهما تنوعت العلل والأسباب.
25. حقق البحث مجموعة طيبة من وجوه المناسبات بين الآيات بما يساعد على ربط موضوعاتها.
26. جاء في البحث كمٌّ ليس بالقليل من اللطائف البيانية التي تبيِّن بلاغة القرآن الكريم وروعة نظمه.
27. احتوى البحث على معاني المفردات والمعاني الإجمالية للآيات ما يجعله واضح المعنى للعامة والخاصة.
28. توشَّح البحث بالكثير من العبر والدلالات والعظات المستفادة من الآيات بما يشكِّل مادة علمية للقارئين.

ثانيا: الـــتـــوصـــيـــات

1. أوصي نفسي وأخواني بأفضل وصية وهي تقوى الله تعالى، فهي سبب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.
2. أوصي نفسي والدعاة وطلاب العلم بضرورة التركيز على الجانب الاخلاقي في عبادتنا، ومعاملاتنا، فالإسلام منهج قائم على الاخلاق.
3. أوصي الباحثين وطلاب العلم بالاهتمام والاعتناء بعلم مقاصد وأهداف سور القرآن، فإن ذلك مما يعمق الإيمان، ويزيده مما يدركه المرء من حكم ورغبات ومصالح.
4. الإقبال على القرآن الكريم بالتلاوة والحفظ والتدبر والفهم الدقيق، فإن في ذلك الخير العظيم.
5. ضرورة المسارعة إلى الاستعداد ليوم البعث بالطاعات والأعمال الصالحة، لأن مصير الإنسان مرهون بعمله، والجزاء من جنس العمل.
6. دعوة علماء الأمة وقادتها الصادقين أن يتسلحوا بالصبر، ومواجهة الفتن المبرمجة بوضع خطط حكيمة ومحكمة، وتوظيف طاقات الأمة، وتعاونهم في مواجهة الفساد والفاسدين

وإخراج الأمة من الظلمات إلى النور، ومن التيه إلى الهدى والعمل الصالح تحت راية الاسلام.

7. التحذير من إهدار هذه الدراسات والجهود بوضعها على الرفوف، وما شابه ذلك، لذا لا بد من وضع آلية من قبل المعنيين لتوصيلها إلى الناس.

وختاماً:

فهذا جهد متواضع أسعى فيه لخدمة الاسلام والمسلمين، وليكون فاتحة خير لمن يكتبون في هذا الباب، فاسأل الله سبحانه وتعالى القبول والتوفيق والسداد، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه وأصلي وأسلم على أشرف الخلق
سيدنا محمد صل اللّه عليه وسلم.

أولاً- فهرس الآيات القرآنية الكريمة

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	3	135
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	5	23
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	6	142، 191
البقرة		
﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ* اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.	14	117
﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	24	101
﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ﴾	26	103
﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾	34	53
﴿وَآَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾	41	72
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ... ﴾.	110	145، 208
﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	117	99، 159
﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	143	64
﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	148	98
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	155	106

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾	162	150
﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	163	166
﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ... ﴾.	166	54
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾	167	181
﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ ﴾.	249	172
﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	254	58
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...﴾	255	58، 58
﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾	276	144
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ ...﴾	277	146
﴿ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ...﴾	284	42
آل عمران		
﴿ قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ...﴾	26	228
﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ق..﴾	47	98
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	59	98
﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ...﴾	104	197
﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾	117	162

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ...﴾	136	42
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ...﴾.	159	13
﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	179	150
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ..﴾	180	148
النساء		
﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ....﴾	36	159، 195
﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾	38	181
﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.	46	222
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾.	56	137
﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾	58	213
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾	78	97
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	82	22 أ،
﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾	85	154
﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ..﴾.	123	45
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ ...﴾	124	228
﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾	145	177

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ...﴾	162	146
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ....﴾	164	222 ،112
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ...﴾	165	167
المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ...﴾	3	197
﴿وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي...﴾	12	146
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا....﴾	44	67
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾	82	137
﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾	93	195
﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾	95	111
الأنعام		
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾	11	115
﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	23	104
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾	31	47 ،74
﴿مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	39	191
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ...﴾.	42	117

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً... ﴾.	63	59
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ... ﴾	73	159
﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾	89	202
﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ ... ﴾.	96	83
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ... ﴾	97	160
﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ ... ﴾	102	204
﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ... ﴾	147	117
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ ﴾	162	90
الأعراف		
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ... ﴾	33	159
﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ... ﴾.	55	84 ،82
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ ﴾	146	53
﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾	165	119
﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ... ﴾	180	207
﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﴾	158	99
﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	200	199 ،195

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الأنفال		
﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	51	227
التوبة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ .....﴾.	34	148
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾.	42	17
﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾	68	42
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ ...﴾	101	51
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ ...﴾	103	144
﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ...﴾	116	99
يونس		
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى....﴾	3	159
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾	4	166
﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.	22	59 ،111
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	58	104، 229
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	62	167
﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	103	45

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ ... ﴾	104	198
﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا ... ﴾	106	60
هود		
﴿ مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ..... ﴾	24	77
﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾	59	162
﴿ قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾	100	186
﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾	108	149
﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾	112	189
الرعد		
﴿ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾	14	166، 192
إبراهيم		
﴿ وَجَعَلُوا للهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾	30	153
﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾	34	85
الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	9	216
﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾.	49	185
النحل		
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	6	113

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	9	17
﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾	29	104
﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	63	180
﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾	71	162
﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا...﴾	80	112
﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ...﴾	81	117
﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى...﴾	90	195
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾	97	191
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	98	74
﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾	109	38، 38
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ...﴾	125	41
الإسراء		
﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.	8	222
﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا..﴾	46	227
﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾	77	118
الكهف		
﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾	3	149

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾	15	116
﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾	28	106
﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾	54	73
مريم		
﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾	23	96
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ...﴾.	42	42
﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾	62	49
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ ...﴾.	71	58
﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	72	45
﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾	86	171
طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾	5	223
وقوله ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾	16	170
﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾.	22	44
﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾	32	38
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾	112	187، 228

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	124	135
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ...﴾	130	109
الأنبياء		
﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ..﴾	19	205
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ ...﴾	28	58
الحج		
﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾	5	203
﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ﴾	19	100
﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	25	210
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾	30	88
﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾	45	223
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾	62	167
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ ...﴾	63	97
﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾	66	85
﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾	72	106
المؤمنون		
﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾	14	97، 159

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ...﴾.	15	181
﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ...﴾	99	107
النور		
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	24	175
﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾	35	154
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	56	146
الفرقان		
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ..﴾	44	111
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ...﴾	63	225
الشعراء		
﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ..﴾	119	111
﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾	186	217
﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾	213	61
النمل		
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾	5	44
﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾	16	116
﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾	40	ت

طرف الآية	رقمها	الصفحة
القصص		
﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾	76	104
	69	139
﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا ...﴾	88	61
العنكبوت		
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ ...﴾	20	115
﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾	62	154
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ﴾	69	191
الرُّوم		
﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	7	119
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	30	191
﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ ...﴾	39	145
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾	47	45
لقمان		
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	167
﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾	34	96
السجدة		
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ...﴾	120	181

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الأحزاب		
:﴿ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ...﴾	48	109
سبأ		
﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ﴾	14	97
﴿ وَجَعَلْنَا الأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	33	100
فاطر		
﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾	19	77 ،208
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	24	135
﴿ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾	43	43
﴿ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾	45	224
يس		
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.	78	181
الصَّفات		
﴿ هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ﴾	21	134
﴿ احْشُرُوا﴾	22	174
﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾	49	139

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾	56	170
ص		
﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾	29	20
الزُّمر		
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.... ﴾.	2	90
﴿ وَجَعَلَ للهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾	8	211
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾	9	14، 186
﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ... ﴾	38	60
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا... ﴾	71	175
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا... ﴾.	73	34، 34
غافر		
﴿ حم * تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾	2_1	34
﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا ... ﴾	3	27، 33، 34
﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ﴾.	28	29
﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ.. ﴾	41	230
﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ.. ﴾	42	30، 37

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ..﴾	43	30، 37
﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ..﴾	44	30، 37
﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا..﴾	45	43
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا..﴾	46	47
﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا..﴾	47	30
﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ﴾	48	52
﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ..﴾	49	55
﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَاتِ..﴾	50	55
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾	51	107
﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾	52	64
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ﴾	53	64
﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾	54	64
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ..﴾	55	28، 64، 150
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ..﴾	56	28، 73
﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ..﴾	57	31، 73
﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ..﴾	58	73

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا..﴾	59	51 ،73
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾	60	45، 60
﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ..﴾	61	31
﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	62	82
﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾.	63	31
﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا..﴾	64	159
﴿هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ..﴾	65	88
﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..﴾	66	88
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ..﴾	67	31، 93
﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.	68	96
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ..﴾	69	100
﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.	70	100
﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾	71	100
﴿فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾	72	100
﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	73	100
﴿مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ ...﴾	74	100

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ...﴾	75	100
﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾	76	100
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ ...﴾	77	106 ،31
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ...﴾	78	110
﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا...﴾	79	110
﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ...﴾	80	110
﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾	81	110
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾	82	33، 110، 130، 134
﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ...﴾	83	116
﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ...﴾	84	34، 116
﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ...﴾	85	34، 116
فصلت		
﴿حم﴾	1	135
﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	2	135
﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	3	125، 135
﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	4	33، 126،

طرف الآية	رقمها	الصفحة
		136
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ...﴾	5	131، 139
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾	6	186
﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	7	142
﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	8	142
﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ..﴾	9	153، 209
﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا...﴾	10	123، 153
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ..﴾	11	153
﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا...﴾	12	153، 157
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	13	124، 125، 127، 162، 131
﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ...﴾	14	127
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ..﴾	15	127
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ..﴾	16	127
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى...﴾	17	127
﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	18	161، 168
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	19	169

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا ... ﴾	20	127، 169
﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾	21	127، 169، 175
﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ... ﴾	22	127، 169
﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾	23	169
﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾	24	169
﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ... ﴾	25	128، 176
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ وَالغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾	26	127، 141، 176، 209
﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا... ﴾	27	127، 176
﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا ... ﴾	28	127، 176
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ... ﴾	29	127، 176
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا... ﴾	30	127، 128
﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ... ﴾	31	127، 128
﴿ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾	32	127، 128
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا... ﴾	33	128، 192
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾	34	128، 192

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	35	128، 192
﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ... ﴾	36	128، 192
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ... ﴾	37	200، 209
﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ﴾	38	126، 200
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً... ﴾	39	126، 200
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا... ﴾	40	128، 207
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ... ﴾	41	126، 214
﴿ لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ... ﴾	42	126، 214
﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ... ﴾	43	126، 214
﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا... ﴾	44	126، 214
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ... ﴾	45	224
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا... ﴾	46	224، 230
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي ... ﴾	52	132
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ... ﴾	53	131
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾	54	131
الشُّورى		
﴿ حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ... ﴾.	5-1	131

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ ﴾	23	135
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾	11	213 ،207
﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا.... ﴾	40	117
الزُّخرف		
﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾	36	177
﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾	77	55
الجاثية		
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى... ﴾	23	13
الأحقاف		
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾.	33	75
محمد		
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾.	24	22 ،2
الفتح		
﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾	10	223
﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ﴾.	12	172
﴿ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾	29	106

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا ....﴾	12	173
الطُّور		
﴿وَالبَحْرِ المَسْجُورِ﴾	6	101
ق		
﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	29	227
﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾	30	102
الذاريات		
﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾	52	217
﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾	58	167
الطُّور		
﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾	13	86
﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	47	51
النَّجم		
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.	4-3	22
﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا..﴾	26	57
﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾	32	145

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الرَّحمن		
﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	29	156
الواقعة		
﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾	60	154
الحديد		
﴿آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ...﴾.	7	150
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...﴾	21	151
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ..﴾	28	198
المجادلة		
﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا ...﴾	11	14
الحشر		
﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾	5	186
﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾	24	168
التغابن		
﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى ....﴾	1	98
الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ﴾	2	97

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾	5	154
القلم		
﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾	48	106
الحاقَّة		
﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾	20	172
﴿ فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾	35	193
الجنّ		
﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾	16	189
الإنسان		
﴿ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾	9	83
النَّازعات		
﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا.. ﴾.	27	160
﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾	30	159، 160
التَّكوير		
﴿ وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾	6	101
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾.	27	191

طرف الآية	رقمها	الصفحة
البيِّنة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ...﴾	5	90، 186
العاديات		
﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	6	85
الإخلاص		
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	4-3	168

ثانياً- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار

م	طرف الحديث ومتنه	الراوي	الحكم	الصفحة
1-	(اتقوا النار ولو بشق تمرة...)	مسلم	صحيح	43
2-	(ألا أخبركم بأهل الجنة؟...)	البخاري	صحيح	60
3-	(الدعاء هو العبادة).	الترمذي	صحيح	83
4-	(العلماء ورثة الانبياء)	البخاري	صحيح	15
5-	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا...)	البخاري	صحيح	61
6-	(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته).	البخاري	صحيح	227
7-	(إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر...)	الترمذي	حسن	119
8-	(أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر..)	البخاري مسلم	صحيح	49
9-	(بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله...)	البخاري	صحيح	146
10-	(تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة...)	البخاري	صحيح	146
11-	(داووا مرضاكم بالصدقة)	الجامع الصغير	حسن	147
12-	(ذكر رسول اللهﷺ رجلا يطيل السفر أشعث أغبر...)	مسلم	صحيح	60
13-	(سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل ...)	البخاري	صحيح	147
14-	(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي...)	الترمذي	صحيح	59
15-	(صدقة السر تطفئ غضب الرب...)	البيهقي	صحيح	147
16-	(قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟قال مائة...)	أحمد	صحيح	112
17-	(قلت يا رسول الله،حدثني بأمر أعتصم به،قال: قل..)	أحمد	صحيح	187

م	طرف الحديث ومتنه	الراوي	الحكم	الصفحة
18-	(قلت:يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم...)	أحمد	صحيح	112
19-	(لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين...)	الترمذي	حسن	168
20-	(لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاس)	أبي داوود	صحيح	ت
21-	(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا...)	البخاري	صحيح	118
22-	(لكل نبي دعوة مستجابة...)	البخاري	صحيح	59
23-	(لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه...)	مسلم	صحيح	226
24-	(ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه الله...)	الحاكم	صحيح	48
25-	(مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ...)	البخاري	صحيح	181
26-	(مر النبي ﷺ على قبرين فقال:...)	البخاري	صحيح	51
27-	(من أعطاها: أي الزكاة . مؤتجراً فله أجرها....)	الالباني	صحيح	148
28-	(من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا..)	أبو داود	صحيح	15
29-	(من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها..)	ابن ماجة	صحيح	118
30-	(من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء)	ابن حبان	حسن	147
31-	(من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار...)	البخاري	صحيح	61
32-	(من نصر قومه على غير الحق)	أبي داوود	صحيح	72
33-	(يقول الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على...)	مسلم	صحيح	227
34-	(يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى...)	مسلم	صحيح	175،173
35-	(يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة...)	مسلم	صحيح	166

ثالثاً: فهرس الاعلام المترجم لهم

م	العـــلـــم	الصفحة
.1	إبراهيم القطان	187
.2	ابراهيم بن اسماعيل الابياري	177
.3	ابراهيم بن موسى الشاطبي	17
.4	ابن قيم الجوزية	189
.5	الخليل بن أحمد الفراهيدي	179
.6	خير الدين الزركلي	209
.7	عبد الله بن عباس	28
.8	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي	148
.9	الفضل بن أحمد الطبرسي	180
.10	ماجد عرسان الكيلاني	19
.11	محمد الطوسي ابو حامد الغزالي	213
.12	محمد بن خليل هرّاس	213
.13	محمد بن قاسم الانباري	177
.14	معمر بن المثنى التيمي	137
.15	وكيع بن الجراح	190

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع

1. **إتحاف فضلاء البشر**، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: 1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان،الطبعة: الثالثة، 2006م – 1427هـ، عدد الأجزاء: 1.

2. **الإتحاف فى الرد على الصحاف**، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: 1293هـ)،تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ / 1995 م، عدد الأجزاء: 1

3. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988 م، عدد الأجزاء: 18.

4. **أحكام القرآن لابن العربي**، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)،راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م،عدد الأجزاء:4.

5. **أحكام القرآن**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م، عدد الأجزاء: 3.

6. **أحكام القرآن**، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م، عدد الأجزاء:4.

7. **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، عدد الأجزاء: 2.

8. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، قال تحقيق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

9. **إعراب القراءات السبع وعللها**، الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي الشافعي أبو عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الخانجي، سنة النشر: 1413 = 1992، الطبعة: 1،عدد الأجزاء:2.

10. **اعراب القرآن وبيانه**، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)،الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق –بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة: الرابعة، 1415هـ عدد المجلدات: 10.

11. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة 2002.

12. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

13. **أهداف التربية الاسلامية**، ماجد عرسان الكيلاني د ماجد عرسان الكيلاني الأردني الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 1.

14. **أوضح التفاسير**، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، 1964 م، عدد الأجزاء: 1.

15. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م، عدد الأجزاء: 5.

16. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

17. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

18. **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية**،عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان عدد الأجزاء: 1.

19. **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376هـ – 1957م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،عدد الأجزاء: 4.

20. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

21. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

22. **تأويل مختلف الحديث**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) الناشر: المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق ،الطبعة: الطبعة الثانية– مزيده ومنقحة 1419هـ – 1999م

23. **تبسيط العقائد الإسلامية**، حسن محمد أيوب (المتوفى: 1429هـ) الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان الطبعة: الخامسة، 1403 هـ – 1983م، عدد الأجزاء: 1.

24. **تحبير التيسير**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة الناشر: دار الفرقان – الأردن / عمان، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م،عدد الأجزاء: 1.

25. تحت مراقبة: الدكتور محمد عبدالمعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، الطبعة: الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة 1384 هـ / 1964 م.

26. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).

27. **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.

28. **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، عدد الأجزاء: 1.

29. **تفسير ابن مسعود**، تحقيق:محمد أحمد العيسوي.

30. **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

31. **التفسير البسيط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ، عدد الأجزاء: 25.

32. **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1423 هـ.

33. **التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]**، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.

34. **تفسير السُدي**، إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير أبو محمد،تحقيق: محمد عطا يوسف، الناشر: دار الوفاء، 1414 – 1993،عدد المجلدات: 1

35. **تفسير الشعراوي – الخواطر**، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20.

36. **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)،تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – 1419 هـ

37. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م، عدد الأجزاء: 8.

38. **تفسير القرآن الكريم**، محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ)

39. **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، توفي 489هـ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن – الرياض سنة النشر: 1418هـ– 1997م، عدد الأجزاء: 6.

40. **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

41. **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ – 2005 م، عدد الأجزاء: 10.

42. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ – 1946 م، عدد الأجزاء: 30.

43. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ – 1946 م، عدد الأجزاء: 30.

44. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 30.

45. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم جامعة الشارقة 1431هـ-2010م.

46. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، عدد الأجزاء: 3.

47. **التفسير الواضح**، محمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – 1413 هـ.

48. **التفسير الوسيط للزحيلي**، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، عدد الأجزاء: 3 مجلدات في ترقيم مسلسل واحد.

49. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

50. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م)،عدد المجلدات: 10 مجلدات.

51. **تفسير غريب القرآن**: كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، الناشر: دار بن حزم، الطبعة: الأولى، 2008، عدد الأجزاء: 1.

52. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: 1387 هـ، عدد الأجزاء: 24.

53. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، عدد الأجزاء: 8.

54. **تهذيب مدارج السالكين**، ابن قيم الجوزية هذبه عبد المنعم صالح العلى العزي الطبعة الأولى للناشر 1417هـ1997م–دار التوزيع والنشر الاسلامية–مصر القاهرة.

55. **تَكملَة مُعجم المُؤلفين**، وَفيات (1397 – 1415 هـ) = (1977 – 1995 م) محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1997 م.

56. **تيسير التفسير**، إبراهيم القطان (المتوفى: 1404هـ).

57. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة

58. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م، عدد الأجزاء: 24.

59. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م، عدد الأجزاء: 24.

60. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.

61. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م، عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10 مجلدات).

62. **جامع لطائف التفسير**،عبد الرحمن بن محمد القماش إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية.

63. **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 31 (30 ومجلد فهارس) في 16 مجلدا.

64. **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، عدد الأجزاء: 3.

65. **حجة القراءات لابن زنجلة**، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403هـ) تحقيق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني عدد الأجزاء: 1 الناشر: دار الرسالة.

66. **الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت الطبعة: الرابعة، 1401 هـ عدد الأجزاء: 1

67. **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: 8.

68. **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت.

69. **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت

70. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: 1342هـ) ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،عدد الأجزاء: 30.

71. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

72. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

73. **الزاهر في معاني كلمات الناس**، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ -1992 عدد الأجزاء: 2.

74. **الزهد**، هناد بن السري الكوفي سنة الولادة 152/ سنة الوفاة(243 هـ) تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي 1406هـ الكويت.

75. **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: 10.

76. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: 4.

77. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، عدد الأجزاء: 5 أجزاء.

78. **شرح فضل الإسلام**: لمحمد بن عبد الوهاب توزيع المكتب التعاوني للدعوة والارشاد – سلطانة

79. **شرح الأربعين النووية**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)،الناشر: دار الثريا للنشر،عدد الأجزاء: 1.

80. **شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية**،محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: 1395هـ)، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ، عدد الأجزاء:1.

81. **شرح لمعة الاعتقاد:** أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1420هـ – 2000م،عدد الأجزاء: 1

82. **شرح مقاصد الشريعة:** الدكتور عياض نامي السلمي.

83. **شعب الإيمان للبيهقي،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق وتخريج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م، عدد الأجزاء: 14.

84. **شعب الإيمان،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م عدد الأجزاء: 14.

85. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،** نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 1999 م، عدد الأجزاء: 11 مجلد.

86. **الصارم المسلول،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: 1.

87. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م، عدد الأجزاء: 6.

88. **صحيح ابن ماجة،** أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني.

89. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ) الناشر: المكتب الإسلامي،عدد الأجزاء: 2.

90. **صحيح وضعيف سنن النسائي**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

91. **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء: 1.

92. **عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، سعيد بن على بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، عدد الأجزاء: 2.

93. **علم مقاصد السور**، محمد بن عبد الله الربيعة الاستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه كليةالشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة القصيم، الطبعة الأولى 1432هـ -2011م.

94. **علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات**: المؤلف: محمد سالم أبو عاصي

الناشر: دار البصائر – القاهرة الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م

95. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 25 × 12.

96. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.

97. **غريب الحديث لابن سلام**، طبع باعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

98. **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: 1398 هـ - 1978 م.

99. **فتح البيان في مقاصد القرآن:** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)،الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ – 1992 م،عدد الأجزاء: 15

100. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ.

101. **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، تحقيق: إحسان عباس الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1971 م.

102. **الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)**، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق – كلّيَّة الشَّريعة، الناشر: دار الفكر – سوريَّة – دمشق، الطبعة: الرَّابعة المنقَّحة المعدَّلة بالنِّسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)، عدد الأجزاء: 10.

103. **الفقه الأكبر**، لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ) الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية الطبعة: الأولى، 1419هـ – 1999م عدد الأجزاء: 1.

104. **فقه السنة** سيد سابق (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1397 هـ – 1977 م.

105. **فقه العبادات**، الحاجة درية العيطة.

106. **الفقه على المذاهب الأربعة:** عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: 1360هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، 1424 هـ – 2003 م، عدد الأجزاء: 5.

107. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : 1031هـ) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى 1415 هـ – 1994 م

108. **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.

109. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، سعدي أبو جيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: تصوير 1993م الطبعة الثانية 1408هـ=1988م، عدد الأجزاء: 1

110. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 1.

111. **قراءة في علم مقاصد الشريعة الإسلامية**، الدكتور علاء الدين زعتري.

112. **كتاب الإيمان**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1983م عدد الأجزاء: 1.

113. **كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»**، عمر العرباوي الحملاوي (المتوفى: 1405هـ)، الناشر: مطبعة الوراقة العصرية،1404 هـ - 1984 م، عدد الأجزاء: 1

114. **كتاب العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8.

115. **كتاب الكليات**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري عدد الأجزاء:1

116. **كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، أ.د. فاضل صالح السامرائي. شركة العاتك للنشر. القاهرة –مصر. الطبعة الثانية 2006 م.

117. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4.

118. **الكشف عن وجوه القراءات السبع:** أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي (ت 437)، تحقيق: محيي الدين رمضان، الناشر: مؤسسة الرسالة،1404 = 1984، الطبعة: 3، عدد الأجزاء:2

119. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**،أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1422، هـ – 2002 م عدد الأجزاء: 10.

120. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1415 هـ.

121. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.

122. **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن،الطبعة: الثالثة، 1423 هـ – 2003 م، عدد الأجزاء: 1.

123. **لمعة الاعتقاد**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1420هـ – 2000م،عدد الأجزاء: 1

124. **مباحث في علوم القرآن**، صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير 2000، عدد الأجزاء: 1.

125. **المبسوط في القراءات العشر**، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق1981 م، عدد الأجزاء: 1.

126. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير**، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، تمحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة عدد الأجزاء: 4.

127. **مجمع البحرين**، ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، الشهير باليازجى، نصراني الديانة (المتوفى: 1287هـ)، الناشر: المطبعة الأدبية، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1302 هـ - 1885 م، عدد الأجزاء: 1.

128. **مجمع البيان كتاب: مجمع البيان في تفسير القران**، امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الاولى 2005.

129. **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**،جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: 986هـ) الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م عدد الأجزاء: 5.

130. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

131. **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية**،خالد بن سليمان المزيني الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1427 هـ - 2006 م) عدد الأجزاء: 2.

132. **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 11 (10 مجلد للفهارس).

133. **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، عدد الأجزاء: 1.

134. **مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، عدد الأجزاء: 2

135. **المدهش**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: الدكتور مروان قباني الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1405هـ - 1985م عدد الأجزاء: 1.

136. **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد بن قطب بن إبراهيم، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م، عدد الأجزاء: 1

137. **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1417 هـ.

138. **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها**،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، 1426 هـ،عدد الأجزاء: 1

139. **مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب**، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: 1033هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م، عدد الأجزاء: 1.

140. **المستدرك على الصحيحين**، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (405 هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، بإشراف: د. يوسف المرعشلي.

141. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

142. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى: 261 هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ، عدد الأجزاء: 8.

143. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار، مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء:2.

144. **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ**، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1987 م، عدد الأجزاء: 3.

145. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت عدد الأجزاء: 2

146. **مُصنف ابن أبي شيبة**، المصنف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159 . 235 هـ) تحقيق: محمد عوامة.

147. **المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد**، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)،الناشر: دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة، الطبعة الأولى 1411هـ 1991م،عدد الأجزاء: 1.

148. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: 1377هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، 1410 هـ – 1990 م، عدد الأجزاء: 3.

149. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، تحقيق وتخريج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ – 1997 م،عدد الأجزاء: 8

150. **معالم في الطريق**، سيد قطب،نسقه وخرج أحاديثه: علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنةالطبعة الأولى1430 هـ – 2009 م (بهانج– دار المعمور).

151. **معاني القراءات**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ – 1991 م، عدد الأجزاء: 3.

152. **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م، عدد الأجزاء: 5.

153. **معجم الغني**، عبد الغني أبو العزم.

154. **معجم الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، 1412هـ، عدد الأجزاء: 1.

155. **المعجم الكبير للطبراني المعجم الكبير**،أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى: 360 هـ، تحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، 1983 م، عدد الأجزاء: 25.

156. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:25، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا تحقيق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 (دار الصميعي – الرياض / الطبعة الأولى، 1415 هـ – 1994 م).

157. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عمر (المتوفى: 1424هـ) ،الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م عدد الأجزاء: 4.

158. **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر الناشر: دار الفضيلة.

159. **المعجم الوسيط**، (إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار)، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، عدد الأجزاء: 2

160. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ – 1979م، عدد الأجزاء: 6.

161. **معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن**، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر الطبعة: الأولى، 2003 – 2008م، عدد الأجزاء: 5.

162. **المغرب في ترتيب المعرب**، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: 610هـ).

163. **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني**، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرماني، أبو العلاء الحنفي (المتوفى: بعد 563هـ)، تحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م، عدد الأجزاء: 1.

164. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.

165. **مفردات ألفاظ القرآن الكتاب: المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – 1412 هـ.

166. **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم – الدار الشامية، 1430 – 2009،عدد المجلدات: 1، الطبعة: الرابعة.

167. **مفردات القرآن**، أحمد مصطفى المراغى

168. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ.

169. **المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن**، جمع وإعداد :علي بن نايف الشحود.

170. **مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير**، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

171. **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**، يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي الطبعة الثانية 1415هـ -1994م.

172. **مقدمة في التفسير الموضوعي**، محمد بن عبدالعزيز الخضيري، موقع صيد الفوائد.

173. **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، 1407 – 1987،عدد الأجزاء: 1

174. **المناسبات بين الآيات والسور فوائدها.. وأنواعها.. وموقف العلماء منها**، د. سامي عطا حسن.

175. **مناهل العرفان في علوم القرآن، مناهل العرفان في علوم القرآن**،محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار النشر: دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة: الأولى: 1415هـ ، 1995م، عدد الأجزاء: 2.

176. **موارد الظمآن لدروس الزمان**، عبد العزيز المحمد السلمان، عدد المجلدات:6.

177. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، عدد الأجزاء: 7.

178. **المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول)**،عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ) الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، بمصر 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ عدد الأجزاء: 1

179. **موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة**، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود،الباحث في القرآن والسنة.

180. **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 4

181. **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءا، الطبعة: (من 1404 – 1427 هـ)، الأجزاء 1 – 23: الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت، الأجزاء 24 – 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء 39 – 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

182. **الموسوعة القرآنية**، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1420 هـ.

183. **موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني**، رفيق العجم (معاصر)، عدد الأجزاء: 2، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى/ 2004 م.

184. **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، الناشر: دار الكتب العلمية 1415 هـ – 1995 م، عدد الأجزاء: 1.

185. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ – 1984م، عدد الأجزاء: 1.

186. **النشر في القراءات العشر**،شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية] عدد الأجزاء: 2.

187. **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم**، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، عدد الأجزاء: 11.

188. **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم**، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، عدد الأجزاء: 12.

189. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 22.

190. **نفحات من علوم القرآن**، محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: 1430هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية،: 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 1.

191. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5.

192. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 13 (12، ومجلد للفهارس).

193. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 1

194. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 ، عدد الأجزاء: 4.

195. **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر:1420هـ- 2000م،عدد الأجزاء: 29.

196. **الوفيات والأحداث** الموقع الرسمي (المكتبة الشاملة)

197. (https://ar.wikipedia.org/wiki)

خامساً: فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
آية قرآنية	أ
الاهداء	ب
شكر وتقدير	ت
المقدمة	1
أولاً: أهمية الموضوع	2
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع	2
ثالثاً: أهداف البحث	2
رابعاً: الدراسات السابقة	3
خامساً: منهج الباحثة	3
سادسا: خطة البحث	4
التمهيد	
المبحث الأول:" تعريف الدراسة التحليلية	10
المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليليه	11
المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليليه	13
المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها	16
المطلب الأول: تعريف مقاصد السور لغةً واصطلاحاً	17
المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً	19

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: أهمية معرفة مقاصد السور والآيات وأهدافها	**20**
المطلب الرابع: الفرق بين المقاصد والأهداف	**21**
المطلب الخامس: طرق معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات	**22**
المطلب السادس: ما يحتاج إليه الباحث لكشف مقاصد السورة واستنباطها	**23**
المطلب السابع: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات	**24**
الفصل الأول **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات:** (41-50)	
المبحث الأول: تعريف عام بسورة غافر	**26**
المطلب الأول: تسميتها، وترتيبها، وعدد آياتها، مكان وزمان نزولها، ومرحلة نزولها، وفضلها	**27**
المطلب الثاني: أهداف السورة وموضوعاتها	**30**
المطلب الثالث: محور السورة وجوُّها العام	**32**
المطلب الرابع: المناسبات في سورة غافر	**33**
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات (41-45)	**36**
المطلب الأول: إنكار الرجل المؤمن لدعوة قومه	**37**
المطلب الثاني: العناية الإلهية التي عصمت مؤمن آل فرعون من العذاب	**43**
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات (46-50)	**46**
المطلب الأول: جزاء آل فرعون قبل قيام الساعة وبعدها	**47**
المطلب الثاني: المناظرة بين الرؤساء والأتباع وهم في نار جهنم	**52**

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: طلب الشفاعة من خزنة جهنم	55
الفصل الثاني **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات**(51-85)	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(51-66)	63
المطلب الأول: "وعد الله للرسل بالنصر".	64
المطلب الثاني: دلائل على وجود الله وقدرته وحكمته	73
المطلب الثالث: العبادة لله وحده	82
المطلب الرابع: بيان وحدانية الله عز وجل، وعدم الشرك به	88
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(67-76)	92
المطلب الأول: بيان مراحل خلق الإنسان	93
المطلب الثاني: الموت والحياة بيد الله	96
المطلب الثالث: عاقبة المجادلين في آيات الله	100
المبحث الثالث:المقاصد والأهداف لسورة غافر الآيات(77-85)	105
المطلب الأول:أمر الله نافذ لا محالة	106
المطلب الثاني: هداية الله للخلق	110
المطلب الثالث: حكمة الله في إرسال الرسل	116
الفصل الثالث **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت الآيات** (1-29)	
المبحث الأول: تعريف عام بسورة فصلت.	122

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: اسماء السور وعدد آياتها وترتيبها	123
المطلب الثاني: أسباب النزول لسورة فصلت	124
المطلب الثالث: فضائل السورة	125
المطلب الرابع: أهداف السورة وموضوعاتها	126
المطلب الخامس: محور السورة وجوها العام	129
المطلب السادس: المناسبات في سورة لما فصلت	130
المبحث الثاني:المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات (1-8)	133
المطلب الأول: القرآن الكريم منهج أصلي للفرد والجماعات....	134
المطلب الثاني: سبب إعراض المشركين عن القرآن الكريم	139
المطلب الثالث: النبى ﷺ يدعو إلى الحق	142
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات (9-29)	152
المطلب الأول: آيات الله تدل على قدرته وحكمته	153
المطلب الثاني: الكفر والمعاصي سبب العذاب في الدنيا والآخرة	161
المطلب الثالث: شهادة الجلود على أصحابها	169
المطلب الرابع: قُرناء السوء وتأثيرهم في الصد عن سماع القرآن الكريم	176
الفصل الرابع **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت الآيات (30-46)**	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات(30-39)	184

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: الله ولي المؤمنين في الدنيا والآخرة	**185**
المطلب الثاني: آداب الدعاة إلى الله عز وجل	**192**
المطلب الثالث: الآيات الدالة على وجود الله موجبة للإيمان	**200**
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فصلت الآيات (40-46)	**206**
المطلب الأول: جزاء الملحدين في آيات الله	**207**
المطلب الثاني: القرآن الكريم كتابٌ حقٌ لا يأتيه الباطل	**214**
المطلب الثالث: اختلاف قوم موسى في الكتاب	**224**
الخاتمة	**229**
أولاً: النتائج	**229**
ثانياً: التوصيات	**231**
أولا: فهرس الآيات القرآنية الكريمة	**233**
ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار	**258**
ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم	**260**
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع	**261**
خامسا: فهرس الموضوعات	**283**
ملخص الرسالة باللغة العربية	**288**
Abstract	**289**

ملخص الرسالة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن والأربعين
من سورة غافر آية (41) إلى نهاية السورة، ومن بداية سورة فصلت إلى الآية(46)

لقد تناولت الباحثة في هذه الدراسة مقاصد وأهداف الحزب الثامن والأربعين من القرآن الكريم، المشتمل على سورة غافر آية (41) إلى نهاية السورة، ومن بداية سورة فصلت إلى الآية(46)، ولقد احتوت هذه الرسالة على مقدمة، وتمهيد، وأربع فصول، وخاتمة وهي على النحو الآتي:

أولاً: المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، الدراسة السابقة، منهج البحث، خطة البحث.

ثانياً: التمهيد: وقد اشتمل على مبحثان تم التعريف فيها على الدراسة التحليلية، والمقاصد والأهداف.

ثالثاً: الفصل الأول: اشتمل على ثلاث مباحث: دراسة سور غافر، والدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (41) إلى الآية (50).

رابعاً: الفصل الثاني: اشتمل على ثلاث مباحث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (51) إلى الآية (85).

خامساً: الفصل الثالث: اشتمل على ثلاث مباحث: دراسة سورة فصلت، والدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت من الآية (1) إلى الآية (29).

سادساً: الفصل الرابع: اشتمل على مبحثان: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت من الآية (30) إلى الآية (46).

ولقد سلكت الباحثة المنهج التحليلي الموضوعي في التفسير، حيث سارت الباحثة في كل مقطع من المقاطع على النهج التالي: التحليل اللغوي، ومناسبة آيات كل مقطع مع ما سبقه، وما اشتمل عليه من المعنى الاجمالي، وأسباب النزول إن وجدت، والقراءات، ثم ذكر الأهداف والمقاصد المستنبطة التى حققتها الآيات.

أخيراً: الخاتمة: وقد تضمنت النتائج، والتوصيات

Abstract

With the praise, help and guidance of Allah, this study was completed, which is entitled:

Analytical study of the purposes and objectives of the forty-eight Party of the Holy Quran from Surat Ghafir (The Forgiver), verse (41) to the end of Surah, and from the beginning of Surat Fussilat (They are Explained in Details) to the verse (46).

In this study, the researcher approaches the purposes and objectives of the forty-eight Party of the Holy Qur'an, including Surat Ghafir (The Forgiver), verse (41) to the end of the Surah, and from the beginning of Surat Fussilat (They are Explained in Details) to verse (46). This study includes an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion), as follows:

First, the introduction: This includes the importance of the topic, the reasons for choosing the topic, previous study, and research methodology and plan.

Second, the boot: It includes two sections in which the researcher introduces the analytical study, the purposes and objectives.

Third, the first chapter: This includes three sections: the study of Surat Ghafir, and the analytical study of the purposes and objectives of Surat Ghafir, verses (41-50).

Fourth, the second chapter: This includes three sections: the analytical study of the purposes and objectives of Surat Ghafir, verses (51-85).

Fifth, the third chapter: This includes three sections: the study of Surat Fussilat and the analytical study of the purposes and objectives of Surat Fussilat, verses (1-29).

Sixth, the fourth chapter: This includes two sections: the analytical study of the purposes and objectives of Surat Fussilat, verses (30-46).

The researcher has followed the analytical and objective methodology in interpretation applying the following in each section:

Linguistic analysis, the relation between the verses in each section with what preceded and the overview meaning, the reasons of revelation, if any, the readings, and then mentioning the concluded purposes and objectives that the verses aim at.

Finally, the conclusion: It includes the results and recommendations.